خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق

للعارف بالله تعالى والدال عليه سيدى وامامى
عبد الغنى النابلسى

و يليه

شرح الطريقة المحمدية لسيدى عبد الغنى النابلسى

İHLÂS Matbaacılık ve Dağıtım A.Ş.

IŞIK KİTABEVİ
Darüşşefaka Cad. No: 72
FATIH — ISTANBUL
TURKEY
1981

قال العلامة الشامي محمد ابن العابدين في الرد المختار

وأن الحكم والفتيا بالقول المرجوح جهل وخرق للإجماع وأن الحكم الملفق باطل بالإجماع وأن الرجوع عن التقليد بعد العمل باطل اتفاقا

(قوله وان الحكم والفتيا الخ) وكذا العمل به لنفسه قال العلامة الشرنبلالي في رسالته العقد الفريد في جواز التقليد مقتضى مذهب الشافعي كما قاله السبكي منع العمل بالقول المرجوح في القضاء والافتاء دون العمل لنفسه ومذهب الحنفية المنع عن المرجوح حتى لنفسه لكون المرجوح صار منسوخا اهـ فليحفظ وقيده البيري بالعامي اي الذي لا رأي له يعرف به معنى النصوص حيث قال هل يجوز للانسان العمل بالضعيف من الرواية في حق نفسه نعم اذا كان له رأي أما اذا كان عاميا فلم اره لكن مقتضى تقييده بذي الرأي انه لا يجوز للعامي ذلك قال في خزانة الروايات العالم الذي يعرف معنى النصوص والاخبار وهو من اهل الدراية يجوز له أن يعمل عليها وان كان مخالفا لمذهبه اهـ قلت لكن هذا في غير موضع الضرورة فقد ذكر في حيض البحر في بحث ألوان الدماء أقوالا ضعيفة ثم قال وفي المعراج عن فخر الائمة لو افتى مفت بشيء من هذه الاقوال في مواضع الضرورة طلبا للتيسير كان حسنا اهـ وكذا قول ابي يوسف في المني اذا خرج بعد فتور الشهوة لا يجب به الغسل ضعيف وأجازوا العمل به للمسافر او الضيف الذي خاف الريبة كما سيأتي في محله وذلك من مواضع الضرورة (قوله بالقول المرجوح) كقول محمد مع وجود قول ابي يوسف اذا لم يصحح او يقو وجهه وأولى من هذا بالبطلان الافتاء بخلاف ظاهر الرواية اذا لم يصحح والافتاء بالقول المرجوع عنه اهـ ح (قوله وان الحكم الملفق) المراد بالحكم الحكم الوضعي كالصحة مثاله متوضئ سال من بدنه دم ولمس امرأة ثم صلى فان صحة هذه الصلاة ملفقة من مذهب الشافعي والحنفي والتلفيق باطل فصحته منتفية اهـ ح (قوله وان الرجوع الخ) صرح بذلك المحقق ابن الهمام في تحريره ومثله في اصول الآمدي وابن الحاجب وجمع الجوامع وهو محمول كما قال ابن حجر والرملي في شرحيهما على المنهاج وابن قاسم في حاشيته على ما اذا بقي من آثار الفعل السابق اثر يؤدي الى تلفيق العمل بشيء لا يقول به كل من المذهبين كتقليد الشافعي في مسح بعض الرأس ومالك في طهارة الكلب في صلاة واحدة وكما لو أفتى ببينونة زوجته بطلاقها مكرها ثم نكح اختها مقلدا للحنفي بطلاق المكره ثم افتاه شافعي بعدم الحنث فيمتنع عليه أن يطأ الأولى مقلدا للشافعي والثانية مقلدا للحنفي او هو محمول على منع التقليد في تلك الحادثة بعينها لا مثلها كما صرح به الامام السبكي وتبعه عليه جماعة وذلك كما لو صلى ظهرا بمسح ربع الراس مقلدا للحنفي فليس له ابطالها باعتقاده لزوم مسح الكل مقلدا للمالكي وأما لو صلى يوما على مذهب وأراد أن يصلي يوما آخر على غيره فلا يمنع منه على أن في دعوى الاتفاق نظرا فقد حكي الخلاف فيجوز اتباع القائل بالجواز كذا أفاده العلامة الشرنبلالي في العقد الفريد ثم قال بعد ذكر فروع من اهل المذهب صريحة بالجواز وكلام طويل فتحصل مما ذكرناه انه ليس على الانسان التزام مذهب معين وانه يجوز له العمل بما يخالف ما عمله على مذهبه مقلدا فيه غير امامه مستجمعا شروطه ويعمل بأمرين متضادين في حادثتين لا تعلق لواحدة منهما بالاخرى وليس له ابطال عين ما فعله بتقليد امام آخر لان امضاء الفعل كامضاء القاضي لا ينقض وقال ايضا ان له التقليد بعد العمل كما اذا صلى ظانا صحتها على مذهبه ثم تبين بطلانها في مذهبه وصحتها على مذهب غيره فله تقليده ويجتزي بتلك الصلاة على ما قال في البزازية انه روي عن ابي يوسف انه صلى الجمعة مغتسلا من الحمام ثم اخبر بفأرة ميتة في بئر الحمام فقال نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا اهـ

Marfat.com

خُلاصَةُ التَّحقيق

في بيانِ

حُكمِ التَّقليدِ والتَّلفيق

للعارف بالله تعالى والدال عليه سيدى وامامى

عبدالغنى النابلسى

ويليه

شرح الطريقة المحمدية لسيدى عبدالغنى النابلسى

İHLÂS VAKFI YAYINIDIR

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

حسين حلمى بن سعيد استانبولى

يطلب من المكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢

استانبول - تركيه

١٤٠١ هجرى ١٩٨١ ميلادى

Hakikat Matbaası İstanbul — 1981

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي التوفيق والشكر له على الهداية الى حقيقة التحقيق
والصلوة والسلام على رسوله محمد وعلى آله واصحابه وتابعيه 52834
وانصاره واحزابه السالكين على اقوم طريق اما بعد فيقول
العبد الفقير الى مولاه الخبير عبد الغني النابلسي الحنفي علمه الله
تعالى ما لم يعلم وادامه سالكا على السنن الاقوم قد اطلعت
على رسالة في حكم التقليد في المذاهب صنفها مفتي البلد الحرام
مكة المشرفة على جميع بلاد الاسلام وهو الشيخ محمد عبد العظيم
ابن المنلا فروخ رحمه الله تعالى وعفا عنه وقد اشتملت على ستة
مقاصد لم تحرر على وجه الصواب لكل قاصد فالمقصد
الاول هل على الانسان التزام مذهب معين ام لا والثاني هل
موافقة المذهب من غير علم بركافية ام لا والثالث هل يجوز
التقليد من غير اعتقاد الارجحية فيما قلده ام لا والرابع ما حكم
الاقتداء بالمخالف وهل العبرة في ذلك لرأي المقتدي او الامام
والخامس هل يجوز التقليد بعد الفعل ام لا والسادس في بيان
حكم التلفيق فطلب مني بعض الاصحاب تحقيق هذه المقاصد
المهمة على وجه الصواب مخافة ان يغتر بما لم يحرر اهل البداية
من الطلاب فشرعت في ذلك مستعينا بالقدير المالك وقد
سميت ما شرعت فيه خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد و
التلفيق والله حسبي ونعم الوكيل وعلى الله قصد
السبيل اما المقصد الاول فهل على الانسان التزام مذهب
معين ام لا اعلم اولا علمك الله تعالى كل خير ان مذاهب السلف
الماضين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رضوان الله

تعالى

تعالى عليهم اجمعين كثيرة لانكاد نحصر الآن عددا وكلها اجتهادات
استوفت الشروط فاستفادت من الله تعالى معونة ومددا ولا يجوز
لاحد الطعن في شئ منها ابدا كما قال الشيخ عبد الرؤف المناوي
رحمه الله تعالى في شرح الجامع للاسيوطي ويجب علينا ان نعتقد
ان الائمة الاربعة والسفيانين يعني سفيان الثوري وسفيان
ابن عيينة والاوزاعي وداود الظاهري واسحاق بن راهويه
وسائر الائمة على هدى ولا التفات لمن تكلم فيهم بما هم بريئون منه
انتهى وفي جمع الجوامع وان الشافعي ومالكا وابا حنيفة والسفيانين
واحمد والاوزاعي واسحاق وداود وسائر ائمة المسلمين على هدى
من ربهم وقال الشارح المحلي ولا التفات بمن تكلم فيهم بما هم
بريئون منه انتهى قلت فان من اشتمل منهم على ما يعاقب به
في الدين ولم يطعن فيه احد فلا اثم على من لم يطعن واما اذا لم يشتمل
على شئ من ذلك ووقع الطعن من احد فالاثم على الطاعن قال
تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون واما تقليد مذهب من مذاهبهم الان غير المذاهب
الاربعة فلا يجوز لانقصان في مذاهبهم ورجحان المذاهب الاربعة
عليهم لان فيهم الخلفاء المفضلين على جميع الامة بل لعدم تدوين
مذاهبهم وعدم معرفتنا الآن بشروطها وقيودها وعدم وصول
ذلك الينا بطريق التواتر حتى لو وصل الينا شئ من ذلك كذلك
جاز لنا تقليده لكنه لم يصل كذلك قال المناوي رحمه الله تعالى
في كتابه المذكور لا يجوز تقليد الصحابة وكذا تقليد التابعين كما
قاله امام الحرمين من كل من لم يدون مذهبه فيمتنع تقليد غير
الاربعة في القضاء والافتاء لان المذاهب الاربعة انتشرت

Marfat.com

وتحررت حتى ظهر تقييد مطلقها وتخصيص عامها بخلاف غيرهم لانقراض اتباعهم وقد نقل الامام الرازى اجماع المحققين على منع العوام من تقليد اعيان الصحابة واكابرهم قال المناوى رحمه الله تعالى نعم يجوز لغير عامي من الفقهاء تقليد غير الاربعة فى العمل لنفسه ان علم نسبته لمن يجوز تقليده وجميع شروطه عندهم لكن بشرط ان لا يتبع الرخص بان يأخذ من كل مذهب الاهون بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه والا لم يجز وقال فى الاشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى انه صرح فى التحرير لابن الهمام ان الاجماع انعقد على عدم العمل بمذهب يخالف الاربعة لانضباط مذاهبهم واشتهارها وكثرة اتباعها انتهى اذا علمت هذا فاعلم ان المذاهب الان التي يجوز تقليدها هي هذه المذاهب الاربعة لاغير فقد انحصر الآن العمل بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فى العمل بما ذهب اليه احد الاربعة فقط على العموم فالامر المتفق عليه المعلوم من الدين بالضرورة لا يحتاج الى التقليد فيه لاحد الاربعة كفرضية الصلاة والصوم والزكاة والحج ونحوها وحرمة الزنا واللواطة وشرب الخمر والقتل والسرقة والغصب وما اشبه ذلك والامر المختلف فيه هو الذى يحتاج الى التقليد فيه فاذا قلد فيه الانسان مذهبا معينا من المذاهب الاربعة فهل يلزم ذلك الانسان الدوام عليه او يجوز له الانتقال عنه قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد ابن عبد الملك البغدادى الحنفى رحمه الله تعالى فى رسالة له عملها فى بيان حقيقة التقليد اعلم ان التقليد هو قبول قول الغير من غير معرفة دليله واما معرفة دليله فليس الا وظيفة المجتهد والتقليد مناط العمل فكما لا يجوز للمجتهد العمل فى الوقايع الا باجتهاده ورأيه

Marfat.com

كذلك لايجوز للمقلد العمل في كل واقعة من الاعمال والاحكام الا بتقليده واستفتائه من مفت مجتهد اوحامل فقه وقولوا الواجب على المقلد المطلق اتباع مجتهد في جميع المسائل فلا يجوز له العمل في واقعة الا بتقليد مجتهد اي مجتهد كان واما اذا كان مجتهدا في البعض فقد اختلف فيه فقيل يقلد في الكل كالمطلق بناء على عدم التجزي في الاجتهاد وقيل يقلد فيما يتجزء فيه عن الاجتهاد ويجتهد فيما لا يتجزء بناء على التجزي في الاجتهاد وهو الراجح عند الاكثر والمقلد اذا تبع احد المجتهدين واخذ بقوله وعمل بموجبه يجوز له ان يقلد غير ذلك المجتهد في حكم آخر يعمل به كمن قلد ابا حنيفة رحمه الله تعالى اولا في مسئلة و ثانيا الشافعي رحمه الله تعالى في اخرى كذا صرح به ابن الهمام في كتابه التحرير في علم الاصول وبه قال الامدي وابن الحاجب قال ابن الهمام وذلك للقطع بانهم في كل عصر كانوا يستفتون مرة واحدا ومرة غيره غير ملتزمين مفتيا معينا وهذا اذا لم يلتزم حكما بخصوصه ولم يعمل بهذا الحكم سابقا واما اذا عمل به بعد ان قلد فيه فلا يرجع فيه باتفاق العلماء كذا قاله الامدي وابن الحاجب قال ابن الهمام حكم المقلد في المسئلة الاجتهادية كالمجتهد فانه اذا كان له رايان في مسئلة وعمل باحدهما يتعين له ما عمل به وامضاه بالعمل فلا يرجع عنه الى غيره الا بترجيح ذلك الغير كمن اشتبهت عليه القبلة في جهتين او جهات فاختار واحدة يتعين له هذه الجهة ما لم يرجح الاخرى وكذا القاضي فيما له رايان فيه بعد ان حكم وامضاه بالحكم في احدهما فالمقلد اذا عمل بحكم من مذهب لا يرجع عنه الى اخر من مذهب اخر انتهى كلام ابن الهمام واعلم ان مذهب الجمهور والذي اختاره الامام ابن الهمام ان اصل الالتزام ليس بواجب ابتداء بل يجوز لكل احد ان يستفتي في كل واقعة

Marfat.com

عند اي مفت اختاره ويعمل بحكمه كما كان في القرون الفاضلة من
الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين ونقل صاحب العقد
الفريد عن الامام النووي ما يعضد هذا المذهب حيث قال
والذي يقتضيه الدليل انه لا يلزم التمذهب بمذهب معين بل يستفتي
من شاء ومن اتفق لكن من غير تلقط الرخص فلعل من منعه عمن
شاء لم يثق بعدم تلقطه انتهى كلام النووي وقال ابن الهمام في كتابه
التحرير فلو التزم المقلد مذهبا معينا كابي حنيفة والشافعي فقيل
يلزمه انتهى يعني الاستمرار عليه فلا يعدل عنه في مسئلة من المسائل
من مذهب آخر لانه بالتزامه يصير ملزوما به كما التزم مذهبه في
حادثة معينة ولانه اعتقد ان المذهب الذي انتسب اليه هو الصواب
فعليه الوفا بموجب اعتقاده كذا في شرح التحرير لابن امير حاج وقيل
لا يلزمه وهو الاصح لما وجهه الرافعي وغيره بان التزامه غير ملزم
اذ لا واجب الا ما اوجبه الله ورسوله ولم يوجب الله تعالى ورسوله
على احد من الناس ان يتمذهب بمذهب رجل من الامة فيقلده دينه
في كل ما ياتي ويذر غيره ولا قال به احد من المجتهدين ان من تبعني
فلا يتبع احدا غيري الى هنا كلام البغدادي في رسالته وفي شرح
جمع الجوامع للمحلي رحمه الله تعالى والاصح انه يجب على العامي وغيره
ممن لم يبلغ رتبة الاجتهاد التزام مذهب معين من مذاهب
المجتهدين ثم في خروجه عنه اقوال احدها لا يجوز لانه التزمه وان
لم يجب التزامه ثانيها يجوز والتزام ما لا يلزم غير ملزم ثالثها
لا يجوز في بعض المسائل ويجوز في بعض توسطا بين القولين وَ
الجواز في غير ما عمل به اخذا مما تقدم في عمل غير الملتزم فانه اذا لم يجز
له الرجوع قال ابن الحاجب كالاعمى اتفاقا فالملتزم اولى بذلك

وقد

Marfat.com

وقد حكيا فيه الجواز ويقيد بما قلناه يعني في غير ما عمل به وقيل لا يجب عليه التزام مذهب معيّن فله ان يأخذ فيما يقع له بهذا المذهب تارة وبغيره اخرى وهكذا انتهى وقال الشيخ المناوي في شرح الجامع وعلى غير المجتهد ان يقلد مذهبا معينا وقضية جعل الحديث الاختلاف رحمة جواز الانتقال من مذهب لاخر والصحيح عند الشافعية انه جايز انتهى وقال والدي رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر روى البيهقي في المدخل بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فان لم تكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فايما اخذتم به اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة قال الجلال السيوطي في جزيل المواهب في هذا الحديث فوائد اخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده في الفروع وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم من الاخبار بالمغيبات و رضاه بذلك وتقريره عليه ومدحه له حيث جعله رحمة والتخيير للمكلف في الاخذ بايها شاء من غير تعيين لاحدها ويستنبط منه ان كل المجتهدين على هدى وكلهم على حق فلا لوم على احد منهم ولا ينسب الى احد منهم تخطئة لقوله فايما اخذتم به اهتديتم واخرج الخطيب البغدادي في كتاب الرواة عن مالك من طريق اسماعيل ابن ابي المحامد قال لما هارون الرشيد لمالك بن انس يا ابا عبد الله تكتب هذه الكتب وتفرقها في افاق الاسلام لنحمل عليها الامة قال يا امير المؤمنين ان اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الامة كل يتبع ما صح عنده وكل على هدى وكل يريد الله ثم قال

Marfat.com

الجلال السيوطي واعلم ان اختلاف المذاهب في هذه الملة نعمة
كبيرة وفضيلة جزيله عظيمة ولله سر لطيف ادركه العالمون وعمي
عنه الجاهلون حتى سمعت بعض الجهال يقول النبي صلى الله عليه
وسلم جاء بشرع واحد فمن اين مذاهب اربعة ومن العجب
ايضا من ياخذ في تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلا
يؤدي الى تنقيص المفضل عليه وسقوطه وربما ادى الى الخصام
بين السفهاء وصارت عصبية وحمية الجاهلية والعلماء منزهون
عن ذلك وقد وقع الاختلاف في الفروع بين الصحابة رضي الله
تعالى عنهم وهم خير الامة فما خاصم احد منهم احدا ولا عادي احد
احدا ولا نسب احد الى احد خطأ ولا فسوقا والسر الذي اشرت
اليه قد استنبطته من حديث ان اختلاف هذه الامة رحمة
لها وكان اختلاف الامم السابقة عذابا وهلاكا فعرف بذلك
ان اختلاف المذاهب في هذه الملة خصيصة فاضلة لهذه الامة
وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة فكانت الانبياء صلوات
الله عليهم يبعث احدهم بشرع واحد وحكم واحد حتى انه من ضيق
شريعتهم لم يكن فيها تخيير في كثير من الفروع التي شرع شرع فيها
التخيير في شريعتنا كتحريم عدم القصاص في شريعة اليهود وتحتم
الدية في شريعة النصارى وهذه الشريعة وقع فيها التخيير بين
امرين شرع كل منهما في ملة كالقصاص والدية فكانها جمعت بين
الشرعين معا وزادت حسنا بشرع ثالث وهو التخيير ومن ذلك
مشروعية الاختلاف في الفروع فكانت المذاهب على اختلافها
كشرايع متعددة كل ما مور به في هذه الشريعة فصارت هذه الشريعة
كانها عدة شرايع بعث النبي صلى الله عليه وسلم بجميعها انتهى

كلامه

Marfat.com

كلامه مختصرًا وانما ذكرناه لافادته ما نحن بصدده من عدم التزام
مذهب معين من المذاهب الاربعة مع ذكر الفوائد الجليلة والحاصل
ان العلماء اختلفوا فى لزوم مذهب معين وصحح كل احد منهم ما
ذهب اليه وعدم اللزوم وهو الراجح كما ذكرنا بعد ان لا يخرج ٢
عن المذاهب الاربعة والله ولى التوفيق واما المقصد الثانى
فهل موافقة المذهب من غير علم به كافية ام لا اعلم انهم حيث
اوجبوا التقليد المجتهد على غير المجتهد فلا شك ان الموافقة
من غير قصد لا تكفى لكونها غير تقليد كما سبق فى تعريف التقليد
بانه قبول قول الغير من غير معرفة دليله وقال المحلى فى شرح
جمع الجوامع التقليد اخذ القول بان يعتقد من غير معرفة دليله
فخرج اخذ غير القول من الفعل والتقرير عليه فليس بتقليد واخذ
القول مع معرفة دليله فهو اجتهاد وافق اجتهاد القائل ثم قال
ويلزم غير المجتهد عاميا كان او غيره اى يلزمه التقليد المجتهد
لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انتهى وقد سبق
التصريح بمثل ذلك من لزوم التقليد المجتهد على غير المجتهد فلا
تكفى الموافقة على كل حال غير ان التقليد بعد الفعل جايز عندنا كما
سنذكره ان شاء الله تعالى فيبقى على هذا لابد من قصد القلب فى
العمل بقول الغير حتى يسمى تقليدًا لكن سواء قصد ذلك قبل الفعل
وهو الاصل المجمع عليه او بعد الفعل فهو صحيح عندنا ايضا واما
اذا خلا عمله قبله وبعده من قصد قلبه للاخذ بقول الغير من
الائمة الاربعة فلا يكون حين العمل مقلدًا لاحد من المجتهدين ٣
وليس هو بمجتهد فعمله حينئذ باطل اتفاقًا واما المقصد الثالث
فهل يجوز التقليد من غير اعتقاد الارجحيه فيما قلد ام لا قال

Marfat.com

الشيخ محمد البغدادي رحمه الله تعالى في رسالته في التقليد واختلفوا في انه هل يجوز للمقلد تقليد المفضول مع وجود الافضل فجوزه الائمة الحنفية والمالكية واكثر الشافعية ومنعه الامام احمد وطائفة من الفقهاء كذا في التحرير لابن الهمام وشرحه لابن امير حاج ونقل عن الامام الغزالي انه قال اذا اعتقد المقلد احد المجتهدين بالفضل لا يجوز له ان يقلد غيره وان كان لا يلزم البحث عن الاعلم اذا لم يعلم اختصاص احدهم بزيادة الفضل والعلم واما اذا علم واعتقد زيادة الفضل في احدهم يلزم تقليد اورع العالمين واعلم الورعين وان تعارضا في العلم والورع قدم الاعلم على الاصح انتهى وقال الشيخ محمد البغدادي رحمه الله تعالى فان قلت كيف يذكر ابن الهمام وشارح كلامه من علماء المذهب في المسئلة الفقهية قول المخالفين من المالكية والشافعية فيستند لان على ما اختاراه من الوجه قلت ان المسئلة اذا لم يكن لها اختصاص بواحد من الائمة بل كانت مشتركة فيما بينهم في الحكم كمسائل اصول الدين والاحكام المتفق عليها من الفروع فيجوز الاستدلال عليها بقول الجميع ومسئلة التقليد والاقتداء بالمخالف من هذا القبيل فلا محذور في ايراد الدليل عليها من اي عالم ومجتهد كان انتهى فاعلم هذا فيما سنذكره وقال المحلي رحمه الله تعالى في شرح جمع الجوامع تقليد المفضول من المجتهدين فيه اقوال احدها ورجحه ابن الحاجب يجوز لوقوعه في زمن الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم مشتهرا متكررا من غير انكار ثانيها لا يجوز لان اقوال المجتهدين في حق المقلد كالادلة في حق المجتهد فكما يجب الاخذ بالراجح من الادلة يجب الاخذ بالراجح من الاقوال والراجح منها قول الفاضل ويعرفه

الايضاح

العامي

Marfat.com

العامی بالتسامع وغیرہ ثالثہا المختار یجوز لمعتقدہ فاضلا عندہ
اومساویا له بخلاف من اعتقدہ مفضولا ومن ثم لم یجب البحث عن
الارجح من المجتہدین لعدم تعینه فان اعتقد العامی رجحان واحد
منہم تعین لان یقلدہ وان کان مرجوحا فی الواقع عملا باعتقادہ
المبنی علیه والراجح علما فوق الراجح ورعا فی الاصح لان لزیادۃ العلم
تاثیرا فی الاجتہاد بخلاف زیادۃ الورع وقیل العکس لان لزیادۃ
الورع تاثیرا فی التثبت فی الاجتہاد وغیرہ بخلاف زیادۃ العلم
ویحتمل التساوی لان لکل مرجحا انتہی وقال الشیخ محمد البغدادی
فی رسالته من احوال المقلد ان یکون من العلماء فیعتقد بحسب
حاله وعلمه رجحان مذہب الغیر فی تلك المسئلة فیحسن له الاتباع
للراجح فی ظنه انتہی وقال المناوی رحمه الله تعالی فی شرح الجامع
نقلا عن السبکی ان المنتقل من مذہب لاخر له احوال وذکر منہا
ان یعتقد رجحان مذہب الغیر فیجوز عمله بالراجح فی ظنه ومنہا
ان لا یعتقد رجحان شئ فیجوز انتہی وهذا کله یقتضی انه لا یلزم المقلد
اعتقاد الارجحیة فی مذہبه وان کان الاولی اعتقادها للخروج
من الخلاف الواقع فی ذلك کما تری وعلی الاولویة وعدم اللزوم
یحمل ما وقع فی الاشباہ والنظائر فی اواخر الفن الثالث نقلا
عن المصفی اذا سئلنا عن مذہبنا ومذہب مخالفینا فی الفروع یجب
علینا ان نجیب بان مذہبنا صواب یحتمل الخطا ومذہب مخالفینا
خطا یحتمل الصواب لانك لو قطعت القول لما صح قولنا ان المجتہد
یخطی ویصیب واذا سئلنا عن معتقدنا ومعتقد خصومنا فی
العقائد یجب علینا ان نقول الحق ما نحن علیه والباطل ما علیه
خصومنا هکذا نقل عن المشائخ انتہی ولا یحتاج ان نحمل ذلك علی

Marfat.com

المجتهدين فى المذهب اصحاب الترجيح كابى الحسن الكرخى والطحاوى
والسرخسى ونحوهم كما حمل ذلك على المجتهد امثال هؤلاء الشيخ محمد
ابن فروخ المكى فى رسالته حيث قال بان هذا فى حق ائمتنا ومن اخذ
بقولهم من اهل النظر كابى الحسن الكرخى والطحاوى وامثالهم
اذا سئلوا يجيبوا بما ذكر وليس المراد ان يكلف كل مقلد ان يعتقد
ذلك فيما قلد فيه الى آخر كلامه وقد علمت فساد هذا الحمل بما
ذكرنا من النقول فى جواز تقليد المفضول مع العلم بالفاضل وان
ذلك لا يختص بمقلد دون مقلد وان الخلاف فى ذلك فى حق كل مقلد ٤

والله الموفق واما المقصد الرابع فهو ما حكم الاقتداء بالمخالف
وهل العبرة فى ذلك لرأى المقتدى او الامام اعلم ان هذه المسئلة
قد صنف فيها الامام العلامة رحمه الله السندى تلميذ الامام
ابن الهمام رسالة وبسط فيها الكلام فنورد بعضه على وجه
الاختصار وفى كتب فقهنا عبارات ايضا كثيرة تشابه ما ذكر فى
هذه الرسالة التى للسندى رحمه الله تعالى تركناها خوف الاطالة
فى هذه العجالة والذى قاله السندى فى رسالته رحمه الله تعالى
هو قوله اعلم انه قد اختلف علماؤنا رضى الله عنهم قديما وحديثا
فى جوازه يعنى الاقتداء بالمخالف على اربعة اقوال القول الاول
انه يجوز الاقتداء به اذا كان يحتاط فى مواضع الخلاف والا فلا وعلى
هذا اكثر المشايخ رحمهم الله تعالى منهم الامام شمس الائمة الحلوانى
وشمس الائمة السرخسى وصدر الاسلام وابو اليسر السمرقندى
وصاحب الهداية وصاحب الكافى وقاضى خان والنسفى و
صاحب التاتارخانية والصدر الشهيد وتاج الشريعة وصاحب
المضمرات وصاحب النهاية وقوام الدين شارح الهداية وفخر

Marfat.com

الدين الزيلعي شارح الكنز وشيخنا المحقق كمال الدين ابن الهمام
شارح الهداية وغيرهم من المشايخ والاصل في هذا ان المذهب الصحيح
الذي عليه المشايخ سلفا وخلفا هو ان العبرة في جواز الصلاة وعدمه
لرأي المقتدي في حق نفسه لا لرأي امامه فلو علم المقتدي من
الامام ما يفسد الصلوة على زعم الامام كمس المرأة وغيره يجوز الاقتدا
به لانه يرى جوازها والمعتبر في حقه رأيه لا غير فوجب القول
بجوازها ولو علم منه ما يفسد الصلاة عنده لا عند الامام لا يجوز
الاقتداء به لما قلنا ان العبرة لرأي المقتدي وانه يرى الاقتداء به
جائزا فوجب القول بعدم الجواز فان صلى معه يعيد صرح به
الصدر الشهيد وهذا هو الاصل الذي لا محيد عنه للحنفي فانه اما
ان يسلم هذا الاصل اولا فان كان الثاني فلا خطاب معه لتركه
المذهب وان كان الاول فلا محيص عنه او يسلم في مسائل دون
اخرى فيحتاج الى الفرق ثم انه رحمه الله تعالى سرد نقولا عديدة ثم
قال اعلم انه اذا احتاط جميع مواضع الخلاف ولم يعلم منه مفسد
هل يجوز الاقتداء به بلا كراهة او بها وهل عليه اساءة ام لا ففي
الكفاية شرح الهداية وشرح المجمع ومفتاح السعادة انه مع الكراهة
وفي فتاوى قاضي خان ومع هذا لو صلى الحنفي خلف شافعي كان
مسيئا وفي بعض كتب اخر يكره خلف الشافعي المحترز عما يبطلها
عندنا وهو المختار ثم قال رحمه الله تعالى القول الثاني انه يجوز
الاقتداء بالشافعي اذا لم نعلم منه المخالفة فيما تقدم من الشروط
وهذا القول مختار ركن الاسلام علي السعدي وذكره النمرتاشي وصححه
شيخ الاسلام خواهرزاده القول الثالث انه لا يجوز الاقتداء به
مطلقا وان راعى مواضع الخلاف لانه لا يؤدي ذلك بنية الفرض

Marfat.com

القول الرابع انه يجوز الاقتداء به مطلقا قياسا على قول ابي بكر
الرازي من صحة الاقتداء بمن رعف ثم علم ان هذا القول انفرد به
الرازي وخالفه جمهور العلماء فلهذا قال صاحب الارشاد لا يجوز
الاقتداء به اي بالشافعي في الوتر باجماع اصحابنا يعني اذا سلم
على راس الركعتين وقال الزيلعي وهو الصحيح ولم يعتبر قول الرازي
لمخالفة الاكثر حتى قال صاحب الدرر وخلاف الواحد في مسئلة
واحدة لا يكون معتبرا ويكون ردا عليه والحاصل ان الاحتجاج بقول
الرازي لا يكاد يصح لمرجوحيته وقد قالوا المرجوح في مقابلة الراجح
بمنزلة المعدوم انتهى كلام السندي رحمه الله تعالى باختصار وتمامه
مفصل هناك وقال الشيخ قاسم بن يلبغا الحنفي رحمه الله تعالى
في كتابه تصحيح القدوري اني قد رايت من عمل في مذهب ائمتنا التشهي
حتى سمعت من لفظ بعض القضاة وهل ثم حجر فقلت نعم اتباع الهوى
حرام والمرجوح في مقابلة الراجح بمنزلة العدم والترجيح بغير مرجح
في المتقابلات ممنوع انتهى وقد ذكر الشيخ محمد ابن فروخ المكي في
رسالته قول الرازي هذا وبنى رسالته عليه واعتمده كما صرح بذلك
فيها حيث قال وهذا القول يعني قول الرازي هو المنصور دراية
وان اعتمد خلافه رواية عندنا وهو الذي اميل اليه وعليه يمشي
ما ذهبنا اليه في هذه الوريقات انتهى كلامه فهذا هو التشهي و
اتباع المرجوح ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واستدل
في رسالته المذكورة على جواز الاقتداء بالمخالف من غير مراعاة منه
لمواضع الخلاف كما هو مقتضى كلامه فيها بما كانت عليه الصحابة رضي
الله عنهم من انهم كانوا يقتدي بعضهم ببعض وكذا التابعون وفيهم
المجتهدون بلا نكير منهم في ذلك وقد ترك الاستدلال بنقول

Marfat.com

المذهب الصريح وعدل الى الاستدلال بما كانت عليه الصحابة
فيقال له كانت الصحابة رضي الله عنهم مجتهدين بصريح قولك
وانت تابع لمجتهد آخر هو ابو حنيفة مثلا فكيف تقيس اجتهادهم
على اجتهاد ابي حنيفة فقد كانت مذاهبهم تقتضي ذلك ومذهبك
لا يقتضيه مع انه لم يثبت عنهم الاجماع على ذلك الا بطريق الاجماع
من انهم كانوا يصلون كلهم بالجماعة لا منفردين ونحن لا نعلم كيف
كانوا على وجه التفصيل فلا يصح الاستدلال بذلك في مقابلة
الصريح من المذهب كما رأيت ومذاهب الصحابة لا يجوز تقليدها
الآن كما قدمناه عن امام الحرمين بل لا يجوز تقليد غير المذاهب ٥
الاربعة كما سبق والله اعلم واما المقصد الخامس فهل يجوز التقليد
بعد الفعل ام لا قال والدي رحمه الله تعالى في شرحه على شرح
الدرر نقلا عن العقد الفريد لشيخه الشيخ حسن الشرنبلالي رحمه
الله تعالى اعلم انه يصح التقليد بعد الفعل كما اذا صلى ظانا صحتها على
مذهبه ثم تبين بطلانها في مذهبه وصحتها على مذهب غيره فله
تقليده ويجتزي بتلك الصلوة على ما في البزازية روي عن الامام
الثاني وهو ابو يوسف رحمه الله تعالى انه صلى يوم الجمعة مغتسلا
من الحمام بالناس وتفرقوا ثم اخبر بوجود فارة ميتة في بئر الحمام فقال
اذن نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل
خبثا انتهى ونقله ابن امير حاج عن القنية على جهة الاستشكال في
ان المجتهد بعد اجتهاده في حكم ممنوع من تقليد غيره من المجتهدين
انتهى ولا يرد علينا لان الايراد على المجتهد لا المقلد في ذلك انتهى
كلام الوالد رحمه الله تعالى قلت ويمكن الجواب عن ابي يوسف رحمه
الله تعالى انه اجتهد في دليل الشافعي رحمه الله تعالى واخذ به

Marfat.com

والمجتهد المقيد في المذهب له ان يجتهد في اصول غير امامه
لانه في معنى المقلد الذى لا يلزمه التزام مذهب معين كما سبق
اذ هو ليس بمجتهد مطلق صاحب مذهب مستقل حتى يمتنع عليه
ذلك ويؤيد هذا قوله ناخذ بقول اخواننا من اهل المدينة اذا
بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وهذا لفظ الحديث فقد ذكر انه
اخذ بدليلهم وسماه قولهم مجازا وسبق الكلام في المجتهد في
البعض بانه يقلد فيما يعجز فيه عن الاجتهاد ويجتهد فيما لا يعجز
بناء على التجزى في الاجتهاد وهو الراجح وابو يوسف من هذا القبيل
لانه ليس بمجتهد مطلق من غير شبهة وكما اخذ ابو يوسف
رحمه الله تعالى بدليل الشافعي رضي الله عنه في تلك المسئلة لم يقل
احد من الحنفية بجواز الطهارة من القلتين مع انه صار اجتهادا
له في ذلك الحين عنه الى مذهبه الاصلي بعد ذلك فكيف استدلوا
بواقعته هذه على صحة التقليد بعد الفعل والقضية واحدة ولم
يرد ذلك عن احد غيره من الامة وهذا عندى من اشكل الامور وربما
يستانس له بما قالوه في اقتداء المقيمين بالمسافر اذا لم يعلموا حاله
ان الاقتداء غير صحيح ولا يجب عليه ان يعلمهم بانه مسافر وانما
يستحب له ان يقول اتموا صلاتكم فاني مسافر فاذا سلم على الركعتين
في الرباعية ومضى يتمون صلاتهم موقوفة على علمهم بسفر الامام
فاذا علموا ذلك ولو بعد مدة صحت صلاتهم واذا علموا انه كان مقيما
يعيدون صلاتهم فكانت هذه المسئلة من هذا القبيل ولهذا نظائر
في الاحكام الثابتة بطريق الاستناد كالصلاة التي صحت خمسا المذكورة
في قضاء الفوائت فانها تظهر صحة الخمس الفواسد عند الامام الاعظم
ابي حنيفة رضي الله عنه وكالمضمونات تملك عند اداء الضمان مستندة

Marfat.com

الى وقت وجود السبب وكالنصاب فانه تجب فيه الزكاة عند تمام الحول مستندا الى وقت وجوده وغير ذلك مما ذكره فى الاشباه والنظائر فى الفن الثالث فى بحث الاستناد وفى مسئلتنا هذه لما قلد المكلف غير امامه فى عمل سبق منه فاسد عند امامه فقد صح عمله بسبب التقليد مستندا الى وقت وجوده فلا يلزمه كما وقع لابى يوسف رحمه الله تعالى فى اخذه بدليل الشافعى رضى الله عنه وهو حديث القلتين واجتهاده فيه كما سبق ان تقليد المقلد كاجتهاد المجتهد فى انه لا يجوز له العمل الا باجتهاده والمقلد لا يجوز له العمل الا بتقليد مجتهد من المجتهدين فاعلم هذا والله ولى الهداية وامّا المقصد السادس فهو فى بيان حكم التلفيق وهو الاهم الاعم فاعلم اولا ان الناس على قسمين مجتهدين وغير مجتهدين والاجتهاد على قسمين اجتهاد مطلق واجتهاد مقيد فاهل الاجتهاد المطلق لا يجوز لهم تقليد غيرهم مطلقا وانما الواجب عليهم العمل باجتهادهم كما ذكرناه فيما سبق واهل الاجتهاد المقيد يجب عليهم تقليد اهل الاجتهاد المطلق فى اصول مذاهبهم فقط دون الفروع كابى يوسف ومحمد ونحوهما من اهل الاجتهاد المقيد والظاهر انهم لا يختص وجوب تقليدهم فى الاصول لاهل الاجتهاد المطلق بمجتهد دون مجتهد بل يجوز لهم تقليد اصول اى مجتهد ارادوا ويحمل على هذا واقعة ابى يوسف رحمه الله تعالى كما ذكرنا وكل ما ورد من هذا القبيل يخرج على ذلك واما غير المجتهدين فهم عامة الناس فلا يجب عليهم التزام العمل بمذهب معين من المذاهب الاربعة على القول الراجح كما سبق بل يجوز لكل احد منهم ان يعمل فى عبادة او معاملة على اى مذهب شاء لكن بعد استيفاء جميع الشروط التى

Marfat.com

يشترطها ذلك المذهب والا كان عمله باطلا بالاجماع كما سنذكر
ولا يلزمه اعتقاد ارجحية ذلك المذهب الذي قلده والاولى
اعتقاد الارجحية للخروج من الخلاف في ذلك كما تقدم بيانه
ومتى عمل عبادة او معاملة ملفقة اخذ لها من كل مذهب قولا
لا يقول به صاحب المذهب الاخر فقد خرج عن المذاهب الاربعة
واخترع له مذهبا خامسا فعبادته باطلة ومعاملته غير صحيحة
وهو متلاعب في الدين وغير عامل بمذهب من مذاهب المجتهدين
لانه لو سئل كل مفت من اهل المذاهب الاربعة فلا يسوغ له ان
يفتي بصحة تلك العبادة او المعاملة لفقد شروط صحتها عندهم
فابن قولهم العامي لا مذهب له يعني معينا كما ذكرنا وانما مذهبه
فتوى مفتيه فاي فقيه افتاه جاز له العمل بقوله كما صرح به في البحر
وغيره في قضاء الفوائت واي مفتى حنفي يفتي بصحة الوضوء من ماء
مقدار القلتين وقعت فيه نجاسة ولم يتغير بها احد اوصافه واي
مفتى شافعي يفتي بصحة الوضوء من غير نية ولا ترتيب واي مالكي
يفتي بصحة الوضوء من غير دلك ولا موالاة واي حنبلي يفتي بصحة
الوضوء من غير تسمية فلو توضأ رجل من ماء القلتين المذكور من
غير نية ولا ترتيب ولا دلك ولا موالاة ولا تسمية فهذا الوضوء
باطل اجماعا من غير خلاف فلو حكم هو بصحته وهو مقلد لكان مخترعا
مذهبا خامسا كما ذكرنا وذلك باطل حتى لو كان مجتهدا لا يسوغ له
احداث قول خامس يخالف ما اجمعت عليه الائمة الاربعة على ما
سنذكره فكيف وهو مقلد وقد صرح الاصوليون في مبحث الاجماع
بذلك قال في التوضيح شرح التنقيح لصدر الشريعة اذا اختلف
الصحابة في قولين يكون اجماعا على نفي قول ثالث عندنا واما في غير

الصحابة

Marfat.com

الصحابة فكذا عند بعض مشايخنا وبعضهم خصوا ذلك بالصحابة اذ
لايجوز ان يظن بهم الجهل اصلا نظيره انهم اختلفوا فى عدة حامل توفي
عنها زوجها فعند البعض تعتد بابعد الاجلين وعند البعض بوضع
الحمل فالاكتفاء بالاشهر قبل وضع الحمل قول ثالث لم يقل به احد
واختلفوا فى فسخ النكاح بالعيوب الخمسة فعند البعض لا فسخ
فى شئ منها وعند البعض حق الفسخ ثابت فى كل منها فالفسخ فى البعض
دون البعض قول ثالث لم يقل به احد واختلفوا فى الخارج من
غير السبيلين فعند البعض غسل المخرج فقط واجب وعند البعض
غسل الاعضاء الاربعة فقط واجب فشمول العدم او شمول الوجود
ثالث لم يقل به احد وايضا الخروج من غير السبيلين ناقض عندنا
لامس المرأة وعند الشافعي رحمه الله تعالى المس ناقض لا الخروج
فشمول الوجود او شمول العدم لم يقل به احد وقال بعض المتأخرين
الحق هو التفصيل وهو ان القول الثالث ان استلزم ابطال ما
اجمعوا عليه لم يجز احداثه والا جاز مثال الاول الصورة الاولى
فان الاكتفاء بالاشهر قبل الوضع منتف اجماعا اما لان الواجب
ابعد الاجلين واما لان الواجب وضع الحمل فهذا يسمى اجماعا مركبا
فمابه الاشتراك وهو عدم الاكتفاء بالاشهر مجمع عليه ومثال
الثانى الامثلة الاخيرة وانه ليس فى كل صورة الا مخالفة مذهب
واحد لا مخالفة الاجماع ولو كان مثل هذا مردودا يلزم ان كل
مجتهد وافق صحابيا او مجتهدا فى مسئلة يلزمه ان يوافقه فى جميع
المسائل وهذا باطل اجماعا ثم بسط الكلام فى ذلك ثم قال فان
من احتجم ومس المرأة لا تجوز صلاته بالاجماع اما عندنا فلانتقاض
واما عند الشافعي رحمه الله تعالى فللمس فالذى يخطر ببالي ان لا

Marfat.com

يقال ان هذه الصلوة باطلة بالاجماع لان الحكم عندنا انها لا
تجوز للاحتجام والحكم عند الشافعي رحمه الله تعالى انها لا تجوز
للمس وكل من الحكمين منفصل عن الآخر لا تعلق لاحدهما بالآخر
فيمكن ان ابا حنيفة رضي الله عنه يكون مخطئا في الخروج ومصيبا
في المس والشافعي رحمه الله تعالى يكون مخطئا في المس مصيبا
في الخروج اذ ليس من ضرورة كونه مخطئا في احدهما ان يكون مخطئا
في الآخر الى اخر ما بسطه من الكلام وقال السعد التفتازاني
رحمه الله تعالى في التلويح حاشية التوضيح وانما قال فالذي يخطر
ببالي لان الظاهر انه لا خلاف في بطلان الصلاة وانما الخلاف
في جهة البطلان فالجهتان متحدان لا تغاير بينهما اصلا وانما
التغاير في العلة انتهى وقال في مرآة الاصول للملا خسرو رحمه
الله تعالى اهل العصر الاول اذا اختلفوا على قولين يكون اجماعا على
نفي قول ثالث وبعضهم خصوا الخلاف بالصحابة وانما يستقيم
عند من حصر الاجماع على الصحابة فالاصح الاطلاق انتهى وقال
المحلي رحمه الله تعالى في شرح جمع الجوامع في بحث الاجماع و
خرقه بالمخالفة حرام للتوعد عليه حيث توعد على اتباع غير سبيل
المؤمنين في الاية فعلم تحريم احداث قول ثالث في مسئلة اختلف
اهل عصر فيها على قولين واحداث التفصيل بين مسئلتين لم يفصل
بينهما اهل عصر ان خرقاه اي ان خرق الثالث والتفصيل الاجماع
بان خالفا ما اتفق عليه اهل العصر بخلاف ما اذا لم يخرقاه وقيل
هما خارقان مطلقا اي ابدا لان الاختلاف على قولين يستلزم الاتفاق
على امتناع العدول عنهما وعدم التفصيل بين مسئلتين يستلزم
الاتفاق على امتناعه وتمامه مفصل هناك اذا علمت هذا لم تتوقف

Marfat.com

فى بطلان العمل الملفق من مذهبين اوثلاثة اواربعة اذ
التلفيق فى مثل ذلك خرق للاجماع فلا يجوز للمجتهد فما بالك
بالمقلد القاصر وان اردت صريح المنقول من كتب المذهب فانا
اذكرلك ما يحضرنى من ذلك فقال الشيخ قاسم رحمه الله تعالى
فى تصحيح القدورى قال الامام ابو الحسن الخطيب فى كتاب
الفتاوى المفتى على مذهب اذا افتى بكون الشئ كذا على امام
ليس له ان يقلد غيره ويفتى بخلافه لانه محض تشهى وقال ايضا
انه بالتزامه مذهب امام يكلف به ما لم يظهر له غيره والمقلد
لا يظهر له بخلاف المجتهد حيث ينتقل من امارة الى امارة ووجه
هذا مسئلة الاصول التى حكوا فيها الاتفاق وقالوا لا يصح التقليد
فى شئ مركب من اجتهادين مختلفين بالاجماع ومثلوا له بما اذا
توضأ ومسح بعض شعرة ثم صلى بنجاسة الكلب وقال فى كتاب
توقيف الحكام على غوامض الاحكام بطلت بالاجماع وقال فيه
والحكم الملفق باطل باجماع المسلمين انتهى وقال الشيخ محمد
البغدادى الحنفى رحمه الله تعالى فى رسالة التقليد اعلم ان الصحة تقليد
المذهب المخالف شروطا منها ما ذكره ابن الهمام فى تحريره انه ان عمل
المقلد بحكم من احكام مذهبه الذى تقلده لا يرجع عنه ويقلد مذهبا
اخر وفى غيرها عمل به له ان يقلد غيره من المجتهدين الثانى ما نقله
ابن الهمام عن القرافى واعتمد عليه فى تحريره ان لا يترتب على تقليد
من قلده اولا ما يجتمع على بطلانه كلا المذهبين فمن قلد الشافعى رحمه
الله تعالى فى عدم فرضية الدلك للاعضاء المغسولة فى الوضوء والغسل
ومالكا فى عدم نقض اللمس بلا شهوة للوضوء فتوضأ ولمس بلا
شهوة وصلى ان كان الوضوء بدلك صحت صلاته عند مالك رحمه

Marfat.com

الله تعالى وان كان بلاد لك بطلت عندهما اى عند مالك والشافعى
انتهى كلام ابن الهمام مع شرح الثالث ان لا يتبع الرخص ويلتقطها
وهذا الشرط اعتبره الامام النووى وغيره لكن ابن الهمام لم يعتبره و
لم يلتفت اليه وبعضهم شرط ان لا يكون ما قلده مخالفا الصريح الكتاب
والسنة وان قال به مجتهد وهذا الشرط ايضا لما لم يكن معتبرا عند
المحققين لم يذكره ابن الهمام لا ردا ولا قبولا ثم ذكر الشيخ محمد البغدادى
رحمه الله تعالى فى احوال المقلد ان من احواله ان لا يجتمع من تقليده حالة
مركبة ممتنعة بالاجماع كما ذكره ابن الهمام بقوله ان لا يترتب عليه ما يجتمع
على بطلانه كلا المذهبين فهذه الصورة مما يمنع التقليد فيها عند الجمهور
مثاله كمن صلى بخروج الدم من غير السبيلين تقليدا للامام الشافعى
رحمه الله تعالى والمقلد حنفى المذهب ولم يزل النجاسة القليلة عن بدنه
او ثوبه بناء على مذهبه فصلاته حينئذ باطلة اتفاقا اما على مذهبه
فلخروج النجاسة من البدن واما على مذهب من قلده فقليل النجاسة
مانعة عند الشافعى رحمه الله تعالى وذكر صاحب العقد الفريد عن الامام
الاسنوى من الشافعية انه قال اذا نكح بلا ولى تقليدا لابى حنيفة
رحمه الله تعالى او بلا شهود تقليدا للامام مالك رحمه الله تعالى ووطئ
لا يحد ولو نكح بلا ولى ولا شهود ايضا تقليدا لهما حد كما قاله الرافعى
لان الامامين ابا حنيفة ومالكا قد اتفقا على البطلان انتهى كلامه وهذا
الشرط اصعب الشروط على العوام ولهذا قالوا سبب منع العوام عن
التقليد خوف وقوعهم فيما يمتنع بالاتفاق وهم لا يعلمون ولذلك
قالوا لا يصح للعامى التقليد الا بالاستفتاء عن خصوص ما اراد تقليده
انتهى كلام الشيخ محمد البغدادى رحمه الله تعالى وقال الشيخ الرملى
الشافعى رحمه الله تعالى فى شرح الورقات واذا دونت المذاهب وانتقل

52-834

المقلد

Marfat.com

المقلد من مذهب الى مذهب جاز ولو قلد مجتهدا فى مسائل اخرى
جاز لكن لا يتبع الرخص واذا استفتى فافتاه مفت لزمه الاخذ
بقوله ان لم يكن هناك مفت آخر والا فلا اذ له سؤال غيره وشرط
تقليد مذهب الغير ان لا يكون موقعا فى امر يجتمع على ابطاله الامام
الذى كان على مذهبه والامام الذى انتقل الى مذهبه فمن
قلد مالكا مثلا فى عدم النقض باللمس الخالى عن الشهوة فلا بد
ان يدلك بدنه ويمسح جميع راسه انتهى ونقل الشيخ عبد الرؤف
المناوى الشافعى رحمه الله فى شرح الجامع الصغير عن السبكى
رحمه الله تعالى ان التقليد ان اجتمعت فيه حقيقة مركبة ممتنعة
بالاجماع يمتنع انتهى ونقل والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح
الدرر عن العقد الفريد للشرنبلالى رحمه الله تعالى انه قال
بعد ذكره النقول العديدة والعبارات المعتمدة المفيدة فتحصل
لنا مما ذكرناه انه ليس على الانسان التزام مذهب معين وانه
يجوز له العمل بما يخالف ما علمه على مذهبه مقلدا فيه غير امامه
مستجمعا شروطه ويعمل بامرين متضادين فى حادثتين لا تعلق
لواحدة منهما بالاخرى وليس له ابطال عين ما فعله بتقليد امام
اخر لان امضاء الفعل كامضاء قضاء القاضى لا ينقض انتهى
فانظر قوله مستجمعا شروطه اى شروط ذلك الامام الذى
قلده وهو قاض بعدم صحة التلفيق وقال الشيخ عبد الرحمن
العمادى رحمه الله تعالى فى مقدمته اعلم انه يجوز للحنفى تقليد
غير امامه من الائمة الثلاثة رضى الله عنهم فيما تدعو اليه
الضرورة بشرط ان يلتزم جميع ما يوجبه ذلك الامام فى ذلك
مثلا اذا قلد الشافعى فى الوضوء من القلتين فعليه ان يراعى

Marfat.com

النية والترتيب فى الوضوء والفاتحة وتعديل الاركان فى الصلوٰة
بذلك الوضوء والا لكانت الصلوٰة باطلة اجماعًا فافهم انتهى
وان كان قوله فيما ندعو اليه الضرورة غير لازم لما عرفت من قبل عدم
لزوم الانسان لمذهب معين على الراجح وقد تعقبت ذلك فى
شرحى لمقدمة العمادي رحمه الله تعالى وبسطت الكلام فيه ونقل
المناوى رحمه الله تعالى فى شرح الجامع الصغير للاسيوطى عن المالكية
انه قال فى التنقيح للقرافى عن الزناتى ان التقليد جايز اذا لم يجمع
بينهما على وجه يخالف الاجماع كمن تزوج بلا صداق ولا ولى ولا
شهود فانه لم يقل به احد انتهى اذا علمت هذا كله ظهر لك عدم
صحة التلفيق بوجه من الوجوه اجماعًا فى العبادات والمعاملات
وظهر لك بطلان ما ذهب اليه الشيخ محمد بن فروخ المكى فى
رسالته من صحة التلفيق واياه منه وقد استدل عليه بعبارة
وقعت فى تحرير ابن الهمام ليس معناها ذلك فقال قد اشار الى عدم
منعه المحقق فى التحرير وانه لم يبد ما يمنع منه مع ان عبارة ابن الهمام
ليس فيها ذلك وقد نقلها الشيخ محمد البغدادي رحمه الله تعالى فى
رسالته عن شرح الهداية المسمى بفتح القدير ونقلها ايضا المناوى
الشافعى رحمه الله تعالى عن فتح القدير وهى قوله المنتقل من مذهب
الى مذهب باجتهاد وبرهان انما يستوجب التعزير وبلا اجتهاد
وبرهان اولى ثم حقيقة الانتقال انما تحقق فى مسئلة خاصة
قلد فيها وعمل بها والا فقوله قلدت ابا حنيفة فيما افتى به من
المسائل مثلًا والتزمت العمل به على الاجمال وهو لا يعرف صورها
ليس حقيقة التقليد بل تعلق له ووعد به فان اراد بهذا الالتزام
فلا دليل على وجوب اتباع المجتهد بالزامه نفسه بذلك قولا

Marfat.com

اونبه شرعا بل الدليل اقتضى العمل بقول المجتهد فيما يحتاج اليه
بقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون والسؤال انما يتحقق
عند طلب الحكم وغالب الظن ان مثل هذه الالزامات من المشايخ
لكف الناس عن تتبع الرخص والا فاخذ العامى فى مسئلة بقول كل ص
مجتهد اخف عليه وانا لا ادري ما يمنع هذا من النقل والعقل فكيف
الانسان يتبع ما هو اخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد
ما علمت من الشرع ذمه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يحب ما خف
على امته الى هنا كلام ابن الهمام فانظر كيف فهم منه هذا القاصر
الفهم ان مراده صحة التلفيق بقوله فاخذ العامى فى كل مسئلة بقول
مجتهد اخف عليه فان المراد بالمسئلة تمام الحكم لا بعضه لانه فى مقابلة
التزام مذهب معين وقد صرح فى كتابه التحرير المذكور بمنع التلفيق
فكيف الاشارة تعارض الصريح على فرض صحتها واستدل ايضا على
ذلك بعبارة وقعت لابن نجيم رحمه الله فى رسالة له عملها فى بيع الوقف
لا على وجه الاستبدال وعبارته قال مولانا قاضى خان فى فتاواه ولو
باع ارض الوقف بثمن غبن فاحش لا يجوز بيعه فى قول ابى يوسف و
هلال لان القيم بمنزلة الواقف فلا يملك البيع بغبن فاحش ولو
كان ابو حنيفة يجوز بيع الوقف بشرط الاستبدال فيجاز بيع القيم الا
اذا كان بغبن فاحش كالوكيل بالبيع انتهى كلام قاضى خان قال ابن
نجيم رحمه الله تعالى ويمكن ان تؤخذ صحة الاستبدال من قول ابى يوسف
وصحة البيع بغبن فاحش بقول ابى حنيفة بناء على جواز التلفيق فى
الحكم من قولين قال فى الفتاوى البزازية من كتاب الصلاة من
فصل زلة القاري ومن علماء خوارزم من اختار عدم الفساد بالخطا
فى القراءة اخذا بمذهب الامام الشافعى فقبل له مذهبه فى غير الفاتحة

Marfat.com

فقال اخترت من مذهبه الاطلاق وتركت القيد لما تقرر في كلام
محمد رحمه الله تعالى ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل حتى صح القضا
بصحة النكاح بعبارة النساء على الغائب انتهى كلام البزازية وما
وقع في آخر تحرير ابن الهمام من منع التلفيق انما عزاه لبعض المتاخرين
وليس هذا المذهب انتهت عبارة ابن نجيم رحمه الله تعالى فلما نقله
عن قاضيخان جواز التلفيق من قول ابي حنيفة وابي يوسف فهو
تلفيق من مذهب واحد اذ اصول القولين واحدة على ان مسئلة
البيع بغبن فاحش وقعت في كتاب الاسعاف في احكام الاوقاف
وعبارته ولو باعها بغبن فاحش لا يصح في قول ابي يوسف وهلال
لان القيم كالوكيل ولو اجاز ابو حنيفة الوقف بشرط الاستبدال
لاجاز البيع بالغبن الفاحش كما هو مذهبه في بيع الوكيل به انتهى
فانظر قوله كما هو مذهبه في بيع الوكيل به فان التلفيق في هذا واما
واقعة بعض علماء خوارزم في تلفيقه المذكور فهي مشروطة بالاجتهاد
كما صرح به بعد ذلك بقوله لما تقرر في كلام محمد ان المجتهد يتبع
الدليل اي دليل المجتهد الاخر الذي اراد موافقته في ذلك الحكم لا
القائل اي لا يتبع المجتهد الاخر لان المجتهد لا يسوغ له اتباع مجتهد
آخر ومن هذا الباب ما ينقل عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى انه
ترك قنوت الفجر عند قبر ابي حنيفة رحمه الله تعالى يوم زيارته له في
بغداد فانه محمول على اجتهاده ذلك اليوم فقط في دليل ابي حنيفة
رحمه الله تعالى في نسخ قنوت الفجر لرجحان دليله عنده ثم رجع بعده
الى اجتهاده ولا بقاس المقلد على المجتهد في هذا الامر عند كل واقعة
وان اجاز للمقلد اتباع المجتهد في تلك الواقعة بعينها ان دام المجتهد
فيها على ما ذهب اليه من الموافقة للمجتهد الاخر وان رجع بطل الحكم

بعضه

Marfat.com

بصحة ذلك وهذا كله على القول بجواز الاجتهاد المخالف للاجماع على
قولين او ثلاثة كما سبق بيانه واما قول ابن نجيم رحمه الله تعالى وليس
هذا المذهب فيحتمل رجوعه الى العنز ولبعض المتاخرين لقربه ويحتمل
رجوعه الى منع التلفيق فيكون مراده ان منع التلفيق مطلقا المتبادر من
عبارة ابن الهمام سواء كان فى المجتهد وغيره ومن مذهب ومن مذاهب
ليس هو المذهب بل يسوغ الحكم بذلك للقاضى المجتهد ولو على قول
لاسيما من مذهب واحد كما هى مسئلة المبرهن عليها قبل ذلك على
ان كلام ابن نجيم هذا وان فرضنا صحة دلالته على جواز التلفيق مطلقا
لا ينافض ما سبق التصريح به من عبارات كتب الاصول والفروع فى منع
التلفيق بالاجماع وان التصريح من الاشارة ولابن نجيم رحمه الله تعالى
عبارات فى كتابه شرح الكنز صريحة فى اشتراط المراعاة من الامام
لصحة الاقتداء بالمخالف فكيف يكون قائلا فى عبارته هذه بصحة
التلفيق مطلقا من مجتهد ومقلد وقد استدل مصنف الرسالة ايضا
بوافقه ابى يوسف المذكورة فيما سبق على صحة التلفيق قائلا فقد
حصل التلفيق منه وهو او فى حجة لنا ومراده ان ابا يوسف صلى على
مذهبه وانما قلد فى خصوص الوضوء من القلتين وعلى فرض تسليم
التلفيق فى ذلك فان المجتهد له ان يجتهد فى دليل مجتهد اخر كما
ذكرنا ولا كذلك المقلد على ان صلاة ابى يوسف على مذهبه ليست
فاسدة على مذهب غيره حتى يكون ذلك تلفيقا والحاصل ان جميع هذه
الوجوه التى استدل بها هذا القائل بالتلفيق الخارق للاجماع المعتبر
بذلك فاسدة لا اعتداد بها ولا يجوز اعتبار ذلك منه لمخالفته للصريح
فى منع التلفيق كما ذكرنا واذا كان المجتهد لا يسوغ له التلفيق اذا
ادى اجتهاده اليه على حسب ما قدمناه فكيف بالمقلد القاصر ولا

Marfat.com

حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد و
على آله وصحبه اجمعين قال المؤلف اطال الله عمره هذا
آخر ما قصدناه في بيان مسئلة التقليد و
التلفيق والله الهادي الى سواء الطريق
وقد فرغنا من تسويدها نهار
الاربعاء منتصف شهر
رجب سنة ست
وثمانين
والف
م

فقد اطلعت على هذا الكتاب فوجدت فيه
ما هو حق صحيح موافق للكتاب والسنة
واجماع الامة واقوال العلماء

منظور نظر عبد الحكيم آرواسي
حسين حلمي بن سعيد عبيد عاصي

Marfat.com

(الجزء الاول)
(من كتاب الحديقة)
(الندية شرح الطريقة)
(المحمدية للعارف بالله)
(تعالى والدال عليه سيدى)
(عبد الغنى النابلسى الحنفى)
(الدمشقى مسلك المريدين)
(ومرشد السالكين)
(رحمه الله آمين)

Marfat.com

شرح الطريقة المحمدية

لسيدى عبد الغنى

النابلسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الابرار * حتى سرح طرف قلوبهم فى الحدائق اليانعة من تلك المعارف والاسرار * واذاقهم حلاوات مناجاته فى خلوات عباداته وكشف عن وجوههم استار الاغيار * فتسابقوا فى ميدان التوحيد على خيل التجريد مسرجة بالفرد فلم يدرك لهم غبار * وجعلهم حجة على اهل الغفلة المكبلين فى قيود الاغترار * ومحجة واضحة الى عناية المالك الجليل وحماية الملك الجبار * والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبى المختار * الذى اهتدى بانوار شرائعه وارتوى بانواء ذرائعه ذو الغواية المختار * صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود لموصل كل من اتبعه الى رؤية الله تعالى فى دار القرار * وعلى آله السادة الاطهار * الطالعين فى سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والاقمار * وعلى اصحابه الائمة الكاملين فى جميع الاطوار * اهل الزهد والتوكل والاستقامة والايثار * خصوصا الخلفاء الاربعة منهم والمهاجرين والانصار * وعلى التابعين لهم باحسان ما تعاقب الليل والنهار * (اما بعد) فيقول الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبد الغنى بن اسمعيل ابن عبد الغنى بن اسمعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعد الدين بن جماعة النابلسى الدمشقى الحنفى اخذ الله تعالى بيده * وامده بمدده * ورحم اجداده واسلافه * وسقاهم من الرحيق المختوم فى الجنان سلافه * لما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ما جل منه ومدق كانت الشريعة

﴿ ماظهر ﴾

Marfat.com

ماظهر للمجتهدين من اقواله وافعاله *والطريقة ماتبين للسالكين من اخلاقه واحواله* والحقيقة ماانكشف للواصلين من مكاشفاته فى معاملاته وخطر على باله* وللشريعة فقهاء وكتب لهم مؤلفة فى ذلك * وللطريقة فضلاء وكتب لهم مصنفة للسالك * وللحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة الى ماهنالك* وان من اجل المصنفات فى علم الطريقة التى هى البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة (كتاب الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية) التى صنفها الشيخ الامام * والمولى الهمام * العالم العامل * والفاضل الكامل* محمد افندى الرومى البركلى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه *واسكنه فسيح جنانه * كان ابوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من اصحاب الزوايا ونشأ هو فى طلب العلوم والمعارف حتى برع فيهما واشتغل على المولى محيى الدين اخى زاده وصار ملازما من المولى عبدالرحمن احد قضاة العساكر فى زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبدالله القرمانى البيرامى ثم امره شيخه بالعود الى الاشتغال بمدارسة العلوم وافادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل بينه وبين عطاء معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطاء المذكور مدرسة بقصبة بركل وجعله مدرسا فيها وعين له فى كل يوم ستين درهما * له من المصنفات هذا الكتاب الذى سماه الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية وشرح مختصر الكافية للبيضاوى فى النحو وله متن لطيف فى علم الفرائض وله فى الحديث والقرا آت والفقه تعاليق ورسائل كان قائما بالحق لاتأخذه فى الله لومة لائم ينصر الشريعة ولايهاب كبيرا ولاصغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفى فى جمادى الأولى سنة* احدى وثمانين وتسعمائة* رحمه الله تعالى وكتابه هذا باله من كتاب لطيف *وتأليف شريف *مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات* وجمع بين الفوائد العمليات والفرائد الاعتقاديات *واتقن تحريره * واوضح تقريره * ونصح فيه الامة* وازال به عن القلوب الغمة* وقد دعانى الى شرحه بعض الاصحاب* جعلنى الله تعالى واياهم من المؤيدين بالعناية والصواب* ولما كن وقفت له على شرح يكشف عن عباراته* ويوضح مااشكل عند القاصرين من اشاراته* فشرعت فى شرح له مختصر المبانى* مستجمع المعانى * يجذب الى محاسنه قلوب اهل الكمال * ويصرف عن التطفل على موائدفوائده اهل التعصب من الجهال* وقد سميته (الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية) ومن الله تعالى استمد الهداية والتوفيق* واسأله ان يوقفنى مواضع الزلل ويؤيدنى بالتحقيق* وان ينفع بكتابى هذا امة محمد عليه الصلاة والسلام * ويوفقهم لعلمه والعمل به ويختم لى واياهم حسن الختام* وحسبنا الله ونعم الوكيل *والله يقول الحق وهو يهدى السبيل* قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)

وفات بركوى ٩٨١

Marfat.com

(فكل مخلوق محمود) فانه (ناشئ) فى الانسان (منها) حال كونها (منفردة) اى متفرقة تظهر فى الانسان واحدة فواحدة فيكون ذلك الخلق المحمود صادرا عن واحدة منها فقط (او مجتمعا بعضها) مع بعض بحيث يصدر ذلك الخلق عن ثنتين منها (او من مجموعها) اى كلها (المسمى) ذلك المجموع فى الشريعة (بالعدالة) وهى استقامة الدين والسيرة وحاصلها كيفية راسخة فى النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وترك البدعة والمعتبر فيهما رجحان الدين والعقل على الهوى والشهوة ولما كانت العدالة هيئة خفية نصب لها علامات هى اجتناب اربعة امور وان ثم بمعصية لان فى اعتبار الكل سد باب العدالة الاول الكبائر الثانى الاصرار على الصغائر فقد قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والثالث الصغائر الدالة على خسة النفس كسرقة لقمة والتطفيف بحبة والرابع المباح الدال على ذلك كاللعب بالحمام والاجتماع مع الارذال والاكل والبول على الطريق ونحو ذلك كذا فى مرآة الاصول (فمن حصل له) ذلك الخلق المحمود (بكسب) اى سعى وتحصيل (او طبع) بان كان مجبولا عليه (فيحفظه) لئلا يتبدل فيه بضده (بملازمة اهله) اى من فيهم ذلك الخلق يدوم عليه خلقه بسببهم فان الصاحب يقتدى بصاحبه والمجاورة توجب الاشتراك فى المحاورة (و) ملازمة (عدم صحبة الاشرار) البعيدين عن الاخلاق الجيدة فان صحبتهم تزيل عنه ذلك الخلق المحمود وتثبت فيه ضده (واياه) اى ليحذر من حصل له ذلك الخلق المحمود (والاسترسال) اى من المداومة (فى) الامور (الملاهى) اى المشغلة للقلب عن تحصيل الكمال (والمزاح) مصدر مزح كمنع مزحا ومزاحة ومزاحا بضمهما كذا فى مختصر القاموس وفى الصحاح المزح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا واما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان (والمراء) اى المجادلة مع الغير فى العلم او الدنيا (وليرض) اى يذلل من راض المهر رياضا ذلله فهو رائض واستراضت النفس طابت وراوضه داراه كذا فى مختصر القاموس (نفسه) اى ذاته ليدوم عليه ذلك الخلق المحمود (بوظائف) اى امور راتبة (علمية) كقراءة العلوم والتدريس فيها ومطالعة الحاقها وتصنيف مسائلها ونسخ كتبها (و) وظائف (عملية) كالاشتغال بنوافل الصلوات والصيام والحج والصدقات وزيارة الصالحين احياء وامواتا وخدمتهم ونحو ذلك ثم بين رياضة نفسه بقوله (فليذكر) اى يتذكر ولا ينس (جلالته) اى عظمة ذلك الخلق المحمود (ودوامه) اى دوام ذلك الخلق فانه من اشرف الامور (وصفائه) لمن كدر ضده (وحقارة الدنيا) بالنسبة الى الآخرة فانها اى الدنيا لا توازن عند الله تعالى جناح بعوضة (وزوالها) السريع فكأنها لم تكن (ونكدها) الكثير اى عسرها وشدتها على اهلها

Marfat.com

(وباستماع) معطوف على ملازمة (ما) اى الذى (ورد) من الآيات القرآنية والاخبار النبوية (فى) مدح (حسن الخلق) فانه منشط للمحافظة على ما حصل له من ذلك الخلق المحمود (اجمالا) اى بطريق الاجماع (وتفصيلا) اى بطريق التفصيل (والثانى) اى ما ورد تفصيلا (سيجئ) بيانه فى هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى ومن الاول) اى مما ورد اجمالا (قوله تعالى) فى حق النبى صلى الله عليه وسلم (وانك) يا محمد والله (لعلى خلق) اى مستعل عليه مالك له لاهو مالك لك وهذا غاية الكمال ان يملك المقامات ويكون فيها على حسب ما يريد (عظيم) قال الحليمى وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والمداهنة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد رضى الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ذكره القسطلانى فى مواهبه ونقدم بسطه فى شرح الديباجة (وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما خرجه) اى رواه (طك) يعنى الطبرانى فى معجمه الكبير (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد) المؤمن (ليبلغ) اى ينال (بحسن خلقه) الذى يتخلق به (عظيم درجات الآخرة) اى مراتبها العالية (وشرف المنازل) فى دار الجنان (و) الحال (انه) اى ذلك العبد (لضعيف العبادة) اى قليلها فلا تضره قلة عبادته لله تعالى مع حسن خلقه (وانه) اى العبد (ليبلغ بسوء خلقه اسفل دركة) وهى واحدة دركات النار منازل اهلها والنار دركات والجنة درجات والقعر الآخر درك ودرك قاله ابن فارس فى المجمل (فى جهنم) ويقابله وان كان كثير العبادة لانه يهدمها فى الحال بسوء خلقه فهيهات ان تبقى له عبادة مع ذلك فان الرياء والسمعة والعجب والغيبة تحبطات العمل كما سيأتى بيانها ان شاء الله تعالى وهى من الاخلاق السيئة (حد ق حك) يعنى روى الامام احمد والبيهقى والحاكم رضى الله عنهم باسانيدهم (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعثت) اى بعثنى الله تعالى الى الامة (لاتمم) لهم (مكارم الاخلاق) فان فيهم بعضها كالكرم الذى فى العرب والشجاعة التى فى قريش والرقة التى فى اليمن ونحو ذلك فانه عليه السلام كمل لهم ما كان ناقصا فيهم من انواع الاخلاق الكريمة وزاد فى رواية جابر رضى الله عنه ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم ادب بالقرآن العظيم كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عزوجل كما قال عليه السلام ربى عرفنى كل شئ

Marfat.com

كانت اخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الله الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين ذكره القسطلانى فى مواهبه عن الحرالى (طب ز) يعنى روى الطبرانى والبزار بسنادهما (عن انس) بن مالك رضى الله عنه (انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ذهب صاحب حسن الخلق) اى ظفر وفاز (بخير الدنيا والآخرة) لحصوله على ما يتوصل به الى المنافع الدنيوية والاخروية وهو الخلق الحسن اذ به يراعى حقوق الله تعالى عليه وحقوق الناس فيسلم من المطالبة بشئ من ذلك (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما حسن) بالتشديد (الله) تعالى اى جعل حسنا (خلق) بفتح فسكون اى خلقة وصورة (رجل) من الناس (وخلقه) بضمة اوضمتين اى طبيعته وعادته (فيطعمه) اى الله تعالى (النار) فى الآخرة بادخاله فيها وتعذيبه بها اذ حسن خلقته بحببه الى الناس وحسن طبيعته بحببه الى الله تعالى والى الناس فيكمل له محبة الله تعالى له ومحبة الناس له فيسعد فى الدنيا والآخرة فلا يدخل النار نار الدنيا التى هى نار الغضب من الناس عليه مع بقية المخلوقات ونار الآخرة ايضا التى تسعر بغضب الرحمن (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق) اى خذه والزمه بلا مفارقة (قال) ابو هريرة له عليه السلام (وما حسن الخلق) يعنى اى شئ هو (يا رسول الله قال) له النبى (صلى الله عليه وسلم) حسن الخلق ثلاث خصال الاولى (تصل) اى تواصل وتخالط بالنصح والاخلاص (من قطعك) اى قاطعك وباعدك وهجرك من الناس اذا علمت رغبته فيك مع كراهة بدايتك لك بالمودة تكبرا منه او حقدا عليك لتذل له اولتتأدب معه لا اذا علمت عدم رغبته فى صحبتك فانه تعرض منك للمجادلة والمماراة او علمت عدم عود المودة بينكما او كان يترتب على ذلك ارتكاب معصية منك او منه فان فى الوصل حينئذ قطعا فى الباطن (و) الثانية (تعفو) اى تصفح (عمن ظلمك) من الناس بمنعك حقك عليه من مال او منصب شرعى او خدمة او تأدب او نحو ذلك اذا لم يترتب على عفوك عنه تجرئة عليك او على غيرك او كان فى مؤاخذتك له حق الشرع والا كان فى عفوك عنه ظلم له (و) الثالثة (تعطى) مالا او علما او وفاء بعهد (من حرمك) اى منعك من شئ من ذلك اذا لم يكن فيه اعانة على معصية والا كان حراما منك له لا اعطاء (فعليك) يا (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بتخلية) اى تفريغ (قلبك عن الرذائل) التى هى الاخلاق المذمومة (وتحليته) اى قلبك (بالفضائل) التى هى الاخلاق المحمودة (فان التصوف عبارة عنهما) اى عبارة عن التخلية والتحلية (اذ) اى لانه (قيل فى تفسيره)

Marfat.com

عندا هله (هوالخروج من كل خلق من دنى) اى سافل مذموم (والدخول فى كل خلق سنى) اى عال محمود وهو قول الامام ابى محمد الحريرى وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن التصوف فقال هوان يميتك الحق عنك ويحييك به وسئل عمرو بن عثمان المكى عن التصوف فقال ان يكون العبد فى كل وقت بما هو اولى فى الوقت وقال محمد بن على لقصاب التصوف اخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام وقال معروف الكرخى رضى الله عنه التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى ايدى الخلائق ذكره القشيرى فى رسالته

﴿ القسم الثانى ﴾

من القسمين اللذين لابد منهما (فى) بيان (الاخلاق الذميمة) اى المذمومة (وتفسيرها) اى البحث عن معناها (و) ذكر (غوائلها) اى آفاتها ومفاسدها التى تترتب عليها (و) ذكر (علاجها) اى مداواتها (تفصيلا) على وجه التفصيل (اعلم) ياايها السالك (انى تتبعتها) اى الاخلاق الذميمة (فوجدتها ستين) خلقا الخلق (الاول) من الاخلاق الستين المذمومة (الكفر بالله تعالى والعياذ) اى الالتجاء والاحتماء بالله تعالى منه وهو) اى الكفر (اعظم المهلكات) فى الدنيا والآخرة (على الاطلاق) اذلا معصية اقبح منه (فنقول) فى بيانه (وبالله) سبحانه لابغيره (التوفيق) لنا على مانشرع فيه (هو) اى الكفر فى اللغة وفى الشرع (عدم الايمان عمن) اى عن عبد (من شأنه ان يكون مؤمنا) فلا يوصف به الجماد ونحوه لانه ليس من شأنه عند العقلاء ان يكون مؤمنا فعدم ايمانه لايسمى كفرا وكذلك غير المكلف من بنى آدم كالصغير والمجنون لايوصف بالكفر لعدم وصفه بالايمان لانتفاء التمييز (والايمان هو التصديق بالقلب) اى اعتقاد التصديق على وجه القطع والجزم (بجميع ماجاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من عند الله) تعالى الى الخلق (والاقرار) باللسان (به) اى بجميع ذلك المذكور (عند عدم المانع) من الاقرار (حقيقة) كالخرس (وحكما) كخوف القتل اوتلاف عضو منه فيما اذا اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان (او) عند عدم المانع (حكما فقط) بان كان غير خائف اوآتى بالاقرار بلسانه لكن لايمكنه لوجود المانع الحقيقى وهو الخرس فانه معذور ايضا فى ترك الاقرار حينئذ كما اذا عدم المانع حقيقة فقط فى القادر اذا كان مكرها على اظهار الكفر بقتل اوقطع عضوله فانه معذور ايضا فى ترك الاقرار (وتفسير الكفر بالانكار) لشئ مما علم من الدنيا بالضرورة (ليس بجامع لخروج الشك و) خروج (خلو) اى فراغ (الذهن) اى الخاطر (عنه) اى عن الكفر فان الشك كفر وكذلك خلو الذهن وهو عدم التصديق والتكذيب معا وبقاء الذهن خاليا عنهما فانه كفر ايضا فى غير اهل الفترة مع انهما ليسا بانكار (فعلى) مقتضى التعريف (الاول) للكفر يكون (بينهما) اى بين الكفر والايمان

Marfat.com

(تقابل العدم والملكة) اى القوة الراسخة فان هذا التقابل من جملة المتنافيات وهو عدم الملكة عما من شأنه ان يكون متصفا بها كالعمى والبصر فان بينهما تقابل العدم والملكة اذ العمى عدم البصر عما من شأنه ان يكون متصفا به فلا يقال للجدار اعمى لانه لا يقال له بصير (وعلى) مقتضى التعريف (الثانى) للكفر يكون بين الكفر والايمان (تقابل التضاد) فان الضدين هما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف بحيث لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض ولعل مراد المصنف رحمه الله تعالى هنا بالتضاد مطلق التنافى بين الامرين فيشمل النقيضين كالحركة والسكون ووجود زيد وعدمه فانهما لا يجتمعان ولا يرتفعان والكفر والايمان بالتفسير الثانى كذلك (والكفر) بالله تعالى (ثلاثة انواع) النوع الاول كفر (جهلى) اى منسوب الى الجهل وهو عدم العلم بالحق (وسببه) الموصل اليه (عدم الاصغاء) اى الاستماع لتقرير الدين من أئمة الاسلام (و) عدم (الالتفات) الى ذلك بالتعلم من اهله (و) عدم (التأمل فى الآيات) اى العلامات المنصوبة فى الآفاق وفى الانفس على الحق (و) فى (الدلائل) الشرعية المقررة فى الكتاب والسنة (كفر) الكافرين من (العوام) المشتغلين بالدنيا المعرضين عن الاشتغال بالدين فلا يعرفون شيئا من العلوم العقلية ولا النقلية (والجهل هو) الخلق (الثانى من) الاخلاق السيئة المذمومة التى هى (آفات القلب) اى مهالكه ومفاسده (وهو) اى الجهل (عدم العلم عمن) اى عن الشخص الذى (من شأنه ان يكون عالما) فلا يقال للجماد والحيوان جاهل لانه لا يقال له عالم فبينهما تقابل العدم والملكة (وهو) اى الجهل (نوعان) النوع الاول جهل (بسيط) اى غير مركب لان صاحبه يجهل فقط ولا يجهل انه يجهل بل يعلم انه يجهل (واصحابه) اى المتصفون بهذا النوع منه (كالانعام) اى البهائم او الابل والبقر والغنم او الابل فقط وانما شبهوا بهم (لفقدهم ما به يمتاز) اى يفترق (الانسان عنها) اى عن الانعام من العلم والادراك (بل هم) اى اصحاب الجهل البسيط (اضل) اى اكثر ضلالة من الانعام (لتوجهها) اى الانعام (نحو) اى جهة (كمالاتها) بالانقياد الى ما هى مأمورة بان تنقاد له من نوع الانسان وهى مسخرة له تحت ملكه وتصرفه دون الانسان الجاهل فانه غير منقاد لله تعالى الذى هو مأمور بالانقياد اليه (فما وجب) اى افترض على المكلف (علمه مما) اى من العلوم التى (سبق) ذكرها (حرم جهله ومالا) يجب علمه (فلا) يحرم جهله (وعلاجه) اى مداواة الجهل البسيط (بعد معرفة غوائله) اى آفاته ومهالكه (و) معرفة (فوائد العلم مما) اى من الفوائد التى (سبق) ذكرها (فى فضل العلم) المتقدم بيانه (التعلم) اذ لا انتفع للجهل من التعلم فان العلم دواؤه المجرب ودرياقه الموصوف له عند المقرب (وقد يحصل) للانسان (بسبب تعارض الادلة العقلية) عنده حين يريد استعمالها لتلفيق قياس عقلى يثبت به مسئلة نظرية او يرد على مبتدع (جهل)

Marfat.com

بالامر على ماهو عليه (يسمى) ذلك الجهل (حيرة و) يسمى (شكا و) يسمى (ترددا و) يسمى (توقفا) وذلك لعدم القطع فيه بشئ (فعلاجه) اى مداواته ليزول بالكلية (ممارسة) اى مدانأة ومداولة (القوانين العقلية) اى القواعد الكلية وامثلتها (كالمنطق) وسبق الكلام عليه (وغيره) من علم الكلام والحكمة اليونانية وان كان ذلك محذورا عليه فان مراده تحقيق المسئلة النظرية ليعلم حكم العقل فيها او يرد على المبتدعة من جنس كلامهم لاليعتقد ما انتج له نظره العقلى وقياسه الفكرى من ذلك فان الايمان بما تضمنه الكتاب والسنة على حسب ما يعلمه الله تعالى من ذلك ويعلمه رسوله هو مبنى الدين المحمدى وبعد حصوله لاحرج فى مقارعة اهل الاعتزال وغيرهم بالادلة النظرية بغية ردهم الى الطريق الاسلامية (حتى يطلع) ذلك الجاهل المتحير (على) وجود (شرط) كان (اهله) هو (او) كان (اعتبره ولم يكن) عند اصحاب القوانين العقلية (معتبرا فى احد) متعلق بيطلع (الدليلين) المتعارضين عنده (فيزول التعارض) حينئذ واذا زال التعارض (فالحيرة) تزول ايضا وهى هذا النوع من الجهل المذكور (وتعارض الادلة الشرعية) من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الجلى والقياس الخفى المسمى بالاستحسان (قد لا يمكن دفعه) اى ازالة ذلك التعارض بترجيح احد الدليلين على الآخر ولابد ان يكون الدليلان المتعارضان ظنيين اذ لا يقع التعارض بين القطعيين لامتناع وقوع المتنافيين فلا يتصور الترجيح لانه فرع التفاوت فى احتمال النقيض فلا يكون الا بين الظنيين كذا فى مرآة الاصول ثم بين عدم امكان الدفع بقوله (بان لا يعلم التاريخ) اى تقدم زمان وجود احد الدليلين على الآخر اذ لو علم التاريخ لحمل على النسخ كما فى معارضة الكتاب للكتاب او السنة للسنة ولم يعلم التاريخ فان علم حمل على النسخ لامتناع حقيقة التعارض فى الكتاب والسنة لانه انما يتحقق اذا اتحد زمان ورودهما والشارع عن تنزيل دليلين متناقضين فى زمان واحد بل ينزل احدهما سابقا والآخر لاحقا ناسخا للاول لكنا اذا جهلنا التاريخ توهمنا التعارض واذا علمنا التقدم والتأخر حملنا عليه (وامتنع الترجيح بالاسباب المرجحة) لاحد الدليلين على الآخر كوجوه الترجيح الكائنة فى الكتاب كترجيح النص على الظاهر والمفسر على النص والمحكم على المفسر ونحو ذلك والترجيح فى السنة كالترجيح بفقه الراوى والمشهور من الرواية على الآحاد وترجيح المسموع من النبى صلى الله عليه وسلم على ما يحتمل السماع كما اذا قال احدهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجيح الحظر على الاباحة وما يوافق القياس على ما لا يوافقه والترجيح فى القياس بقطعية حكم اصله وقوة ظن دلائله الظنية وعشاركة الفرع فى الاصل فى نوع الحكم والعلة ثم فى نوع العلة ثم فى نوع الحكم وبقطعية العلة كالمنصوصة والمجمع عليها وتمامه مفصل فى الاصول وحيث جهل التاريخ وامتنع الترجيح بما ذكر

Marfat.com

(فيوجب) التعارض المذكور (الشك والتوقف) فى الحكم فلا يقطع فيه بشئ (فلذا توقف بعض المجتهدين) من ائمتنا وغيرهم (فى بعض المسائل) الشرعية (كائمتنا الثلثة) وهم ابوحنيفة وابويوسف ومحمد رضى الله عنهم حيث توقفوا (فى سؤر) اى بقية الماء القليل فى الاناء ونحوه حيث وقع فيها فم (البغل والحمار) ووصل البهاشئ من لعاب احدهما فان الماء يصير مشكوكا فى طهوريته حينئذ وقيل فى طهارته وسبب ذلك تعارض الاخبار والآثار وامتناع القياس فقد روى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل لحوم الحمر الاهلية وروى ايضا انه عليه السلام قال كل من سمين مالك لما قال لم يبق من مالى الا هذه الحمرات وروى عبدالله بن ابى اوفى انه عليه السلام حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وروى غالب بن ابجر انه عليه السلام اباحها فاوجب ذلك اشتباها فى لحمه ويلزم منه الاشتباه فى سؤره لان لعابه متولد منه فاخذ حكمه وتعارض الآثار يقول ابن عمر رضى الله عنهما ان سؤر الحمار نجس وقول ابن عباس رضى الله عنهما انه طاهر وامتناع القياس انه لا يمكن الحاقه بالهرة لانه ليس مثلها فى الطواف ولا بالكلب للضرورة ولا الحاق لعابه بلحمه اولبنه فى اوضح الروايتين وان روى عن محمد انه طاهر ولا يؤكل لان فيه ضرورة الاختلاط ولا بعرقه الطاهر فى ظاهر الرواية لان الضرورة فيه اكثر كذا فى مرآة الاصول (و) كتوقف (ابى حنيفة رضى الله عنه فى اطفال المشركين) هل هم فى الجنة اوفى النار مع آبائهم وقد رأيت فى المنام رؤيا تدل على ترجيح القول بانهم خدام اهل الجنة ذكرتها فى كتابى النوافح الفايحة بروايح الرؤيا الصالحة (و) توقفه ايضا رضى الله عنه فى (وقت الختان) فى اى سنة من عمر الصغير (و) توقفه ايضا فى (دهر منكر) اى بصيغة التنكير كما اذا حلف لا يكلمه دهرا فالمراد به وفى شرح الدرر قال ابوحنيفة دهر منكر لا ادرى ما هو اى باى شئ يقدر من الزمان وعندهما نصف سنة كحين وزمان والدهر معرفا يراد به الابد عرفا انتهى والتوقف فى مثل ذلك لا يكون الا من كمال العلم والورع وقد جمع بعضهم المواضع التى توقف فيها الامام ابوحنيفة رضى الله عنه بقوله

من قال لا ادرى بما لم يدره * فقد اقتدى فى الفقه بالنعمان
فى الدهر والخنثى كذاك جوابه * ومحل اطفال ووقت ختان

واوصلها بعضهم الى ثمانية فى قوله

ورع الامام الاعظم النعمان * سبب التوقف فى جواب ثمان
سؤر الحمار بفاضل جلالة * وثواب جنى على الايمان
والدهر والكلب المعلم ثم مع * ذربة الكفار وقت ختان

وذكر الحدادى فى شرح القدورى انها اربعة عشر مسئلة وفى خزانة الفتاوى الدهر ومحل الاطفال ووقت الختان واذيال الخنثى من الفرجين معا وان الملائكة افضل

Marfat.com

من الانبياء ومتى يصير الكلب معلما وسؤر الحمار ومتى تطيب الجلالة ومثله فى عمدة المفتى ثم قال وتوقفه فى هذه المسائل من جلالة قدره وعلو امره فى العلم وغاية ورعه فى الزهد حيث توقف ولم يجازف والتوقف عند عدم الدليل نوع علم قال الله تعالى * ولا تقف مالیس لك به علم * وهذا المقدار فى الينابيع ايضا ثم قال وتوقف ابى حنيفة رضى الله عنه فى هذه المسائل من غاية معرفته بالاحكام وغاية ورعه فى الدين اذ لو لاح له وجه جلى لحكم به ولتلقاه الناس منه بالسمع والطاعة كما تلقوا منه سائر الاحكام واقتدوا به وما من احد من الناس احاط بالعلوم كلها كما نطق به الكتاب بقوله تعالى * وما اوتيتم من العلم الا قليلا * ولان هذا من سيرة الانبياء عليهم السلام الا ترى ان النبى عليه الصلاة والسلام سئل عن افضل البقاع قال لا ادرى حتى هبط جبريل عليه السلام فاخبره بان افضل البقاع المساجد وكذلك سئل عن اولاد المشركين قال الله اعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم الى غير ذلك مما توقف فيه صلوات الله وسلامه عليه وقال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال محمد كان الامام يقف فى اطفال المشركين والمسلمين والمختار ان التوقف فى اطفال المسلمين مردود فانهم فى الجنة واختار البعض فى اطفال المشركين انهم خدام اهل الجنة كذا فى البزازية وذكر ايضا والدى رحمه الله تعالى ان اقصى وقت الختان اثنى عشر حولا واما اقل وقته فقال ابو حنيفة لا علم لى به ولم يرد عن ابى يوسف ومحمد فيه شئ واختلف المشايخ فيه بعضهم قالوا سبع سنين وبعضهم تسع سنين وبعضهم عشر سنين وبعضهم لم يوقتوا وقابل قالوا اذا كان بحال يطيق المه يختن ومالا فلا كما فى الذخيرة وقال ابو الليث المستحب عندى اذا بلغ سبع سنين يختن فيما بينها وبين عشر كما فى الينابيع ومجمع الفتاوى ويكره التاخير الى وقت البلوغ كما فى السراج الوهاج (و) النوع الثانى جهل (مركب) من جهل وجهل انه جهل (وهو اعتقاد) بالقلب (غير مطابق) لما هو عليه بان يجهل الامر ويجهل انه يجهل ذلك الامر (وهو شر من) الجهل (الاول) البسيط لكونه جهلين والاول جهل واحد (وهو مرض) من امراض القلوب (مزمن) اى باق على الازمنة الطويلة (قل ما يقبل العلاج) اى المداواة كما روى ان عيسى ابن مريم عليه السلام قال داويت الاكمه والابرص واحييت الموتى واما الجهل المركب فقد اعيانى دواؤه (لان صاحبه) اى الجهل المركب (يعتقد انه) اى الجهل المركب (علم وكمال) فيه (لا) انه (جهل ومرض فلا يطلب ازالته) عنه (و) لا (علاجه) لانكاره انه مرض (الا ان يطلع على فساده) اى كونه فاسدا (بغتة) من تلقاء نفسه اذ لا يسمع كلام احد فى ذلك (بعناية الله تعالى) له اى بسبب ذلك ان تداركه الله تعالى وآلامات على جهله (والنوع الثانى) من انواع الكفر الثلاثة (كفر جحودى) اى منسوب الى الجحود وهو الانكار (وعنادى) اى منسوب الى المعاندة

Marfat.com

وهى المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد كذا فى مختصر القاموس (وسببه) اى الكفر الجحودى العنادى ثلاثة اشياء الاول (الاستكبار) اى التكبر فى النفس (وسيجئ) بيان التكبر فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (ككفر فرعون وملأه) اى قومه فانهم كانوا متكبرين فى نفوسهم عن متابعة موسى عليه السلام والانقياد للحق الذى جاءبه اليهم فحملهم التكبر على الجحود والعناد مع علمهم بالحق فى قصة السحر وغيرها من بقية الآيات البينات (لقوله تعالى) فى حقهم (فاستكبروا) اى عن النزول للحق المبين والاذعان له (وكانوا قوما عالين) اى مترفعين متكبرين (فقالوا) من فرط استكبارهم وعنادهم (نؤمن لبشرين) موسى وهارون عليهما السلام (مثلنا) اى كل واحد منهما متشابه لنا فى البشرية (وقومهما) اى والحال ان قومهما وهم بنو اسرائيل (لنا عابدون) اى لواحد منا وهو فرعون بناء على زعمهم الوهيته اومطيعون قال ابوعبيدة العرب تسمى كل من دان الملك عابدا له وقال المبرد العابد المطيع والخاضع (وقوله تعالى وجحدوا بها) اى بآيات الله المبصرة (واستيقنتها) اى تحققتها (انفسهم ظلما) اى تجاوزا عن الحد (وعلوا) يعنى استعلاء بالباطل وبما لايجب من تعدى الحق تجبرا وتكبرا قال المبرد يقال علا فلان اذا ترفع وطغى وتجبا وزومنه قوله تعالى * الاتعلوا على *اى لاتطغوا وتتكبروا ذكره الواحدى فى البسيط (و) السبب الثانى (خوف) عطف على الاستكبار اى وسببه ايضا خوف (عدم وصول الرياسة) اليه اى الجاه والرفعة فى الحياة الدنيا (او) خوف (زوالها) اى الرياسة (ككفر هرقل) وهو ملك الروم المسمى قيصر فانه كان عالما بان نبينا صلى الله عليه وسلم حق ولكن منعه من الاسلام والمتابعة خوفه على زوال ملكه وذهاب رياسته فاختار البقاء على الكفر لاحتمال زوال سلطانه بالانقياد لغيره فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر المدعو بهرقل ملك الروم يوم ذلك ثم قال بعد تمام كتابة الكتاب من ينطلق بكتابى هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا وان لم يصل يارسول الله قال وان لم يصل فاخذه دحية بن خليفة الكلبى وتوجه الى مكان فيه هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويااهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون *ولما قرئ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم غضب ابن اخى قيصر غضبا شديدا وقال ادنى الكتاب فقال له وماتصنع به فقال انه بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم فقال له عمه والله انك لضعيف الرأى اتريد ان ارمى كتاب رجل بانيه الناموس الاكبر او كلاما هذا معناه وقال ان ارمى بكتاب ولم اعلم مافيه لئن كان

Marfat.com

رسول الله انه لا حق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكى ومالكه ثم امر بانزال دحية واكرامه الى ان كان من امره ماذكره البخارى فى حديثه كذا فى المواهب اللدنية وفى صدر الحديث مايدل على ان دحية رضى الله عنه مبشر بالجنة ايضا كالعشرة المبشرين بها (وحب الرياسة الدنيوية) احتراز عن الاخروية فان طلبهـا من الخير والصـلاح (هـو) الخلق (الثـالث من امراض القلب) اى من الاخلاق الستين المذمومة الرديئة (وهى) اى الرياسة الدنيـوية (ملك) بكسر اللام اى سلطان (القلوب) لتملكها لقلوب الناس وقهرها (وتسمى) اى الرياسة (جاها) من الوجاهة وهى الصدارة والتقدم على الغير (وشرفا) اى رفعة (وصيتا) بالكسر وهو الذكر الحسن والثناء الجميل (ت س) يعنى روى الترمذى والنسائى باسنادهما (عن كعب بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماذئبان) تثنية ذئب وهو حيوان معروف (جايعان ارسلا) اى دخلا بلامنع احد (فى) قطيع (غنم بافسد) اى اكثر فسادا (لها) اى للغنم (من) افساد (حرص المرء) اى شدة محافظته ومكابته واجتهاده (على المال و) على (الشرف) اى الجاه والرفعة (لدينه) فان افساد حرصه على المال وحرصه على الشرف اكثر من افساد الذئبين الجايعين لتلك الغنم (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسب) بالسكون (امرئ) اى يكفيه (من الشر) والسوء (من الاعصمة) اى حفظه (الله) تعالى من ذلك (ان يشير) اى اشارة (الناس اليه) تعظيما له (بالاصابع) احتشاما عن التصريح باسمه (فى دينه) الحق اى بسبب ذلك كقوله عليه السلام دخلت النار امرأة فى هرة اى بسببها (و) كذلك فى (دنياه) الواسعة وجاهه ومنصبه (ديلم) يعنى روى ابو منصور الديلمى باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الثناء) اى المدحة وجميل الذكر الصادر (من الناس) فى مقابلة صفة جيدة منه اوفعل حسن (يعمى) العين والقلب عن عيوب النفس ومقابح الطبيعة والخصال الردية (ويصم) عن سماع الحق من الناصحين له (وسببه) اى حب الرياسة (ثلاثة) انواع (احدها التوسل) اى التوصل (بالجاه) الذى يوجب ثناء الناس ومدحهم له (الى ماحرم) اى ماحرمه الله تعالى (من مشتهيات النفس ومراداتهـا) كالاستطالة على من دونه والترفع على ضعفاء الدنيا ونيل الاموال الكثيرة من غير حلها وايقاع الهيبة والخوف فى قلوب الناس ونحو ذلك (وهذا) النوع من حب الرياسة (حرام) لانه وسيلة الى حرام (وثانيها) اى الانواع الثلاثة (التوسل به) اى بحب الرياسة (الى اخذ الحق) الذى له على الغير من الغير اذ من لاجاه له ممتهن فى الناس لايكاد يقدر على الوصول على حقه اذا ترتب له على احد خصوصا فى البلاد التى يضعف فيها الانصاف و يقل العدل (و) الى (تحصيل

Marfat.com

المرام) اى المقصود (المستحب) كالتمكن بذلك من اظهار نعمة الله تعالى عليه من الاموال ببذل الصدقات وبنيان المساجد والسلالن والطرقات (او) المرام (المباح) كالتبسط بانواع المآكل والمشارب والمناكح والمساكن ونحوها (او) الى (دفع الظالم) من الظالمين عنه اوعن غيره (و) دفع (الشواغل) العائقة له (و) تحصيل (التفرغ للعبادة) والطاعة (او) التوسل (الى تنفيذ الحق) اى اظهاره والزام الغير به (واعزاز) اى نصرة (الدين) المحمدى (واصلاح الخلق) اى الناس المرتكبين للمفاسد (بالامر) لهم (بالمعروف والنهى) لهم (عن المنكر) فان الجاه والشرف يعين على قبول القول وتصديق الخبر والمبادرة الى الانقياد (فهذا) النوع من حب الرياسة (ان خلا عن) قصد (المحظور) اى الممنوع شرعا (كالرياء) بان كان صاحبه مخلصا فى ذلك قاصدا وجه الصواب (و) عن (التلبيس) عليه بان لم يلتبس عليه الرياء ونحوه بغيره وعرف نفسه فتحقق منها صدقها فى المقاصد المذكورة (و) عن (ترك الواجب والسنة) بان خلا من ذلك ولم يترتب عليه شئ منه (فجائز) لاحرمة فيه (بل مستحب) حينئذ لايصاله الى فعل المستحب (قال الله تعالى حكاية) عن العباد الصالحين (واجعلنا للمتقين) من بعدنا (اماما) يقتدون بنا فيما فيه التقوى فان منصب الامامة رياسة وجاه ورفعة وحيث خلا من قصد فاسد كان طاعة فصح طلبه وساغ لهم دعاء الله تعالى فى تحصيله ومنه قول سليمان عليه السلام رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى (والا) اى وان لم يكن كذلك (فلا) يجوز لانه يكون حينئذ لغرض محظور اوتلبيس حاله عليه اوترك طاعة فيكون حراما اومكروها والقصد الحسن مع ذلك لاتأثير له (لان النية) الحسنة لاتؤثر فى المحرمات (و) لافى (المكروهات) بحيث تجعلها طاعات (وثالثها) اى الانواع (التلذذ به) اى بحب الرياسة (نفسه) تأكيد له احترازعن التلذذ بعوارضه اللازمة له من قضاء الاغراض والمقاصد النفسانية (وظنه) اى حب الرياسة (كمالا) وهذا النوع المذكور (كحب المال) الكثيرة (للتنعم) بصرفه فى وجوه الاغراض النفسانية (والتلذذ به) اى بالمال (فان خلا) اى التلذذ بحب الثناء وبحب المال (عن المحظور) اى المنهى عنه (فليس بحرام) لعدم ترتب حرام عليه (ولكنه مذموم) فى رتبة الكمال لاخلاله بها (لكون صاحبه مقصور الهم) اى العزم والهمة (على مراعاة) خواطر (الخلق و) لاجل (خوف تأديته) اى ايصال ذلك النوع المذكور من حب الرياسة (الى المرائاة) التصنعات (لاجلهم) اى الخلق (والى النفاق) لهم (باظهار ماليس فيه من) انواع (الكمالات لاقتناص) اى صيد شوارد (القلوب) من الخلق (والتلبيس) عليهم فى الاقوال والاحوال (والخدعة) لهم فى التوصل الى مقصده منهم (والكذب) عليهم فى الامور التى تعجبهم منه (والعجب) بنفسه (ونحوها) من الحسد والبغض والحقد (وعلاجه)

Marfat.com

اى حب الرياسة (ان يعلم) العبد (انه ليس بكمال حقيقى) بل الكمال ان كان فيه كنوع السحب فانه بالعرض لابالذات (لفنائه) اى سرعة زواله (وكدورته) اى عدم صفائه لاحد اصلا فان جميع القلوب لا تجتمع على الثناء على احد من غير طعن فيه اصلا كما بسطته فى خاتمة كتابى ارد المتين (ومعرفة غوائله) اى آفاته ومفاسده (المذكورة) من مراعاة الخلق ومراآتهم ونفاقهم (وان يعمل مايسقط الجاه) وان فقد له (عن قلوب الخلق من الامور الخسيسة) غير الشريفة (المباحة) غير المحرمة ولاالمكروهة ليستتربها من عيون الناس فيسلم من اقبالهم عليه (كما روى ان بعض الملوك) المتقدمين (قصد زيارة (بعض الزهاد) من اهل السلوك فى طريق الله تعالى (فلما علم) ذلك الزاهد (بقربه) اى الملك (منه استدعى) اى طلب لنفسه (طعاما وبقلا واخذ يأكل) ذلك (بشره) اى نهمة وتكالب (ويعظم اللقمة) اى يضعها فى فمه كبيرة ليستتر بذلك عن عين الملك فيترك اعتناءه به فيصفوله وقته من اكدار اعتقادات الغافلين وسوء اقتراحات المحجوبين (فلما نظر اليه الملك) وهو يفعل ذلك الامر المباح (سقط) ذلك الزاهد (من عينه) اى الملك (وانصرف) الملك عنه وتركه على حاله (فقال الزاهد) بلسانه او بقلبه (الحمد لله الذى صرفك عنى) حيث اراحه الله تعالى منه ومن تشهيه عليه بقلبه الغافل وبصيرته المطموسة وجاه من رق جماله وفتنة مودته قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى شرح الوصية اليوسفية فى معنى تستر الولى والصورة التى ظهر فيها هذا الولى من احواله ايضا اذا ظهر بخلاف احواله وانما ظهر بخلاف الحال الذى تعتقده العامة فى الولى انه حال له ولا يخفى ولى حاله عن الناس الابدخوله مداخلهم فى عاداتهم مما لاتنتهك فيه حرمة شرعية فلا يرى العامة من هذا الولى الاما اعتادته من العامة فلا يتميز لهم حال الولى المتوهم فى نفوسهم فيكون ستر الهم على هذا الحال المتوهم فالستر ايضا الاحاله فان استتر بامر فى الظاهر عندهم انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى نفس الامر وبعيدان يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ولا من صاحب حال لشغله فان صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر فى الستر ولا فى الظهور وانما هو بحكم مايصرفه فيه حاله وانما يقع الستر من الاكابر بالمباحات والعادات التى لا يقدح الشرع فيها خاصة فان اتفق ان يظهر عند الناظر ان ذلك فيه انتهاك حرمة مشروعة فما هو مقصود لذلك الولى وانه جار على عادته فى ذلك مع الله تعالى وان شغله فى ذلك الوقت مع الله بحكم ما اعتاد منه لا مع الخلق فيتخيل الاجنبى ان ذلك الولى قصد الستر بما جرى منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فما اتى هذا الولى الا بامر صحيح محمود فى الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر فى عين الحاضر لعلمه بخمرية ذلك الكاس وهو يشرب ما يجوز له شربه ولا يعلم ذلك

Marfat.com

الحضر حتى يناوله اياه منه ان اعتنى به اذا لم يخطر له ستر حاله فيشرب به الاجنبي شرابا حلالا فالاجنبي الذي لا يعلم محمود عنده في انكاره موف لمقامه والولى محمود في فعله اذا لم يقصد التستر فان قصد التستر بمثل هذا فهو مذموم في الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولى في العموم وقد يقع من ولى في الخصوص من اصحابه اختيارا منه لصدق دعواهم في التسليم له هذا ما لا نمنعه وعلى هذا يكون تجلى الحق تعالى يتجلى يوم القيامة في الصورة المنكرة اختبار اللادباء المتحققين بالامانة هل يعاملونه في ذلك الموطن بالمعاملة التي يستحقها الاله او يسكتوا عن ذلك فلا ينكرون وكذلك يفعلون كما فعل قضيب البان مع احمد البزاز حين ظهر له في صور مختلفة والصورة واحدة واحمد يتعجب فلما اكمل شهوده بحسب ما اراده قضيب البان قال له يا احمد من هو قضيب البان الذي لا يصلى ويترك ما فرض الله عليه والله يا احمد ما تركت فريضة تعينت لله على وانما الامر كما رأيت اخبرني بذلك احمد بالموصل في الموضع الذي ابصر منه ذلك وهو عند باب تربة جرجيس النبي عليه السلام فلهذا قلنا قد يظهر الولى لبعض اخوانه بشئ من ذلك تعليما واختبارا ولم يقصد قضيب البان بما يظهر للعامة منه التستر عنهم وانما الحال اعطاه ذلك فلم يكن يبالى بما تعتقده الناس فيه (واقوى الطرق) اى الحجج العلاج (في قطع الجاه) وازالته بالكلية (الاعتزال) اى الانفراد وحده (عن الناس الى موضع الخمول) اى نسيان ذكره وانصرافهم شهرته كالقرى البعيدة عن الامصار ورؤس الجبال ومنقطعات القفار فيقنع بالقليل مما تنبته الارض وانثمار المباحة واقل امر في ذلك ان يلازم بيته فلا يخرج الا مقدار الضرورة كالجمعة والعيدين كما روى الحاكم في مستدركه عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت امانتهم وكانوا هكذا وشبك بين انامله فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة اخرجه الاسيوطي في الجامع الصغير والذي ينبغي للعاقل الموفق في هذا الزمان ان يعمل بهذا الحديث بل من المتعين عليه ذلك ليسلم له دينه ودنياه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (واما الجاه) الحاصل للعبد (بلا حب) منه (له ولا حرص) منه (عليه للذة العاجلة) وهي لذة الدنيا بان لم يكن غرضه ذلك (فليس) هو (بمذموم) شرعا وعقلا وعرفا لانه من اقامة الله تعالى للعبد فيما اراد سبحانه (فاى جاه) كان في الدنيا (اعظم من جاه الانبياء) عليهم السلام (و) جاه (الخلفاء الراشدين) وهم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين فان جاههم كان اعظم جاه ورفعتهم اكمل رفعة ومقامهم في الناس اعلى مقام ولكن من غير حب لذلك ولا حرص على حصوله لاجل اللذة الدنيوية ولا فرح به وانما كان ذلك لهم معونة في نشر الدعوة الى الله تعالى

Marfat.com

ونصرة الدين وحماية الاسلام (والسبب الثالث الكفر الجحودى خوف الذم) من الناس (والتعيير) اى الحاق العار منهم بصاحبه (ككفر ابى طالب) ابى الامام على كرم الله وجهه وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ان قريشا اجتمعوا الى ابى طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال فى ذلك ابو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذارى سبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فان كفره كان كفر جحود مخافة الذم والتعيير من قومه كما تشير اليه هذه الابيات من شعره (وهو) اى خوف الذم والتعيير من الخلق (الرابع) من الاخلاق الستين المذمومة (من) جملة (منكرات القلب) اى اخلاقه المذمومة (و) الخلق (الخامس) من الاخلاق الستين المذمومة (حب المدح) من الناس (والثناء) منهم (وهما) اى خوف الذم والتعيير وحب المدح والثناء (كحب الرياسة) السابق بيانه (سببا) اى من جهة السبب فان اسباب حب الرياسة ثلاثة كما مر فكذلك هى ايضا اسباب خوف الذم والتعيير وحب المدح والثناء (وحكما) اى من جهة الحكم فان احكام حب الرياسة ثلاثة ايضا الحرمة والجواز وخلاف الاولى وهما كذلك (وعلاجا) اى من جهة العلاج فان علاج حب الرياسة ثلاثة اشياء ايضا كما مر وعلاجهما مثل ذلك ايضا (غير ان السببين الاولين) من اسباب حب الرياسة كما مر وهما التوسل بالجاه الى المحرمات والتوسل به الى اخذ الحق (فى الاول) اى فى خوف الذم والتعيير (عدم التوسل) بالجاه الى المحرمات وعدم التوسل بذلك الى اخذ الحق مخافة ان يكون التوسل المذكور داعيا الى الذم والتعيير واما فى الثانى الذى هو حب المدح والثناء فالسببان الاولان فيه على بابهما (و) السبب (الثالث) فى الاول الذى هو خوف الذم والتعيير (التألم) اى وجود الالم (بشعور) اى ادراك (النقصان) فى النفس بان يجد فى حاله نقصا فيخاف الذم بذلك والتعيير به (وعدم) معطوف على التألم (ملك القلوب) اى قلوب الناس يعنى دخولها تحت طاعته (و) عدم ملك (الحشمة) اى الهيبة (فيها) اى فى القلوب فيحمله ذلك على خوف الذم والتعيير فلو شعر من نفسه بالكمال وملك القلوب بالرياسة و الاجلال ووقعت له الهيبة فى قلوب الرجال ما خاف الذم والتعيير (وعلاجه) اى علاج خوف الذم والتعيير (ان تحضر فى قلبك) اى خاطرك بان تقول لنفسك (ان الذام) لى اى الذى يذمنى من الناس (ان كان صادقا) فى ذمه لى (فقد عرفنى) بنقصان نفسى

Marfat.com

(وذكرنى) مقابحها (ونبهنى على عيبى) لاحذر منه (فان كان) ذلك العيب (ممكن الزوال) بالمجاهدة والرياضة (فاجتهد) ياايها المذموم (فى ازالته عنك فهو) اى ذمه لك (نعمة) انعمها الله تعالى عليك اذنبهك على عيبك اخوك المسلم غيرة عليك (توجب) تلك النعمة (الفرح) منك بها (و) توجب (الحب) منك له (والثناء) عليه (والمكافاة) اى المجازات بالخير (لمعطيها) وهو الذى ذمك (ولو) وصلية (اراد) ذلك الذام لى (قدحى) اى شتمى (وطعنى) اى انتقاصى بين الناس (اذ) اى لان (نيته) ذلك (لاتؤثر) تلك النية منه (فيها) اى فى تلك النعمة المذكورة اى لاتمنعها ولاترفعها (و)لا(تخرجها) اى النعمة (من ان تنفع لى) فى الدنيا والآخرة ونظير هذا ماقاله الشيخ اكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى شرح الوصية اليوسفية ان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله تعالى كان يقول له ياولدى ماارى فى العالم الا وليا لله تعالى بالنظر الى فانه لايخلو من يعرفنى ان يكون حان مدا لما انا عليه اوذاما فان حمدنى فاقول هذا ولى مارآنى الا بصورته مما هو عليه والحمد لله الذى ارانى وليا من اوليائه وان ذمنى اقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبى ولايكاشف الاولى وهذا رجل يسمنى بما ينسب الى ويذكرنى حتى انحفظ من هذه الصفة فاينصح عباد الله الاولى هذا كان اعتقاده فى الخلق كلهم رحمه الله تعالى ورضى عنه (بل تزيد) تلك النعمة على نفعى (لصيرورة ذمه) لى (حينئذ) اى حين اذا اراد قدحى وطعنى (لمرا) اى استهزاء على وسخرية بى (وغيبة) لى (فيكون مهديا الى بعض حسناته اومنقذا لى) اى منجيا (من بعض ذنوبى) كما ورد ان من اغتاب غيره من الناس ذهبت حسناته الى صحائف ذلك الغير حتى لاتبقى له حسنة ثم تكتب سيئات الغير فى صحيفته انتهى وذكر القشيرى فى رسالته ان مثل الذى يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمى به حسناته شرقا وغربا يغتاب واحدا خراسانيا وآخر حجازيا وآخر تركيا فيفرق حسناته فيقوم ولاشئ معه وقيل يؤتى العبد يوم القيامة كتابه ولايرى فيه حسنة فيقول اين صلاتى وصيامى وطاعتى فيقال ذهب عملك كله باغتيابك للناس وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله نصف ذنوبه وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك الناس وانت لاتشعر وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت والدى لانهما احق بحسناتى وقيل للحسن البصرى ان فلانا اغتابك فبعث اليه طبق حلوى وقال بلغنى انك اهديت الى حسناتك فكافئتك (فتضاعف) اى تتزايد (النعمة) المذكورة بسبب اهداء بعض الحسنات والانقاذ من السيئات فتصير نعمة اخرى (فان الالم) الداعى الى حب المدح والثناء فانه يرتفع حينئذ (وان لم يكن زواله) اى ذلك العيب بالمجاهدة بان صار امرا ضروريا (تحصل لى النعمة الثانية) وهى نعمة اهداء الحسنات اوالانقاذ من السيئات (وان كان) ذلك الذام لى (كاذبا)

Marfat.com

فى ذمه لى (فقد بهتنى) اى اتى بما يبهتنى اى يجعلنى حائرا متفكرا عند سماعه مما انا برئ منه وهو البهتان اقبح من الغيبة (واضر نفسه) بما اتى به فى حقى (وحصل لى) من الذم (النعمة الثانية) اى اهداء حسناته اوالانقاذ من سيئاتى حصولا (اكثر) فى الاهداء (واعظم) فى الانقاذ (من) القسم (الاول) الذى كان فيه صادقا (فالالم) الحاصل للانسان (من الذم) الذى ناله من غيره (انما يحصل لمن قصر نظره) اى التفاته (على) طلب (الدنيا) فقط فيخاف ان يذهب عنه بذلك جاهه فيها (واما طالب) الدار (الآخرة) والمراتب العالية فيها (فالحاصل له) بذلك الذم من الغير (الفرح والنشاط) لاعانته بذلك فيما هو بصدده من انزواء الدنيا عنه وقطع العلائق والعوائق وحثه على كراهة البقاء فى دار الفناء وتكثير حنينه واشتياقه الى دار الانصاف والاسعاف والانعام والدوام مع اخوان الصفاء وخلان المودة والوفاء المعترفين بالكمال والمتصفين على كل حال (والسبب الثانى فى حب المدح) والثناء شئان الاول (التلذذ بشعور) اى ادراك (النفس الكمال) فيها (بتعريف المادح) لها والمثنى عليها اذا لم تكن النفس شاعرة بذلك (اوتذكيره) اى المادح بذلك اذ كانت النفس ناسية ذلك الكمال (فى) المدح (الصدق) اى المطابق للواقع واما الكذب فلا تعريف فيه ولا تذكير وانما فيه مجرد التغرير (و) الثانى التلذذ (بشعورها) اى النفس (ملك قلب المادح) اى انقياده اليها واطاعته لها (وسببيته) اى سببية ملك قلب المادح (لملك قلوب الآخرين) اى الباقين من الناس (و) لملك (حشمتها) اى حياء قلوب الآخرين وانقباضها منه تواضعا وانكسارا (وعلاج) الشئ (الثانى) من الشيئين اللذين هما السبب الثالث المذكور لحب المدح والثناء وهو التلذذ بشعور النفس ملك قلب المادح وسببية ذلك لملك بقية القلوب (سبق) بيانه فى علاج خوف الذم والتغيير وذلك ان تحضر قلبك ان الذام ان كان صادقا فقد عرفنى الى آخره (و) علاج الشئ (الاول) الذى هو التلذذ بشعور النفس الكمال بتعريف المادح اوتذكيره فى الصدق كما مر (ان كان الكمال) الذى شعرت به النفس (دنيويا) اى منسوبا الى الدنيا بان كان من احوالها كالجاه والرفعة وكثرة الاموال والخدم (فكالثانى) اى فعلاجه كعلاج الثانى وهو علاج خوف الذم والتغيير السابق بيانه (وان) كان الكمال (اخرويا) اى منسوبا الى الآخرة (فالعلم) اى فعلاجه العلم النافع وهو علم الشريعة والدين المحمدى والعمل به (فقط) مع الاخلاص والورع فانه بذلك يكشف عن عيوب نفسه فلا يشعر بكمال فيها اصلا (وخيريتهما) اى العلم والعمل يعنى كونهما خيرا لاشرا (ونفعهما) لصاحبهما وهذا جواب عن سؤال مقدر تقديره انا نجد العلم والعمل فى اناس فى زماننا ولا يكونان فيهم علاجا لحب المدح والثناء فاجاب بذلك (موقوفة على استجماع الشرائط) لهما (كالاخلاص) لله تعالى فيهما فان العلم

Marfat.com

بغير اخلاص شر محض لاخير فيه وضر رخالص لا نفع فيه وكذلك العمل بلااخلاص شر وضرر (والعمل) الدائم فى امتثال الاوامر واجتناب النواهى (وعدم) اى مع عدم (الاحباط) اى بطلان ذلك (بالكفر) بالله تعالى (الى الموت) على ذلك اذمن حبط عمله لاانتفاع له به وان كان مخلصا فيه (والا) وان لم يكن العلم والعمل كذلك (فيتقلبان) اى العلم والعمل (شرا وضرا) على صاحبهما (فيوجبان) له (الما) اى وجعا (وحزنا) اى غما وكربا فى الدنيا والآخرة (وهى) اى الشرائط المذكورة (مجهولة) من صاحب العلم والعمل (مشكوكة) يحتمل ان تكون موجودة فيه وان تكون معدومة (بل غير مظنونة) فى احد من الناس (غالبا) اى فى غالب الناس ممن يدعى العلم والعمل (لان النفس الامارة بالسوء) فى غالب الناس (وشياطين الانس والجن) الذين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (صارفة عنها) اى عن الشروط المذكورة (فسببتهما) اى العلم والعمل (للخشية) من الله تعالى (والوجل) اى الخوف منه سبحانه (اولى) اى احرى واحق (واقرب) الى الصواب (منها) اى من سببيتهما اى سببية العلم والعمل (للفرح) بهداية الله تعالى وعنايته (والامن) منه سبحانه (عند سالك طريق الآخرة) وهو العبد المفتقر الى الله تعالى فى سره وجهره فانه تعالى يقول * ان الله لايحب الفرحين * وقال تعالى * فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * فالفرح والامن تبعيد عن طريق الحق بخلاف الخشية والوجل (فاذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) به سبحانه فالخشية من اوصاف العلماء بالله تعالى فالعلم سبب الخشية (وفسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا) اى يفعلون مايفعلونه (و) الحال ان (قلوبهم وجلة) اى خائفة (بالذين يعملون) الاعمال (الصالحات) فالعمل سبب الوجل (وسيجئ) بيان (ضرر المدح) والثناء مفصلا (فى) ذكر (آفات اللسان ان شاء الله تعالى النوع الثالث) من انواع الكفر (كفر حكمى) اى منسوب الى الحكم لانه انما كان كفرا بحكم الظاهر فقط لدلالته عليه (وهو) اى الكفر الحكمى (ما) اى قول اوفعل (جعله) اى حكم به من حيث فهمه عنه (الشارع) اى من شرع الاحكام يعنى بينها وهو الله تعالى كما قال سبحانه * شرع لكم من الدين * الآية اوالنبى صلى الله عليه وسلم لانه المبلغ ذلك الينا عنه تعالى كما قال عزوجل * يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (امارة) اى علامة على (التكذيب) بمايجب التصديق به من الحق (كاستخفاف) اى استهانة واحتقار (مايجب تعظيمه) على المكلفين (من الله تعالى) بيان لما فان من اتى بما هو استخفاف به سبحانه من قول اوفعل كفر ان لم يحتمل التأويل (وكتبه) تعالى كالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وبقية الصحائف المنزلة على الانبياء عليهم السلام (وملائكته) سبحانه كعزرائيل وغيره (ورسله) من الانبياء ومن الملائكه

Marfat.com

عليهم الصلاة والسلام (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة (وما فيه) من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار وغيرها (والشريعة) المحمدية (وعلومها) كعلم التوحيد والمعرفة والفقه والتفسير والحديث فان هذا كله جعله الشرع عبارة عن التكذيب فمن اتى بشئ من ذلك فقد حكم الشرع بكفره ان لم يحتمل اتيانه بذلك تأويلا غير الاستخفاف وان احتمل فلا كفر كما سبق بيانه (وارضاء بكفر نفسه) فانه كفر (مطلقا) سواء ظهر منه ما يدل على استحسانه اولا قال ابو منصور الماتريدى رحمه الله تعالى انما يكون الرضاء بالكفر كفرا اذ رضى بكفر نفسه لا بكفر غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (و) الرضاء (بكفر غيره) مطلقا كان الغير او كافرا اصليا او مرتدا (استحسانا) اى على وجه الاستحسان (له) اى لذلك الكفر (بالاتفاق) لان استحسان ما قبحه الشرع تكذيب للشرع (و) الرضاء بكفر غيره (مطلقا) اى سواء استحسنه اولا كفر (عند البعض) اى بعض العلماء قال فى شرح الدرر والرضاء بكفر نفسه كفر بالاتفاق واما الرضاء بكفر غيره فقد اختلفوا فيه وذكر شيخ الاسلام خواهر زاده فى شرح السير ان الرضاء بكفر الغير انما يكون كفرا اذا كان يستجوز الكفر او يستحسنه اما اذا لم يكن كذلك ولكن احب الموت او القتل على الكفر لمن كان شريرا مؤذيا بطبعه حتى ينتقم الله تعالى منه فهذا لا يكون كفرا ومن تأمل قوله تعالى *ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا* الآية يظهر له صحة ما ادعينا وعلى هذا اذا دعا على ظالم وقال اماتك الله على الكفر او سلب عنك الايمان ونحو ه فلا يضره ان كان مراده ان ينتقم الله منه على ظلمه وايذائه الخلق قال صاحب الذخيرة وقد عثرنا على الرواية عن ابى حنيفة ان الرضاء بكفر الغير كفر من غير تفصيل وذكر والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال وفى السير الكبير مسئلة تدل على ان الرضاء بكفر غيره ليس بكفر وصورتها المسلمون اذا اخذوا كافرا اسيرا وخافوا ان يسلم فكموه اى سدوا فمه بشئ كى لا يسلم او ضربوه حتى يشتغل بالضرب فلم يسلم فقد اختلفوا فى ذلك ولم يقل فقد كفروا واشار شمس الائمة السرخسى الى ان هذه المسئلة لا تصلح دليلا لان تأويلها ان المسلمين لا يعلمون انه يسلم حقيقة ولكن يظهر الاسلام تقية لينجو من شر القتل فلا يكون هذا رضى منهم بكفر غيرهم كذا فى الفصول العمادية وجامع الفصولين لكن اجيب عنه بانا مكلفون باتباع الظاهر قال الله تعالى *ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا* وقال عليه السلام لمن انكر كونه آتيا بكلمة الاخلاص بقلبه هلا شققت قلبه فالحكم ظاهر فى دفع الايمان متحقق ومع ذلك لم يجعله كفرا وقد قال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ومعلوم ان الايمان بعد معاينة العذاب لا يقبل وقد قصه الله تعالى من غير انكار فهل هذا الادعاء بالكفر الى الموت والانسان انما يدعو بما يحب ويطلب ويرضى بوقوعه دل على الرضاء بكفر غيره اذا كان

Marfat.com

مستقبحا للكفر لايكون كفرا كما فى البزازية وفيها ايضا ويجوز ان يكون كلام المشايخ الرضاء بالكفر كفر محمولا على هذا وهو الصحيح كما فى جامع الفتاوى ومنية المفتى (والتكلم بما يوجبه) اى الكفر من غير احتمال اصلا ولو بوجه ضعيف (طايعا) بلا اكراه (من غير سبق اللسان) الى ذلك (عالما بانه كفر) لصحة القصد الى ما ينافى الايمان فانه كفر (بالاتفاق و) اما اذا كان (جاهلا به) اى بالكفر وقد تكلم به كما ذكر فهو كفر ايضا (عند عامة العلماء) اى اكثرهم باعتبار الحكم الظاهر لا بالنظر الى ما عند الله تعالى فتبنى عليه الاحكام فى الظاهر والله يتولى السرائر (وكذا الفعل) الذى يوجب الكفر اذا فعله عمدا عالما بانه كفر فهو كفر بالاتفاق وان كان جاهلا بانه كفر عند عامتهم دون البعض (ولو) كان (هزلا ومزاحا) بضم الميم اى لعبا (بلا اعتقاد مدلوله) اى ما دل ذلك الفعل عليه (بل مع اعتقاد خلافه) اى خلاف مدلوله بقلبه (فانه يكفر) به اى بذلك الفعل (عند الله تعالى ايضا) كما يكفر به عندنا (فلا يفيده) فى عدم الكفر (اعتقاد الحق) بقلبه لان ذلك الفعل جعل كفرا فى الشرع فلا تعمل النية فى تغييره وفى الاشباه والنظائر واما الكفر فيشترط له النية لقولهم ان كفر المكره غير صحيح واما قولهم اذا تكلم بكلمة الكفر هازلا يكفر انما هو باعتبار ان عينه كفر كما علم فى الاصول من بحث الهزل (وسببه) اى سبب التكلم بما يوجب الكفر وفعل ما يوجبه (قصد اظهار الظرافة) فى الكلام قال فى مختصر القاموس الظرف الكياسة ظرف كنصر ظرفا وظرافة فهو ظريف او الظرف انما هو فى اللسان او هو حسن الوجه والهيئة او يكون فى الوجه واللسان او البراعة وذكاء القلب او الحذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال اى الشجعان والفتيات الزولات لا الشيوخ (و) اظهار (البلاغة) فى العبارات وهى الفصاحة فيها مع مطابقتها لمقتضى الحال قال فى مختصر القاموس البليغ الفصيح بلغ بعبارته كنه ضميره (و) قصد (اتيان) اى فعل (الامر الغريب) ليعجب منه الناس (وتعاجيب المجالس) اى جعله طيبا لشرح الصدور والامتلاء بالسرور (واضحاك الحاضرين) فى ذلك المجلس (بالهزل) اى اللعب (والهزء) اى السخرية (والمزاح) ليتقرب بذلك الى محبة المغرورين من ابناء الدنيا ويحظى عندهم بالاقبال عليه منهم (او) سببه (شدة الغضب) منه على احد من الناس (و) شدة (الضجر) اى القلق والجزع على فوات حظه بالحقد على الغير المحظوظ فيحاكيه ويسخر منه ويضحك عليه عدوه وغير عدوه (و بالجملة) السبب فى ذلك (الخفة) فى العقل (والشره) اى الحرص (على الكلام) فى كل شئ (والمحاكات) للغير (وعدم حفظ اللسان) اى امساكه عن كل ما يريد التكلم فيه (و) عدم حفظ (الاعضاء) من الحركات الغير المنتظمة شرعا (وعدم المبالاة) اى الاعتناء والاحتفال (فى امر الدين) بالتساهل فى ذلك (وعلاجه) اى دواء التكلم بما يوجب الكفر وفعل ما يوجبه

Marfat.com

(ان يعرف) العبد (اولا) اى فى ابتداء الامر (آفات الكفر بعد الايمان) اى ما يترتب عليه من المفاسد (من حبط) اى بطلان (الطاعات) اى العبادات (كلها) البدنية والمالية والمتركبة منهما (وذهاب) عقد (النكاح) على امرأته اى بطلان ذلك وانفساخه (وحل دمه) اى اباحة قتله (وحرمة) اكل (ذبيحته) اى ما ذبحه من الحيوان المأكول اللحم (والعذاب المخلد) الى الابد (فى النار) يوم القيامة (لو مات) مصرا عليه (بدون التوبة) منه (و) ان يعرف (ثانيا آفات اللسان) اى مفاسده ومضاره (مما سيجئ) بيانه (ان شاء الله تعالى) فى محله (ثم) بعد ذلك (ملازمة الصمت) اى السكوت عن الكلام (و) ملازمة (السكون) اى عدم الحركة (وحفظ اللسان) عما لا يعنى من الكلام (و) حفظ (الاعضاء) عن الحركات الخارجة عن قانون الانتظام الشرعى (و) دوام (الجد) فى كل الامور (وترك الهزل) (اى اللعب و) ترك (الهزء) اى السخرية (و نحو ذلك من الاسباب) المؤدية الى سخافة العقل وقلة المروءة وعدم الاهتمام بالمحافظة على حدود الشريعة كالجلوس فى الاسواق ومخالطة الفساق والمتابعة لاهل السفه فى الاقوال والاعمال والاخلاق (و) بعد ذلك (الدعاء) اى الطلب بالافتقار والانكسار (والتضرع) اى التوسل (لله) تعالى فى (ان يحفظه) فى ظاهره وباطنه (من الكفر) الموجب للشقاء الابدى (خصوصا الدعاء الذى رواه ابو موسى الاشعرى) رضى الله عنه كما (أخرجه حد طب) يعنى الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى والطبرانى باسنادهما (قال) ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه (خطبنا) اى خطب فينا (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال) فى خطبته (يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك) اى احترزوا منه وتباعدوا عنه واشار اليه لكمال معرفته به واطلاعه عليه وتوفيه له فكأنه محسوس يشار اليه (فانه اخفى) عند النفوس المشتغلة بغير الله تعالى (من دبيب النمل) وفى رواية الجامع الصغير للسيوطى الشرك فى امتى اخفى من دبيب النمل على الصفا وقال الشارح المناوى وفى رواية النملة بالافراد لانهم ينظرون الى الاسباب كالمطر غافلين عن المسبب ومن وقف مع الاسباب فقد اتخذ من دون الله اولياء فلا يخرج عنه المؤمن الا بهتك حجب الاسباب و مشاهدة الكل من رب الارباب واشار بقوله على الصفا الى انهم وان ابتلوا به لكنه متلاش فيهم لفضل يقينهم فانه وان خطر لهم فهو خطور خفى لا يؤثر فى نفوسهم كما لا يؤثر دبيب النمل على الصفا بل اذا عرض لهم خطرات الاسباب ردتها صلابة قلوبهم بالله (فقال له) اى للنبى صلى الله عليه وسلم (من) اى انسان او الذى (شاء الله) تعالى له (ان يقول) وقوله هو (وكيف نتقيه) اى الشرك الخفى يعنى نحترز منه (وهو اخفى من دبيب النمل يا رسول الله) فان الاحتراز منه امر صعب جدا وهو اصعب انواع مجاهدة النفس (قال) رسول الله صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم (قولوا) متوسلين الى الله تعالى فى دفع ذلك عنكم فانه لا يدفع العظيم الا العظيم (اللهم) أى يا الله (إنا نعوذ) أى نلجئ ونحتمى (بك ان نشرك بك شيئا نعلمه) من الاشياء المحسوسة والمعقولة وهو الشرك الجلى (ونستغفرك) اى نطلب منك المغفرة (لما) اى للشئ الذى (لا نعلمه) من الاشياء المجهولة اسبابا شرعية اوعادية اوعقلية وهو الشرك الخفى ولنا كلام على الشرك الجلى والخفى ذكرناه فى كتابنا خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ ارسلان (وخرجه) ايضا (يعلى) يعنى ابا يعلى باسناده (من حديث حذيفة) بن اليمان رضى الله عنه (وزاد) فيه (يقول كل يوم ثلاث مرات) اللهم الى آخره (وغائلة) اى آفة ومفسدة (الكفر العظمى حرمان دخول الجنان والعذاب المؤبد) اى الذى لانهاية له (فى النيران) جزاء على نيته انه لو بقى فى الدنيا الى الابد كان كافرا فجزاء الابدى ابدى مثله جزاء وفاقا (وسبب الايمان) فى مقابلة سبب الكفر الحكمى كما مر (النظر) اى الفكر المرتب فى النفس على وجه يوصل الى معرفة المقصود (والتأمل فى الآيات) اى العلامات (الدالة على وجود البارى) تعالى كما قال سبحانه * ومن آياته الليل والنهار ومن آياته الشمس والقمر ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم * الى غير ذلك (و) الدلالة على (اتصافه) سبحانه وتعالى (باوصاف الكمال) كالقدرة والارادة والعلم وغيرها (و) على (تنزهه) اى تباعده سبحانه (عن صفات النقصان) كالعجز والاكراه والجهل ونحو ذلك (و) الدلالة ايضا (على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) وهى المعجزات فانها من آيات الله تعالى ايضا (و) سبب الايمان ايضا (تيقن) اى تحقق ثبوت (التأبيد) اى الخلود الى الابد (فى) عذاب (النار) للعبد (ان مات على الكفر) بالله تعالى (و) مات على (الانكار اى الجحود) لشئ مما وجب الايمان به (و) سببه ايضا (رجاء) اى طمع العبد فى (دخول الجنة دار القرار) اى التى لا خروج لمن دخلها منها اصلا فالخوف والرجاء سببان للايمان لان الخوف يقدم به على المطلوب والرجاء رغبة فى جناب المحبوب (وفائدته) اى الايمان (العظمى النجاة من التأبيد المذكور) اى الخلود فى النار (والفوز) الظفر (بالدخول المزبور) اى المكتوب من الزبر وهو الكتابة يعنى دخول الجنة دار القرار (رزقنا واياكم) وتقديره هذه الفائدة المذكورة وحذف المفعول للعلم به (الكريم) وهو الله تعالى الموصوف بالتكرم (الغفور) أى الموصوف بالمغفرة (و) الخلق (السادس) من الاخلاق الستين المذمومة (اعتقاد البدعة) اى الاعتقاد الذى هو بدعة كاعتقاد الفرق الضالة ما ليس بحق انه حق اذا لم يكن موجبا للكفر والا كان كفرا فيدخل فى الكفر (وسببه) اى اعتقاد البدعة (اتباع الهوى) اى الانقياد مع خاطر النفس كيف ما طلبت من غير التفات الى امر الله تعالى (والاعتماد على العقل) ولهذا صنف له الحكماء الفلاسفة علم المنطق ليضبطوا قواعد المعقولات لان اعتمادهم على العقل

Marfat.com

ولم يحتج الشرعيون الى تلك القواعد المنطقية لاتباعهم للشرع دون العقل (والاعجاب بالرأى) اى رؤية ما يتوصل اليه بحذقه وعقله اعظم مما يتوصل اليه غيره بحذقه وعقله (والتقليد) لغيره من غير نظر ولا بصيرة وهى اربعة اسباب موصلة الى اعتقاد البدعة وقد اوصلت المبتدعة الى اعتقاداتهم الفاسدة فخالفوا بها اهل السنة والجماعة (فاما اتباع الهوى فهو) الخلق (السابع) من الاخلاق الستين المذمومة (من) جملة (آفات) اى مفاسد (القلب) الانسانى (قال الله تعالى فلا تتبعوا الهوى) اى الميل النفسانى (ان تعدلوا) اى لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل ذكره البيضاوى ، وقال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك) اى الهوى يعنى يوقعك فى الحيرة والزيغ (عن سبيل) اى طريق (الله) تعالى المستقيم وقال تعالى (واما من خاف مقام ربه) مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (ونهى النفس) اى نفسه (عن الهوى) لعلمه بانه مرد الى الله (فان الجنة هى المأوى) ليس له سواها . أوى اى مسكن وقال تعالى (ارأيت من اتخذ) اى جعل (الهه) اى الذى يعبده بحق وهو الله تعالى (هواه) اى على مقتضى هوى نفسه وميله فاعتقد فيه ما سولته له نفسه وذهب اليه وهمه مما لا يليق به سبحانه وهى اعتقادات اهل البدع وقال تعالى (واتبع هواه) اى ميله النفسانى بمقتضى غرضه العاجل (فمثله كمثل الكلب) اى صورته فى تلك الحالة كصورة الكلب (ان تحمل عليه) اى تزجره (يلهث) من لهث كمنع لهثا ولهاثا بالضم اخرج لسانه عطشا او تعبا داعيا كالتهب واللهثة بالضم العطش كذا فى مختصر القاموس (او تتركه) من غير حمل عليه ولا زجر له عن هذه الفعلة (يلهث) ايضا فهو يلهث على كل حال وكذلك من اتبع هواه يلهث على غرض نفسه اى يتعطش الى الدنيا والى الحظ العاجل منها ولا يلتفت الى وعظك ولا الى عدمه وقال تعالى (واتبع هواه) اى غرض نفسه من شهوته العاجلة (وكان امره) اى شانه وحاله (فرطا) اى مضيعا من فرط فى الشئ ضيعه وذلك لاهماله نفسه بلا اشغال لها فيما طلب منه وتفويت الاوقات التى يمكنه فيها تحصيل الكمال باشغالها بالحظوظ الفانية واللذائذ الزائلة وقال تعالى (بل اتبع الذين ظلموا) حق ربهم فنعوه اياه بالكفر او الفسق (هواءهم) اى مقتضيات نفوسهم فى حظوظهم العاجلة (بغير علم) عندهم بما هو المراد منهم فى حكم الله تعالى عليهم (ومن اضل) اى اكثر ضلالا (ممن اتبع هواه) فانه بلغ من الضلال ابلغ ما يكون (وخرج) اى روى (ز) يعنى البزار باسناده (عن انس) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى آخر حديث طويل) رواه انس عن النبى صلى الله عليه وسلم (واما المهلكات) فى الدين بحيث يفوت صاحبها النجاة يوم القيامة من عذاب الله تعالى وربما وصلته فى الدنيا الى الكفر (فشح) اى بخل (مطاع) اى انطبعت عليه النفس فهو لا تتكلف له (وهوى) اى ميل نفسانى (متبع) اى موجود فى احد وهو يعمل على مقتضاه (واعجاب المرء)

Marfat.com

اى الانسان ذكرا كان اوانثى (بنفسه) بحيث لايعجبه الارأى نفسه وان كان رأى غيره حسنا لانه لايراه حسنا (وخرج دنيا) يعنى ابن ابى الدنيا باسناد (عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اشد ماأخاف عليكم) يامعشر الامة (خصلتان) الخصلة الاولى (اتباع الهوى) وهو الانقياد لحظوظ النفس وترك الشرع (و) الثانية (طول الامل) اى الجزم بالبقاء فى الدنيا ونسيان الموت (فاما اتباع الهوى فانه يعدل) اى يميل (بك عن) اتباع (الحق) وهو الشريعة المحمدية (واما طول الامل) بالحياة فى الدنيا (فانه يحبب اليك الدنيا) اى يجعلها محبوبة عندك فلاتقدر ان تفارقها (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس) بالتشديد خلاف الاحمق (من دان) اى غلب وقهر (نفسه) بالمخالفة لهواها (وعمل لمابعد الموت) من العالم الباقى والنعيم المقيم الابدى (والعاجز من اتبع نفسه هواها) بان انقاد لكل ماتستحسنه من الامور وترك احكام الله تعالى (وتمنى على الله) اى ترجى مع متابعة هوى نفسه ان يدخله الله تعالى الجنة ويرفع درجته فيها ويعطيه المنازل العالية فى الآخرة (فالهوى) بالقصر (مصدر) قولك (هويه يهواه من باب علم اى احبه واشتهاه) وفى مختصر القاموس الهوى بالقصر العشق يكون فى الخير والشر وارادة النفس وفى الصحاح الهوى مقصورا هوى النفس والجمع الاهواء وهوى بالكسر يهوى هوى اذا احب (والنفس) من كل انسان (بالطبع) من دون تكلف (ميالة) اى كثيرة الميل (الى الشر) وهو مايضرها (امارة) اى كثيرة الامر (بالسوء) اى بالارضى به الله تعالى (فاتباع) النفس (هواها) اى كل ماتهواه (يردى) لها اى يوقع فى الردى (ويهلك) فى الدنيا والآخرة (لامحالة) اى لاتحول ولاتغير لذلك بل هو واقع حاصل (اما) اتباع هوى النفس (فى غير) الامور (المباحات) كالمحرمات والمكروهات (فظاهر) كونه مرديا ومهلكا (واما فيها) اى فى المباحات (فبعد كونه) اى هوى النفس (صفة بهيمية) اى من صفات البهائم واخلاقها (و) كونه (ركونا الى الدنيا) اى اعتمادا عليها (الدنية) اى الخسيسة ذات القدر الحقير كما ورد فى الحديث لوان الدنيا تزن عندالله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء (و) كونه (شغلا شاغلا) للنفس (عن الطاعة) اى طاعة الله تعالى (و) عن (زاد) وهو الطعام المتخذ للسفر وتزوده اتخذه زادا (الاخرة) خلاف الدنيا (مفض) اى موصل يعنى هوى النفس فى المباحات (الى المحظور) اى الممنوع عنه فى الشرع من الاعمال وغيرها (وجار) بالتشديد اى سائق (الى) تعاطى (الشرور) جمع شر ضد الخير (ومؤد الى الفجور) وهو الفسق والانبعاث فى المعاصى (وحمى) من حميته حماية اى دفعت عنه وهذا شئ حمى على فعل اومحظور لايقرب واحميت

Marfat.com

المكان جعلته حمى وفى الحديث لاحمى الاالله ورسوله كذا فى الصحاح (للحرام) اى المحرم شرعا فمن اقتحم ذلك الحمى قارب الحرام ودنى منه واوشك ان يقع فيه (ومأوى) اى مكان (للآلام) اى الاوجاع الدنيوية والاخروية (والآثام) اى الذنوب لان متبع هوى النفس فى المباحات كلما فقد شهوته تألم فاقتحم المخالفات وزادت تسخطاته على الاقدار فكثرت معاصيه (وصاحبه) اى صاحب هوى النفس فى المباحات (خسيس دنى) اى خبيث البطن والفرج ماجن كذا فى مختصر القاموس (لئيم) من اللؤم ضد الكرم لؤم ككرم فهو لئيم وجمعه لئام (رذيل) اى حقير (بل هو لحتزير الشهوة) اى لشهوته التى هى كشهوة الخنزير (خادم مطيع) لايخالف ولايمانع (وعبد ذليل) كلما ظهرت له شهوة فى شئ استملكت عقله واسرت لبه وقادته بازمة الطمع اليها حتى تورده عليها (وانشدوا) اى اهل الهوى فى ذلك مما يناسب هذا قول الشاعر (نون الهوان) اى الحقارة والذل (من الهوى) اى المحبة للاشياء والميل النفسانى اليها (مسروقة) يعنى اصل الهوى الهوان فاخذت النون منه ووضعت فى الهوان (فصريع) اى مصروع وهو المطروح على الارض (كل هوى) اى ميل الى شئ مطلقا (صريع) اى مطروح (هوان) اى حقارة وذل لانه اسير ذلك الشئ الذى يهواه والاسير مهان على كل حال (ومقابله) اى مقابل اتباع الهوى بمعنى خلافه وضده (المجاهدة) فى طريق الله تعالى (وهى) اى المجاهدة (فطم) فطمه يفطمه قطعه والصبى فطمته عن الرضاع فهو مفطوم وفطيم وانفطم عنه انتهى كذا فى مختصر القاموس (النفس) اى قطعها عن جميع المألوفات اى ما اعتادت عليه فاستلذت به من كل امر دنيوى (وحملها) اى النفس يعنى اقهارها واجبارها (على خلاف هواها) اى مرادها العاجل (فى عموم الاوقات فهى) اى المجاهدة (بضاعة) وهى اسم لطائفة من مال الرجل واستبضعت الشئ جعلته بضاعة كذا فى المجمل (العباد) جمع عابد يعنى ملكهم الذى يتاجرون به فيكتسبون خيرى الدنيا والاخرة (ورأس مال الزهاد) جمع زاهد وهو المعرض بقلبه عن الدنيا ومافيها (ومدار) اى مايدور عليه امر (صلاح النفوس) البشرية (وتذليلها) اى جعلها ذليلة منقادة لصاحبها (وملاك تقوية الارواح) ملاك الامر وملاكه بالفتح والكسر مايقوم به ويقال القلب ملاك الجسد يعنى ان المجاهدة تتقوى بها الارواح على التجرد من ظلمة الاشباح (و) ملاك (تصفيتها) اى الارواح من اكدار الطبيعة واوساخ القطيعة (و) ملاك (وصولها) الى حضرة ذى الجلال والاكرام (فعليك) اى الزم (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالتشمر) اى المبادرة والمسارعة (فى منع النفس عن الهوى وحملها) اى اجبارها (على المجاهدة) المذكورة (ان شئت) اى اردت (من الله) تعالى حصول (الهدى) لك اى الوصول الى جنابه عزوجل والتمتع بلذيذ مناجاته وخطابه (قال الله

Marfat.com

تعالى والذين جاهدوا فينا) اى لاجلنا كما ورد اى فى الحديث دخلت النار امرأة فى هرة فى للسببية (لنهدينهم سبلنا) اى طرقنا الموصلة الينا بمعنى نفتح لهم ابواب حضراتنا حتى يدخلوا منها الينا وقال تعالى (ومن جاهد) فى نفسه بحملها على مشقات التكليف (فانما يجاهد لنفسه) اى لاجل نفسه حتى تصلح بذلك (ان الله) سبحانه (لغنى عن العالمين) كلهم فلا يحتاج الى مجاهدة احد (ثم اعلم ان المذموم فى اتباع الهوى فى) الامور (المباحات) كما ذكر (الاصرار) الدوام والاستمرار (عليه) اى على اتباع الهوى فى المباحات واما اتباع الهوى فى المباحات احيانا بلا مواظبة عليه فما هو بمذموم (اذ طبع البشر) الذى جبل عليه (لايحمل المخالفة) لحظوظ نفسه (الكلية) بحيث لايبقى له حظ نفس فى شئ اصلا فانه خروج عن البشرية والتحاق بالملكية وهو امر لايدوم للبشر وهو ممنوع عليه شرعا لافساده البنية العنصرية المادية (ولانه يؤدى الى الغلو) فى الدين (والافراط) اى المبالغة فيه قال تعالى * ياهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم (وقد مر فى فصل الاقتصاد) فى العمل (ولانه يورث الملالة والسآمة) اى التكاسل والتقصير (المؤدية) اى الموصلة بعد ذلك (الى عدم المداومة) على الطاعة (المذموم) ذلك العدم (جدا) اى ذما قويا (فى العبادة) شرعا (ولهذا قال) النبى (صلى الله عليه وسلم ياايها الناس خذوا) اى اعملوا (من الاعمال) الصالحة (مانطيقون) اى تقدرون على المداومة عليه بلا تكلف ومشقة (فان الله) تعالى (لايمل) اى لايسأم من مجازاتكم واثابتكم على طاعتكم (حتى تملوا) اى تسأموا من كثرة الاعمال فتملوا منها وتتركوها فيقل لكم الثواب اويتركه مجازاة لكم قال الكلاباذى فى شرح الآثار الملال تكره يعرض للانسان من عمل يعلمه واذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل استثقالا ويرفضه تضجرا منه وسآمة له وهو شئ يعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ورغبته فيه وهذه صفة الانسان المطبوع على طبايع مختلفة واوصاف متباينة واخلاق متغيرة متنافرة والله عزوجل يجل عن هذه الاوصاف ويتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من اوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة للانسان المطبوع الذى يضعف عن تحمل مايعرض له ويثقل عليه ويؤوده الشئ ويؤذيه فمعنى قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لايمل حتى تملوا ليس على الغاية والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة فى وقت اوعند امر بل هو على النفى عنه والتبرئة له منه فيجوز ان يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا اى لايمل وتملون ولايمل بل تملون كانه يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذ تكلفتم الاعمال واكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم مايلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا

Marfat.com

لها واعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها و بغضا لها فلا تعودوا اليها والله تعالى جده لاتصيبه هذه الافات ولاتعرض له العوارض فلا يصرفكم عماتكلفون ولا ينهاكم عماتعملون ولا يحول بينكم و بينها كراهة لها واستثقالا منه اياها و بغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم كماقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولاتبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لاارضا قطع ولاظهرا ابقى ويجوز ان يكون معنى قوله ان الله لايمل حتى تملوا اى لايترك ثوابكم والاقبال عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولين فيها مالم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول ان الله عزوجل يقبل عليكم وان قصرتم فى عبادته و يقبل يسير اعمالكم و يثيبكم عليها الجزيل مادمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنيا تكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها ومقاصدكم منها وانما يترك ثوابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها ومللتموها (وان احب الاعمال) اى الطاعات (الى الله) تعالى (ما) اى عمل اوالعمل الذى (دام) اى واظب عليه صاحبه (وان اقل) اى كان قليلا (خرجه) اى هذا الحديث (خم) يعنى البخارى ومسلما باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها وفى رواية) اخرى (لمسلم) فى صحيحه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خذوا من العمل ماتطيقون) اى تقدرون على القيام به بلا مشقة ليدوم لكم (فوالله) اقسم عليه السلام تأكيدا للكلام (لايسأم الله) سبحانه وتعالى (حتى تسأموا) اى لايمل حتى تملوا ومر مافيه (وعن على رضى الله عنه انه) اى على كرم الله وجهه (قال) وهو موقوف عليه فاما حديث محذوف الاسناد اواثر من آثار على رضى الله عنه المستنبطة من حكمه الباهرة (روحوا) من الترويح والارتياح وهو النشاط قال فى الصحاح اراحه الله فاستراح واراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء (القلوب) يعنى ابعثوا فيها النشاط بمعاطاة ما يلايم النفوس فى بعض الاحيان من التخفيف عليها من العبادة واعطاء بعض الغرض المباح (فانها) اى القلوب (اذا اكرهت) بالبناء للمفعول اى قهرت وجبرت على الاعمال (عيت) اى تعبت واستثقلت الاعمال وابغضتها (وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال انى لاستجم) بالجيم (نفسى) اى اطلب لها الراحة والنشاط قال فى المجمل الجمام الراحة (باللهو) المباح كانشاد الشعر والغناء لنفسه لاذهاب الوحشة به عنها والمزاح والمداعبة فى بعض الاوقات بما لا كذب فيه (ليكون) ذلك (عونا) اى معينالى (على) النشاط فى الاقدام على العمل (الحق) وعن ابن الانبارى فى الوقف عن ابى بكرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا مرة وفى هذا مرة يعنى القرآن والشعر ذكره الاسيوطى فى الجامع الصغير وذكر المناوى فى شرحه قال يشير به الى انه ينبغى للطالب عند وقوف ذهنه

Marfat.com

ترويحه بنحو شعر اوحكايات فان الفكر اذا اغاق ذهل عن تصور المعنى وذلك لا يسلم منه احد ولا يقدر انسان على مكابدة ذهنه على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب مع الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وفى الاثر ان القلب اذا اكره عمى ولكن يعمل على دفع ماطرأ عليه بترويحه بشعر اونحوه من الادب يستجيب له القلب مطيعا قال الشاعر

وليس بمغن فى المودة شافع * اذالم يكن بين الضلوع شفيع

وقال الحكماء ان لهذه القلوب تنافرا كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد فى التعليم والتوسط فى التقويم لتحسن طاعتها وبدوم نشاطها وهذا يسمى عندهم بالتحميض وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لاصحابه اذا دأبوا فى الدرس احمضوا اى ميلوا الى الفاكهة وهانوا من اشعاركم فان النفس تمل كما تمل الابدان وفى صحف ابراهيم عليه السلام على العبد ان يكون له ثلاثة ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلى فيها بين نفسه ولذاته فيما يحل ولا يحرم (فحينئذ) اى حين اذ كان ترويح النفوس امرا مطلوبا فى الشرع (لابد احيانا) اى فى بعض الاوقات من غير مداومة (ان يتناول) العبد (من المشتهيات المباحات) كالمأكل اللذيذ والمشرب ونحو ذلك (استراحة من التعب) الحاصل للنفوس من مشقة التكليف (وتحرزا) اى امتناعا (عن) لحوق (السآمة) اى الملل والكسل (وتحريكا) اى توصلا (للنشاط على العبادة) خصوصا من ابتلى بالوسواس فان علاجه الشهوات المباحة قال فى شجون المجون للشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره الشهوة تطفئ نار الفكرة الردية كما تطفئ نور الفكرة الصالحة فاجتنبها داء واستعملها دواء (فلهذا) اى لاجل ماذكر (قال الامام حجة الاسلام) ابو حامد الغزالى رضى الله عنه (اوسكن نشاطه) اى العابد (وضعفت رغبته) فى العبادة (وعلم) من نفسه (ان الترفه) اى الراحة والتنعم قال فى مختصر القاموس الرفاهة والرفاهية مخففة والرفاهية رغد الخصب ولين العيش رفه عيشه ككرم وهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه مستريح متنعم ورفه الرجل لان عيشه (بالنوم اوالحديث) اى الكلام المباح (اوالمزاح) اى المداعبة (فى ساعة) من الزمان (يرد نشاطه) الذى صعب عليه رجوعه (فذلك افضل له) عند الله تعالى فى شريعته (من اداء الصلاة مع الملال) اى الكسل كما قيل لسفيان بن عيينة رضى الله عنه المزاح سبة فقال بل سنة ولكن من يحسنه ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (فنى الحقيقة هذا الاتباع) هو الاتباع (للشرع) المحمدى (لا للهوى) النفسانى (المحض) اى الخالص فاراحة الجسد بالنوم معينة على من لم يمكنه اداء الصلاة من غلبة النعاس عليه قال فى تنوير الابصار ولو اشتبه على مريض اعداد الركعات والسجدات لنعاس يلحقه لا يلزمه الاداء وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال لو غلبه النوم تكره له التراويح كذا فى جامع الفتاوى والمجتبى والخانية والمفتاح بل ينصرف حتى يستيقظ لان فى الصلاة

Marfat.com

مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ويكره للمقتدى ان يقعد فى التراويح فاذا اراد ان يركع يقوم لان فيه اظهار التكاسل بالصلاة والتشبه بالمنافقين قال الله تعالى * واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى * ويكره عد الآيات والركعات والتراويح لما فيه من اظهار الملالة وكذا يكره ان يقولوا عند الجوع والعطش ليت هذا لم يكتب علينا كذا فى الخانية وقال تعالى * يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال البيضاوى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم وقال البغوى قال الضحاك بن مزاحم اراد به سكر النوم نهى عن الصلاة عند غلبة النوم كما روى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقال ابن جميل التونسى فى مختصر تفسير الرازى وقيل هو سكر النوم قاله الضحاك لان اللفظ يحتمله لان السكر سد الطريق ولا شك ان عند النوم تمتلئ مجارى الروح من الابخرة الغليظة فلا ينفذ الروح البصر واذا احتمله اللفظ فقوله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه يدل عليه (والعجب) يعنى الاعجاب بارأى المذكور فيما مر (سيجئ) بيانه فى محله من هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى واما التقليد) المذكور فيما سبق (فهو) الخلق (الثامن) من الاخلاق الستين المذمومة (من آفات) اى مفاسد (القلب) ومهالكه (وهو) اى التقليد (الاقتداء بالغير) اى المتابعة لغيره فى العمل او القول او الاعتقاد (بمجرد حسن الظن) بذلك الغير (من غير حجة) اى دليل وبرهان عنده على صحة ذلك من الغير (و) من غير (تحقيق) فى نفسه اى بصيرة كاشفة عن صدق ذلك الغير فيما قلده فيه ومتى وجد فى العبد دليل او كشف قلبى على صحة ما فيه الغير من المعاملة فتبعه فيها فهو على بصيرة من امره لا مقلد لغيره بل مرافق لذلك الغير فى السير فى طريق الله تعالى كما ورد الرفيق قبل الطريق (وذا) اى التقليد (لا يجوز) اى يحرم وقيل لا يصح على خلاف فى ذلك مفصل فى شرح المقدمة السنوسية للمصنف (فى العقائد) اى الاعتقادات الدينية (بل لا بد) فى ذلك (من نظر) اى تأمل بالبصيرة (واستدلال) بالعقل على كل مسئلة من ذلك (ولو على طريق الاجمال) من غير تفصيل كما بيناه فى كتابنا المطالب الوفية (قال الله تعالى) اثباتا لدليل وجوب النظر والاستدلال (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) اى تأملوا ما وضعه الله تعالى فيهما من العلامات الواضحات على كماله تعالى وبديع صفاته واستدلوا بذلك عليه سبحانه (والآيات فيه) اى فى وجوب النظر والاستدلال (وفى ذم المقلدين) لغيرهم (فى الاعتقاد كثيرة جدا والاجماع منعقد عليه)

Marfat.com

اى على وجوب النظر والاستدلال وسبق الكلام فى الاكتفاء شرعا بمجرد الايمان والتصديق من غير نظر ولا استدلال وقد ذكرناه فى كتابنا فتح المعيدى المبدى (والمقلد فى الاعتقاد آثم) لترك الواجب عليه وهو النظر والاستدلال كما سبق (وان كان ايمانه التقليدى (صحيحا) نافعا له فى الشرع (عندنا) خلافا لمن قال المقلد كافر (واما التقليد للغير (فى الاعمال) البدنية (فجائز) بالاجماع فيقلد المكلف (لمن كان عدلا) غير فاسق (مجتهدا) فى الدين غير مقلد فيه ولا يلزمه ان يقلد مجتهدا مخصوصا بل يجوز له تقليد من شاء من الائمة الاربعة فى كل حادثة تقع له من غير تلفيق لتواتر مذاهبهم الآن لا ماسواها من مذاهب السلف رضى الله عنهم كما بيناه فى خلاصة التحقيق فى بيان التقليد والتلفيق (ولكن لما انقطع الاجتهاد) المطلق من العلماء (منذ زمان طويل) لضعف الهمم فى جمع شروط الاجتهاد واما الاجتهاد المقيد بتخريج المسائل او تصحيحها الذى هو اجتهاد القضاء والفتوى فهو موجود ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة قال فى شرح مرقاة الاصول وشرط مطلقه اى الاجتهاد ان يحوى علم الكتاب بمعانيه لغة وشرعا واقسامه وعلم السنة بمتنها وسندها وموارد الاجماع ووجوه القياس بشرائطها واحكامها واقسامها والمقبول والمردود منها وقال فى المجتهد المطلق هو المستقل بالمذهب كابى حنيفة والشافعى ومالك واحمد وفى المجتهد المقيد يكفى الاطلاق على اصول مقلده لان استنباطه على حسبها (انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد) المطلق (المقلد) بصيغة اسم المفعول الذى يقلده غيره (فى نقل كتاب معتبر) من كتب مذهب ذلك المجتهد المطلق اى تعتبره علماء ذلك المذهب (متداول) اى مستعمل مقروء (بين العلماء الثقاة) اى العدول المعتمد عليهم فى ذلك المذهب (صحيح) ذلك الكتاب من تحريف النساخ وغلطهم (لمن قدر على مطالعته) اى ذلك الكتاب المعتبر (واستخراجه) اى استكشاف خفايا مسائله ودقائق فوائده (و) فى (اخبار عدل) واحد (موثوق به) عند الناس (فى علمه وعمله) فيخبر بمذهب ذلك المجتهد فى خصوص مسئلة او اكثر او صحة ما فى كتاب جامع لمسائل ذلك المذهب وحيث انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد فيما ذكر (فلا يجوز) لاحد من المكلفين (العمل بكل كتاب) فى نفسه وفى الفتوى والقضاء لغيره لعدم اعتبار ذلك الكتاب او لعدم تداوله بين العلماء الثقاة والجهل بحال مصنفه لا يضر اذا اعتبره العلماء وتداولوه بينهم (و) لا يجوز العمل ايضا (بقول كل من تزيى بزى) بالكسر اى هيئة (العلماء) فان فيهم الجاهلين القانعين من العلم بمجرد الرأى وفيهم الفاسقون الذين لا يبالون بالكذب وغيره فلا بد مع العلم من التقوى (ومقابل اعتقاد البدعة) المذكور (اعتقاد اهل السنة والجماعة) المتقدم بيانه (وسببه) اى اعتقاد اهل السنة والجماعة (التمسك بالسنة) المحمدية وهى الاقوال والاعمال والاحوال الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما) كانت (عليه الصحابة)

Marfat.com

رضى الله عنهم من السيرة الحسنة (واجماع الامة) من التابعين وتابعى التابعين والعلماء العاملين فى كل زمان الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى (و) سببه ايضا (ترك الهوى) اى الميل النفسانى اى الخطوظ العاجلة (و) ترك (الاعجاب بالرأى) اى رأى نفسه (مع النظر) اى الفكر المرتب فى النفس (والاستدال) اى اقامة الدليل على المطلوب (والتقليد) فى الاعتقاد (لصاحبه) اى صاحب النظر والاستدلال (ولومع اثم) اى حرمة فى التقليد لترك النظر والاستدلال كما مر (و) الخلق (التاسع) من الاخلاق الستين المذمومة (الرياء وفيه) اى فى الرياء (سبعة مباحث) يتحقق بها القصد فى بيانه المبحث الاول فى تعريفه لضبطه النفس فتحترز منه اذ مالا يعرف لا يمكن الاجتناب عنه (و) فى (تقسيمه) اى بيان اقسامه (هو) اى الرياء (ارادة نفع) العبد نفسه فى (الدنيا) فيتوصل الى ذلك النفع (بعمل) الاعمال التى توصل الى (الآخرة او) بتعلم (دليله) اى دليل عمل الآخرة وهو العلم الذى يبحث فيه عن العمل الصالح (اوعلامه) اى تعليمه يعنى تعليم عمل الآخرة (احدا من الناس) فيكون الرياء بثلاثة اشياء اجمالا بعمل الآخرة وبتعلمه وبتعليمه للغير وسيأتى تفصيل ذلك بالخمسة التى بها الرياء فى المبحث الثانى (من غير اكراه) اى اضطرار (ملجئ) اى موصل بالضرورة والقهر الى ارادة نفع الدنيا بشئ من الثلاثة المذكورة (باعث) ذلك الاكراه (على نفسه) اى نفس ماذكر هنا فى تعريف الرياء كالمضطر الى الطعام اوالشراب فى حال المخمصة اذا علم انه ان عمل اعمال الآخرة اوتعلم من احد اعمال الآخرة اوعلم ذلك لاحد حصل له من متاع الدنيا مايسد جوعته ويدفع عنه الهلاك فاتى بواحد من الثلاثة لارادة نفع الدنيا على الوجه المذكور فانه ليس برياء لامكانه احياء مهجته بهذا المقدار فهو واجب عليه وفى كتاب الرعاية لابى عبدالله الحارث بن اسد المحاسبى قال الرياء ارادة العبد العباد بطاعة الله عزوجل والدليل على ذلك قول الله عزوجل *من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون* الى قوله وباطل ما كانوا يعملون فروى عن معاوية بن ابى سفيان ومجاهد فى هذه الآية قالا هم اهل الرياء وقوله عزوجل* والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور* قال مجاهد هم اهل الرياء ووصف الله عزوجل قلوب المخلصين ان الرياء ارادة لغير الله رفضوها لله عزوجل وقصدوا اليه بها فقال* ويطعمون الطعام الى قوله* لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا* وقال تعالى* فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا* فاخبر الله تبارك وتعالى بقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها من اراد بعمله الحياة الدنيا وزينتها حبط عمله الذى يريد به الدنيا والزينة عند اهلها والآيات فى ذلك كثيرة واما السنة فقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل فقيل له يارسول الله فيم النجاة فقال ان لاتعمل

Marfat.com

بطاعة الله تريد بها الناس وروى ابوهريرة فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والقارئ للقرآن والمتصدق بمال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال بقول الله عز وجل لكل واحد منهم لما قال قتلت فى سبيلك وقال الآخر قرأت كتابك وقال الآخر تصدقت فيقول الله عز وجل كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم قارئ ويقال للآخر بل اردت ان يقال فلان شجاع ويقال للآخر بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاولئك اول ثلاثة يدخلون النار فاخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل برىء انهم احبط اعمالهم وان الرياء ارادة الناس بطاعة الله تعالى (وضده) اى الرياء (الاخلاص) بالعمل لله تعالى (وهو) اى الاخلاص (تجريد قصد) العبد (التقرب الى الله تعالى بالطاعة) التى يفعلها (عن) قصد (نفع الدنيا) بها (والاعلام) معطوف على طاعة الله (السابق) اى وباعلام احد من الناس طاعة الله تعالى كما سبق فى الرياء (ويمر) اى الاخلاص (الاحسان) فى العمل (وهو) اى الاحسان (ان تعبد الله) تعالى (كانك) اى وانت فى حالة تشبه حالة انك (تراه) سبحانه وتعالى فتكون عبادتك على الكشف والشهود لا على الغفلة كما ورد فى حديث جبريل الثابت فى الصحيحين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال القرطبى فى شرح مسلم الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا ويقال على معنيين احدهما متعد بنفسه كقولك احسنت كذا وفى كذا اذا احسنته واتقنته وهو منقول بالهمزة من حسن الشئ وثانيهما متعد بحرف جر كقولك احسنت الى كذا اى اوصلت اليه ما ينتفع به وهو فى هذا الحديث بالمعنى الاول لا بالمعنى الثانى اذ حاصله راجع الى اتقان العبادات ومراعات حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها وارباب القلوب فى هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه يراه ولعل النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عينى فى عبادة ربى وثانيهما لا ينتهى الى هذه الحالة لكن يغلب عليه ان الحق سبحانه وتعالى مطلع عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله تعالى * الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وبقوله تعالى * وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه * وهاتان الحالتان ثمرة معرفة الله تعالى وخشيته ولذلك فسر الاحسان فى حديث ابى هريرة بقوله ان تخشى الله كانك تراه فعبر عن السبب باسم السبب توسعا (وقد يطلق الرياء) فى عرف الشرع (على حب) العبد (المنزلة) العالية (وقصدها) اى المنزلة (فى قلوب الناس) ليحمدوه ويعظموه على ذلك (باعمال الدنيا) فيرائى العبد ببدنه وبزيه وبقوله وبعمله وبغيره من الصحابة والقرابة فيرائى بالطاعة بهذه الخمسة اشياء وكذلك اهل الدنيا يراؤن بالدنيا بهذه الخصال

Marfat.com

الخمس الاان ذلك ايسر من الرياء بالطاعة قاله المحاسبي فى الرعاية (وهذا رياء اهل الدنيا) وهو مذموم ايضا لانه يجر الى الرياء بالدين فلا يزال العبد يلبس الثياب الفاخرة ليظهر لغيره انه غنى ويكثر التملق للاخوان حتى تقبل عليه ليظهر للغير انه كريم له اصدقاء كثيرون ونحو ذلك مما لادخل فيه للدين وانما هو رياء بالدنيا للدنيا حتى يصير بعد ذلك يرائ بدينه فى الدنيا وهو الشرك الاصغر (و) الرياء (الاول) وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة كما مر (بقسميه) الآتيين (رياء اهل الدين) لانه رياء بالدين وهو ارادة المخلوقين بطاعة الله تعالى ثم بين القسمين بقوله (فالقسم الاول) وهو ارادة غير الله تعالى بالطاعة (ان لم تقارنه ارادة نفع الآخرة) بان كان ارادة نفع الدنيا فقط (فرياء محض) اى خالص (وان قارنته) اى ارادة نفع الآخرة فكان مجموع ارادة نفع الدنيا وارادة نفع الآخرة (فرياء تخليط) وهو ثلاثة اقسام (اما) ارادة نفع الدنيا (غالب) على ارادة نفع الآخرة وهو القسم الاول (او) ارادة نفع الدنيا (مساو) لارادة نفع الآخرة وهو القسم الثانى (او) ارادة نفع الدنيا (مغلوب) بارادة نفع الآخرة وهو القسم الثالث (فالجملة) من اقسام الرياء (خمسة) هذه الثلاثة والقسمان الاولان الرياء المحض ورياء اهل الدنيا (والمراد منه) اى الرياء بجميع اقسامه الخمسة حصول (نفع الدنيا) فقط اومع نفع الآخرة (والذى يراد منه ذلك اما خالق اومخلوق ونفع الدنيا) الذى عليه مدار الرياء (اما جاه) يحصل له من غيره كنصب ونحوه (او مال) من اى نوع كان (اوقضاء شهوة) من مأكل اوغيره من حلال اوغيره (اودفع ضرر) عنه اوعن احد اتباعه بقرابة اوغيرها (يسير) لان الضرر لو كان كثيرا كان مضطرا اليه فلا يكون رياء (وكل) اى كل واحد (منها) اى من هذه الاشياء المذكورة (اما) ان يأتى به العبد (للتوسل الى عمل الآخرة) فقط (اولا) بل الى عمل الدنيا فقط اواليهما معا (والاول) وهو ارادة نفع الدنيا للتوسل به الى عمل الآخرة اذا كان رياء (من الخالق) سبحانه وتعالى فانه (ليس برياء) يأثم عليه صاحبه والا فهو داخل فى تعريف الرياء السابق بيانه (اورود صلاة الاستسقاء) اى طلب السقيا يعنى المطر فان ذلك ارادة نفع الدنيا من الله تعالى بعمل الآخرة لكن للتوسل بذلك المطر الى عمل الآخرة كالوضوء والاغتسال بالماء واحياء النبات للاقتيات ونحو ذلك (و) صلاة (الاستخارة) فان فيها ارادة نفع الدنيا من الله تعالى بعمل الآخرة ولكن للتوسل بذلك الى عمل الآخرة من تيسير مؤنة المعيشة لتسهل عليه الطاعة اوالاحتراز عن الشر ليتوقى المخالفات الشرعية اونحوها (و) صلاة (الحاجة) يريد بها نفع الدنيا بعمل الآخرة لكنه يتوسل بذلك الى انقطاع تشوقه الى امور الدنيا بحصول حاجته (ونحوها) من مواظبة ارباب الوظائف الشرعية كالامامة والخطابة على وظيفتهم لاجل نفع الدنيا وكذلك تعليم القرآن للاطفال بقصد نفع الدنيا اذا كان يتوسل بذلك النفع

Marfat.com

الدنيوى الى عمل الآخرة كالانفاق على نفسه لاعفافها عن السؤال فى العاجز عن الكسب وتفريغ القلب لعبادة الله تعالى عن ظلمة الاكتساب ونحو ذلك (وغيره) اى غير مايتوسل به الى عمل الآخرة مما ذكروهو مايتوسل به الى عمل الدنيا فقط اوالبهما معا (كله) بجميع اقسامه المفهومة مما ذكر (رياء) يأثم فاعله (وان كان) قصد العامل (اعلام الغير) بعمله (باعثا) لذلك العامل (على مجرد الاظهار) اى اظهار عمله لذلك الغير (للاقتداء) اى متابعة الغيرله فى ذلك العمل (ونحوه من النية الصالحة) كقصد الشكر لله تعالى اوالرد على المخالفين له بنية نصرة الحق (لا) باعثا (على نفس العمل) ليمدحه عليه ذلك الغير (فليس) ذلك الاعلام (برياء) بل هوطاعة لله تعالى يثاب عليها قال الامام المحاسبي فى الرعاية اظهار العمل ليقتدى به كفعل الانصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رواه فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من تبعه فهل تجرى الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره اما الصدقة فان الناس فيها متقاربون فى القدوة لانها عطف ورحمة واعانة الملهوف فاذا اظهر العبد ذلك لغيره كان فيه حض لغيره وترغيب فى الصدقة الا انه لاينبغى لعبد ان يتعرض لاظهارها حتى يعلم انه قد اراد الله عزوجل بذلك وانه لايجزع من ان اسرها ولا احب اظهارها لقلة القنوع بعلم الله عزوجل ومحبة منه ان يعلم الناس بصدقته ولكن جزعا ان يفوته عظيم الاجران يصيبه فى غيره مع اجره على صدقته فلم يقنع الله عزوجل باجر الصدقة وحدها حتى احب ان يحض بفعله عليها غيره ليؤجر فيها مع اجره على صدقته وفى الصدقة معنى خاصة سرها خير من القدوة به اذا كان المتصدق عليه يؤذيه ذلك ويكرهه فترك اذى المؤمن افضل وقد اختلف فى قوله تعالى *بالمن والاذى *فقال قوم هو ان تحدث بما تصدقت به عليه فيبلغه فيؤذيه وقال اكثر العلماء هوان تؤذيه بفعلك وفى الصوم والصلاة والحج والغزو لا احبه لاحد ولم اجد عامة الناس يقاونه الا الرجل القوى الصادق الارادة القوى على الخطرات فى العمل وبعد مايفرغ من العمل لا امن عليه ان يتبعه ابليس بخطرة فى حال غفلته فيصرعه فلا بأس باظهاره للقدوة ويحذر الغفلة والسهو ولا يظهر ذلك الالمن يقتدى به ويضعه موضع القدوة والذى آمر به الناس ان يخفوا ذلك ما استطاعوا لان النفس خدوع والشيطان مرصد بمكيدته وقد قال الرجل يرفع صوته ليحرك بعض جيرانه فى جوف الليل وذلك اذا قوى عزمه وهان عليه حمد من سمعه وليس له رغبة فى علمهم به اكثر من ثواب الله ان يصيبه فى تحريكه اياهم على طاعة ربه عزوجل واما الغزو فذلك عمل ظاهر فالمسارعة فيه للقدوة افضل اذا قوى العزم ان يشد الرجل قبل القوم فيحض على القتال ويبعث من معه على الشد معه فذلك افضل لانه لم يخرج من سر الى علانية وانما خرج من علانية الى علانية لان مقامه ذلك علانية فكلما

Marfat.com

حض غيره بفعله كان افضل ولو حض له الشد والكر على العدو كان ممن وهب الله عزوجل له القوة على نفى الخطرات وهو من المعروفين عند من حضره ممن يقتدى به ويحركهم فعله كان افضل ان يظهر ذلك ولا يخفيه ليحض على قتال العدو ولينصر الله عزوجل بذلك على الاعداء ويعز به الدين ثم ايهما افضل عمل العلانية للقدوة ام عمل السر وقد اختلف فى ذلك فقالت فرقة من اهل العلم عمل السر افضل من عمل العلانية للقدوة وغيرها وعمل العلانية للقدوة افضل من عمل العلانية لغير القدوة وقالت فرقة عمل السر افضل من عمل العلانية لغير القدوة وعمل العلانية للقدوة افضل من عمل السر ولولا ان عمل القدوة افضل ما حض النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وانما حضهم ليفعلوا ما يستن به وذلك لايكون الاعلانية وحضهم على عمل العلانية لهذا المعنى واخبرهم ان لهم اجرهم واجر من اتبعهم فذلك دليل على ان اجرهم بالحض والترغيب من عمل السر الى عمل العلانية واخبرهم ان لهم اجرهم واجر غيرهم وقد علموا من قبل ان عامل السر له اجره وحده فذلك يبين ان عمل القدوة افضل من عمل السر وقد روى فى بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا (والمبحث الثانى) من المباحث السبعة (فيما) اى فى الامر الذى يحصل (به الرياء) من العبد (وهو) اى الذى به الرياء (خمسة) اشياء (الاول البدن) اى بدن العبد (وذلك) اى حصول الرياء به يكون (باظهار النحول) اى الضعف والسقم عليه (ليدل) ذلك منه (على قلة الاكل و) على شدة (الاجتهاد) والمكابدة (فى العبادة و) على (غلبة خوف) القلب من اهوال (الآخرة واظهار) معطوف على اظهار الاول (الاصفرار) فى لون الوجه والاعضاء (ليدل) ذلك الاصفرار منه (على سهر الليل و) على (كثرة الحزن) من التقصير (فى) تكاليف (الدين) المحمدى (و) اظهار (ذبول) ذبل البقل يذبل ذبلا وذبولا اى ذوى وكذلك ذبل بالضم واذبله الحر كذا فى الصحاح والمراد هنا الارتخاء واليبوسة فى (الشفتين و) كذلك اظهار (خفض الصوت ليدل) ذلك منه (على) وجود (الصوم) وكثرته (و) على (ضعف) صوته من (الجوع و) على وجود (وقار) اى تعظيم (الشرع) المحمدى عنده (و) مثل ذلك فى حصول الرياء بالبدن (حلق الشارب) ليظهر المواظبة على السنة (واطراق) اى طأطأة (الرأس) فى حالة المشى والجلوس ليظهر اعراضه عن الناس وكفه عن رؤية عيوبهم وعن تتبع عوراتهم (والهدو) اى السكون فى اعضائه (فى) حالة وجود (الحركة) منه بمشى وغيره (ونحو ذلك) من غض بصره وسداذنيه ليظهر انه محترز من محارم الله تعالى (ورياء أهل الدنيا) بالبدن ما يدل (باظهار السمن) فيه (و) اظهار (صفاء اللون) اى عدم تغيره وكدورته (واعتدال) اى استقامة (القامة) بلا اعوجاج فيها (وحسن الوجه) اى نضارته واشراقه

Marfat.com

(ونظافة البدن) من الوسخ (ونحوها) كاظهار القوة والصلابة فى الامور من غير مبالاة فى حمل شئ اومصارعة احد ليتقرب بذلك الى حصول الدنيا والذكر الجميل (و) الشئ (الثانى) مما يكون به الرياء (الزى) بالكسر الهيئة (كلبس الصوف) فى المتشبه بالصوفية (وتشميره) اى الصوف بمعنى جعله مرتفعا (الى قريب من نصف الساق) كما ورد فى الحديث ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه (و) لبس (غليظ الثياب) اى الثخين منها (و) لبس (المرقع) اى الموضوع فيه رقعة اى قطعة على رقعة (و) لبس (الطيلسان) بفتح اللام واحد الطيالسة والهاء فى الجمع للعجمة لانه فارسى معرب كذا فى الصحاح وهو رداء مدور يوضع على الرأس والمنكبين (ليظهر) بذلك للغير (انه متبع للسنة) النبوية عامل بها (وتنصرف اليه الاعين) من الناس اى تميل عن الميل الى غيره (بسبب تميزه) عن غيره بذلك (و) كذلك (لبس الثياب المخرقة) اى البالية المتقطعة (و) الثياب (الوسخة) اى التى فيها الوسخ ولم تغسل منه (ليدل) غيره (به) اى بما ذكر (على استغراق) قلبه (الهم) اى الاهتمام والاعتناء (بالدين) الاسلامى ومهمات احكامه (و) على (عدم التفرغ) من الاشتغال بالمهمات الدنية (للخياطة) فى المخرق (والغسل) فى الوسخ (او) ليدل بذلك (على التواضع و) على (كسر النفس والفقر والزهد) فى الدنيا الفانية (و) هو بحيث (لو كلف) بالبناء للمفعول اى كلفه احد (ان يلبس ثوبا وسطا) لا اعلى قيمة ولا ادنى (نظيفا) اى خاليا من الوسخ (لكان) ذلك (عنده بمنزلة الذبح) له (لخوف) اى لاجل خوفه (ان يقول الناس) عنه اذا رأوه كذلك قد (رغب فى الدنيا) اى اقبل عليها (ورجع عن الزهد) فتسقط منزلته عندهم ويقل اعتباره (ومنهم) اى من المرائين بالزى (من يريد القبول عند اهل الدنيا من الملوك والاغنياء) من الامراء والقضاة وغيرهم (وعند اهل الصلاح) ايضا (فلو لبس) الثياب (الخلقة) اى المتخرقة البالية (و) الثياب (الوسخة) لاجل مقابلة اهل الصلاح بها (ازدرته) اى احتقرته واستهانت به (اهل الدنيا) ممن ذكر (ولو لبس) الثياب (الفاخرة) الغالية الاثمان لاجل مقابلة اهل الدنيا بها (ردته اهل الدين والصلاح) ولا يقبلونه (ولا يعلم) عندهم (زهده وصلاحه) ومراده ان يعلم عند الفريقين (فيطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية) جمع كساء وهو ما يكتسيه الانسان اى يلبسه (الرفيعة) ضد الغليظة (مما قيمتها قيمة ثياب الاغنياء وهيئتها هيئة ثياب الصلحاء) ونظير هذا ماذكره الشيخ اكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس قال باجماع من القوم ان الموت الاخضر القاسى عندهم طرح الرقاع بعضها على بعض وذلك شعارهم رضى الله عنهم فقام هؤلاء وقالوا انما لنا اسم مرقعة خاصة ولم يلحظوا ما اريد بها فتأنقوا فى الثياب المطرحة للاعلام المشهرة وخاطوها على وزن معلوم وترتيب منظوم

Marfat.com

تساوى مالا وافسدوا عليها ثيابا وسموها مرقعة (فيلتمسون) اى يطلبون بذلك الفعل (القبول) والحظوة (عندالفريقين) فريق اهل الصلاح وفريق اهل الدنيا (ولوكلفوا) اى كلفهما احد (لبس) ثوب (خشن) اى غليظ النسج (او) ثوب (وسخ لكان) ذلك (عندهم كالذبح) للواحد منهم (خوفا من السقوط من اعين الملوك) اعين (الاغنياء) الذين يرونهم بعيون المهابة والاجلال (ولو كلفوا لبس مايلبسه الاغنياء) من الثياب الغالية الاثمان (لعظم عليهم) ذلك (خوفا من ان يقال) اى يقول عنهم الناس قد (رغبوا فى الدنيا) بعد زهدهم فيها (و) مخافة (ان لا يعلم) اى يعلمهم احد (انهم من اهل الدين) المحمدى (والصلاح والزهد) فى متاع الدنيا (ورياء اهل الدنيا) فى الزى والهيئة انما يكون (بالثياب النفيسة) اى الغالية الاثمان (والمراكب) جمع مركب وهو كل ما يركب من فرس ونحوها (الرفيعة) اى العالية القدر عند اهل الدنيا (والمساكن) اى البيوت ونحوها (الواسعة) ليعظمهم بسبب ذلك الملوك والاغنياء وتهابهم الفقراء والمساكين (وهم) مع ذلك (يلبسون فى بيوتهم) الثياب الخشنة ولا يخرجون بها) الى الناس (و) الشئ (الثالث) مما به الرياء (القول) اى الكلام باللسان (كالوعظ) للناس بذكر ما يصلحهم فى امور دينهم (والنطق بالحكمة) اى التكلم بالمعارف والاسرار والحقائق الالهية (و) النطق بالوارد من (الآثار والاخبار) عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم (اظهارا) منه (لغزارة) اى كثرة (العلم ودلالة على شد العناية) اى الاعتناء (باحوال السلف) الصالحين (وتحريك) معطوف على النطق بالحكمة اى كتحريك (الشفتين) العليا والسفلى (بالذكر) لله تعالى (والامر) اى وكالامر (بالمعروف) للناس (والنهى) لهم (عن المنكر بمشهد) من (الخلق) اى بحيث يشهده الناس ويرونه (واظهار) اى وكاظهار (الغضب للمنكرات) التى يفعلها الناس اى لاجلها (واظهار الاسف) اى الحزن الشديد (على مقارفة) اى اقتراف بمعنى اكتساب (الناس للمعاصى وترفيق الصوت) اى تليينه وتحزينه (بقراءة القرآن ليدل بذلك) كله (على الحزن) من تضييع الحقوق الشرعية الواجبة عليه (و) على (الخوف) من الله تعالى بسبب ذلك (وادعاء) معطوف على ترفيق الصوت (حفظ القرآن) اى قوله فى الناس انى احفظ القرآن (و) حفظ (الحديث) النبوى ليعظمه الناس (و) ادعاء (لقاء الشيوخ) المشهورين افتخارا بهم (وذكر ما فعله من الطاعات) ولم تعلم به الناس فيعلمهم بذلك وهو السمعة لترتفع مرتبته عندهم فينال غرضه من الدنيا (والرد على من روى) اى نقل (الحديث) النبوى (ببيان خلل فى نقله) ذلك بنحو نقصان فى الرواية احد الرواة (او) بيان خلل فى (صحته) اى الحديث (او) فى (لفظه) بنحو تصحيف (ليعرف انه

Marfat.com

بصير) اى عالم محقق (بالاحاديث) النبوية فيصير مرجعا فيها فينال غرضه من الدنيا (وكالمجادلة) اى المناظرة بجدال وخصام فى الابحاث العلمية (على قصد الخلم) اى الزام (الخصم ليظهر للناس دونه) اى تحقيقه ومتانته (فى العلم و) فى (الدين) المحمدى (و نحو ذلك) مما يكون بالقول من الامور الدينية التى يريد بها الدنيا كرد غيبة احد بقصد التقرب الى محبته ونيل غرضه منه بذلك والخطابة فى الجمع والاعياد بقصد اظهار الفضيلة (ورياء اهل الدنيا) بالقول يكون (بالاشعار) جمع شعر وهو الكلام الموزون المقفى يعنى بانشائه او بانشاده (و) بايراد (الامثال) جمع مثل بالتحريك وهو الشبه (واظهار البلاغة والفصاحة) فى المخاطبات والرسائل لاظهار المزية على الغير (و) الشئ (الرابع) مما به الرياء (العمل) بالجوارح (كتطويل المصلى القيام) فى الصلاة (والركوع) فيها (والسجود) فيها فى السهو والتلاوة (وتعديل الاركان) وهو الطمأنينة بقدر تسبيحة فى القيام والركوع والسجود والقعود (واطراق) اى طأطأة (الرأس) فى الصلاة (وترك الالتفات) فيها بوجهه (و اظهار الهدو والسكون) بلا اضطراب ولا حركة لاظهار الخشوع فى الصلاة (وتسوية القدمين) فى القيام من غير تقديم ولا تأخير فيهما (و) تسوية (البدن) بلا اعوجاج فى الوقوف (فى محضر) اى موضع حضور (الناس) ليروه كذلك فيمدحوه و يعظموه (دون الخلوة) يعنى يترك ذلك فى حالة الخلوة لعدم احتياجه اليه حينئذ (وقس) انت ياايها السالك (عليها) اى على ما ذكر من اعمال الصلاة (سائر العبادات) كاعطاء الزكاة واداء الحج والعمرة وغير ذلك (ورياء اهل الدنيا) بالعمل بالاعضاء (بالتبختر) ويقال البخترة وهى مشية حسنة فيها هز المنكبين (والاختيال) وهو الخيلاء و الخيلاء بالضم والكسر بمعنى الكبر تقول منه اختال فهو ذو خيلاء اى ذو كبر (وتقريب الخطا) جمع خطوة فى المشى (والاخذ باطراف الذيل) لاظهار الترف والخفة والنشاط (ونحوه) كوضع اطراف القدم والاصابع على الارض فى المشى ورفع الرأس وابداء الصدر فى السير بين الناس اظهارا للظرافة والفخر والرياسة (و) الشئ (الخامس) مما به الرياء (الاصحاب) الذين يختلط بهم و يجالسهم (والزائرون) له النازلون عليه فى نحو قرية او بلدة (كمن يفرح بكثرتهم) ليكبر جاهه عند الناس و يعظم قدره (ومشيهم) اى الاصحاب (خلفه عند ذهابه الى الجمعة) او العيدين او لمكان الدرس او الذكر (او الدعوة) اى الضيافة (و يباهى) غيره (بهم) اى يفاخره لتعظم منزلته عند الغير فينال غرضه من الدنيا (ولا يذهب الى شئ من ذلك (وحده ليقال انه مرشد) الى طريق الله تعالى (كامل) فى مرتبة الارشاد (له اتباع كثيرة) فتقبل عليه الناس و يعظمونه (ورياء اهل الدنيا) بالاصحاب والزائرين (ليقال) عنه (انه ذو قدرة) على تحصيل كل ما يريد

Marfat.com

من المصالح والنتائج الدنيوية والمناصب والوظائف (و) انه ذو (ثروة) وهى كثرة العدد من الناس والمال كذا فى مختصر القاموس (و) ذو (عبيد و) ذو (خدم كثيرة) فتنصرف اليه النفوس بالاجلال والتعظيم (المبحث الثالث) من المباحث السبعة (فيماله) اى لاجله يكون (الرياء) من العبد (وهو) اى مالاجله الرياء (الجاه) اى القدر والمنزلة عند الناس (واستمالة القلوب) الى محبته وتعظيمه ومدحه والثناء عليه (امالذاته) اى ذات ماذكر بان كان يحب نفس الجاه واستمالة القلوب (واما للتوسل به) اى بما ذكر (الى) فعل (معصية) كشرب خمر اوزنا اوغصب اورشوة ونحو ذلك (اومباح) كنكاح امرأة اوشراء دار اولذيذ مأكل اومشرب (اوطاعة فى اعتقاده) بان كان غيره ينكر عليه فعلا من الافعال هوطاعة الله تعالى فى مذهبه (وقد تكون هذه الثلاثة) المذكورة (اغراضا) مقصودة (من الرياء بغير توسط) فقصد (جاه) اولائم هى ثانيا (فتلك) اى جملة مالاجله يكون الرياء (اربعة) اقسام ذات الجاه واستمالة القلوب والثلاثة الباقية (ولكل) اى لاجل كل واحد منهما (يقع) للعبد (الرياآن) اى رياء اهل الدين ورياء اهل الدنيا (اما) القسم (الاول) اى الرياء لذات الجاه واستمالة القلوب رياء اهل الدين (فكمن يقصد بعبادته) من صلاة ونحوها (ان يشتهر) بين (الناس) بالزهد (فى الدنيا) والارشاد للمتعلمين (وكثرة المريدين و) كثرة (الاحباء) له والاصدقاء (وكمن يمشى) فى الاسواق ونحوها (فيطلع عليه الناس فيترك العجلة) فى المشى (كى لايقال) عنه (انه من اهل اللهو) اى الغفلة والاشتغال بزخارف الدنيا (والسهو) عن ادراك خفايا الامور (لامن اهل الوقار) اى الحشمة والهيبة ومنهم (اى من اهل الرياء بذات الجاه فى الدين من اذا سمع هذا) اى قول الناس انه من اهل اللهو والسهو (استحيى) من الناس (ان يخالف مشيته فى الخلوة) اى اذا كان وحده (مشيته بمرأى من الناس) اى فى موضع تراه الناس مخافة ان يعلم الناس انه متصنع لهم (فيكلف نفسه المشية الحسنة) بالتؤدة والوقار (فى الخلوة ايضا) اى كما يكلف نفسه ذلك بين الناس (حتى اذا رآه الناس) بغتة من غير تصنع منه (لم يفتقر الى التغير) فى مشيته (ويظن انه تخلص به) اى بهذا الصنيع (من الرياء و) الحال انه (قد تضاعف) اى تكثر (به رياؤه فانه انما يحسن مشيته فى خلوته ليكون كذلك) اى حسن المشية (فى الملاء) اى بين الناس (لالحياء) عنده (من الله تعالى) حتى ينتفى الرياء حينئذ (وكذلك من يسبق منه الضحك) قهرا عند السماع كلام مضحك اورؤية شئ مضحك (او يبدو) اى يظهر (منه المزاح) اى اللعب (فيخاف ان ينظر) بالبناء للمفعول اى ينظر اليه) الناس (بعين الاحتقار) له (فيتبع ذلك الضحك بالاستغفار) اى طلب المغفرة من الله تعالى عن ذلك (و) باظهار (تنفس الصعداء) بالضم والمد تنفس ممدود كذا فى الصحاح (ويقول) فى اثناء ذلك (ماأعظم غفلة الآدمى عن) مراقبة

Marfat.com

احوال (نفسه) ومراعاة آدابها (والله تعالى يعلم منه انه لو كان فى خلوة) بحيث لا يراه احد (لما كان يثقل عليه ذلك) الضحك (وانما يخاف ان ينظر) اى ينظر (اليه) الناس (لا بعين التوقير) اى التعظيم والاجلال (وكالذى يرى جماعة) من الناس (يتهجدون) اى يصلون بالليل بعد النوم فالتهجد اخص من صلاة الليل لانه القاء الهجوع الذى هو النوم (او يصومون) صيام النفل (او يتصدقون) صدقة النافلة (فيوافقهم) فى فعلهم ذلك (خيفة ان ينسب) عندهم او عند غيرهم (الى الكسل) فى طاعة الله تعالى (او يلحق بالعوام) الذين لا زيادة عمل لهم (ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه) اى من ذلك كله (وكالذى يعطش يوم عرفة) وهو تاسع ذى الحجة (او) يوم (عاشوراء) وهو عاشر المحرم (فلا يشرب) ذلك اليوم الماء اصلا ولا يأكل شيئا الى آخر النهار (خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم) فى ذلك اليوم فان صومه مستحب (وان ضطر اليه) الى انه غير صائم بان سأله احد ولا يمكنه الكذب خوفا على سقوط منزلته عند السائل (ذكر لنفسه عذرا) يمهد له اولو ليه افطاره ذلك اليوم (تصريحا) اى بطريق الصريح من غير كناية (او تعريضا) بالعذر اى اشارة اليه (بان يتعلل بمرض) هو فيه (اقتضى) ذلك المرض (فرط العطش) فحمله على الافطار ذلك اليوم (او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان) ويذكر صديقا له او استاذا او اباو نحو ذلك (وقد لا يذكر ذلك) العذر (متصلا بشربه الماء كى لا يظن) بالبناء للمفعول اى يظنه احد (انه يعتذر رياء) وينكشف امره فى ذلك (ولكنه يصبر) على ظهور عدم الصوم منه للناس ذلك اليوم (ثم يذكر عذره) بعد ذلك (فى معرض) اى مناسبة (حكاية) يحكيها عن غيره (مثل ان يقول ان فلانا) ويذكر احد الكرماء والكبراء (يحب للاخوان شديد الرغبة فى ان يأكل الانسان من طعامه) ولا يرضى ان احدا يحضر سفرته ولا يأكل منها (وقد الح اليوم على) واكثر فى الطلب منى ان افطر (ولم اجد بدا) اى عوضا قال فى الصحاح وقولهم لا بد من كذا كانه قال لا فراق منه ويقال البد العوض (من تطييب قلبه) بافطارى فافطرت (ومثل ان يقول) فى اعتذاره عن الافطار ذلك اليوم ان (امى ضعيفة) اى رقيقة (القلب مشفقة علىّ) اذا رأتنى فى ادنى مشقة بحيث (تظن انى اوصمت يوما مرضت) من ذلك (ولا تدعنى) اى فلا تتركنى (ان اصوم) فلذلك افطرت (واما المخلص) فى ذلك (فلا يبالى كيف نظر الخلق اليه) اى على اى وجه كان نظرهم اليه (فان لم يكن له رغبة فى الصوم) ذلك اليوم (وقد علم الله) تعالى (ذلك) اى عدم رغبته (منه فلا يريد) هو (ان يعتقد غيره) منه (ما يخالف علم الله) تعالى (فيكون) حينئذ (ملبسا) على ذلك الغير (وان كان له رغبة فى الصوم) طمعا فى ثواب الله تعالى عليه (قنع بعلم الله) تعالى ذلك منه (ولم يشرك فيه) اى فى الله تعالى (غيره) فلم يكن

Marfat.com

حريصا على اطلاع غيرالله تعالى عليه (الا ان يخطر له ان فى اظهاره) اى الصوم واطلاع غيرالله تعالى عليه (اقتداء) اى متابعة (غيره) له فيه (فيظهر) صومه حينئذ بنية اقتداء الغير به ليكون له مثل ثواب ذلك الغير زيادة على ثوابه هو بصومه (و) اما الرياء لذات الجاه واستمالة القلوب رياء اهل الدنيا فهو (كمن يريد باظهار الشجاعة) للناس والاقدام فى الحرب (وحسن التدبير) فى احوال الجنود (الامارة) مفعول يريد يعنى ان يصير اميرا (والوزارة) بان يصير وزيرا (ونحوهما) من بقية المناصب (واما) القسم (الثانى) وهو الرياء للتوسل به الى معصية رياء اهل الدين (كمن رأى بعبادته) من صلاة اونحوها (ويظهر) للناس (التقوى) اى الاحتراز عن المعاصى (و) يظهر (الورع) وهو التدقيق فى امتثال الامر واجتناب النهى (والامتناع من اكل الشبهات) جمع شبهة وهى مايشبه الحرام وليس بحرام (ليعرف) بالبناء للمفعول اى يعرفه الناس (بالامانة) ومراعات الحقوق من غير تضييع شئ منها (فيولى) بالبناء للمفعول اى يوليه الامام (القضاء) على الناس (او) النظر فى (الاوقاف او) النظر فى (مال الايتام اويودع) بالبناء للمفعول اى يودع الناس عنده (الودائع فيأخذهما) بلاحق (ويجحدها) على اهلها ولايعترف لهم بها (وكمن يظهر) للناس (زى) اى هيئة (التصوف) من التعمم بالصوف ولبس المرقعات واخذ العكاز ونحو ذلك (و) يظهر (هيئة الخشوع) كطأطأة الرأس واخفاء الصوت وغض البصر وعدم الالتفات الى شئ ونحو ذلك (و) يظهر (كلام الحكمة) كعلوم التوحيد والمعرفة (على سبيل الوعظ) للناس (والتذكير) لهم (ليتحبب) بذلك (الى امرأة) فتصير تحبه فيجتمع معها (او) الى (غلام) فيصير يحبه ويجتمع معه (لاجل الفجور) بتلك المرأة اوذلك الغلام (وكمن يحضر مجالس العلم) اويشرع فى قراءة العلم على المشايخ (و) كذلك من يحضر (حلق) جمع حلقة (الذكر) التى للصوفية (بملاحظة) اى بسبب نظره الى (النسوان والصبيان) الحسان الذين يحضرون هناك فينظر نظر شهوة وميل الى مماسة ونحوها واما النظر المجرد عن ذلك فليس بمعصية قال الغزالى رحمه الله تعالى ان المحبة قد تكون لذات الشئ لا لقضاء الشهوة منه وقضاء الشهوة لذة اخرى والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة والالوان الحسنة حتى ان الانسان ليتفرج عنه الهم والغم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر كذا ذكره الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير عند الكلام على حديث كان يعجبه صلى الله تعالى عليه وسلم النظر الى الخضرة والماء الجارى اى كان يحب مجرد النظر اليهما ويلتذبه فليس اعجابه بهما ليأكل الخضرة او يشرب الماء اولينال منهما حظا سوى نفس الرؤية انتهى وكذلك هنا النظر المجرد عن قصد المعصية ليس

Marfat.com

بمعصية (و) امارياء اهل الدنيا فهو (كمن يظهر) للناس (الشجاعة) باقدامه فى الحروب والمخاصمات (وحسن السياسة) بتدبيره ونظره السديد (و) حسن (الضبط) بعدم تضييع شئ من امور الدنيا واتقان الحساب (ليصل) بذلك (الى ولاية) منصب من مناصب الدنيا (اووصاية) على مال ايتام (اونحوهما) كوكالة عن احد اوخدمة كبير من اهل الدنيا (فيتمكن) بسبب ذلك (من) اتيان (المحرمات المشتهيات) له كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك (واما) القسم (الثالث) وهوالرياء للتوسل به الى مباح (فكمن يرائى بعبادته) غيره من الناس (ليبذل له) ذلك الغير (الاموال) حيث يراه مستحقا لها روى ابوطالب المكى فى القوت عن عبيد بن ابى واقد عن عثمان بن ابى سليمان قال كان رجل يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله وفقده موسى عليه السلام دهرا فجعل موسى عليه السلام يسأل عنه فلا يحس منه اثرا حتى جاء رجل ذات يوم وفى يده خنزير فى عنقه حبل اسود فقال له موسى عليه السلام اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب اسألك ان ترده الى حاله الاول حتى اسأله عما اصابه هذا فاوحى الله اليه لودعوتنى بالذى دعانى آدم فمن دونه ماأجبتك فيه ولكنى اخبرك انما صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين كذا ذكره النجم الغزى فى حسن التنبه ولو كان المسخ فى هذه الامة كما كان فى الامم السابقة لرأيت ممن يطلب الدنيا بالدين خنازير كثيرا ولكن المسخ الآن واقع فى القلوب لافى الصور الظاهرة (وترغب فى نكاحه) اى تزوجه (النساء) لرؤيتهن كمال عبادته (ويسارع فى خدمته و) قضاء (حاجته الناس) حين يرونه اهلا للخدمة والتبرك به (وكمن يخفف الصلاة ويترك التعديل) للاركان (و) يترك (الآداب) المطلوبة للصلاة (فى) حالة (الخلوة ويطيلها) اى الصلاة (ويراعى التعديل) لاركانها (و) يحفظ (الادب) فيها على وجه الاتقان لها (فى الملاء) اى فى جماعة الناس (فرارا) بذلك الفعل وتباعدا (عن ايذاء الناس) اى عن ان يؤذيهم (بمذمته وغيبته) بالكسر اى ذكره بسوء فى غير حضرته (لاطلبا) بذلك (للمدح منهم) اى من الناس (ولاثوابا) اى من جهة الثواب على ذلك (من الله) تعالى وقد وجدنا طائفة ممن يزعمون العلم يتباعدون عن المعاصى مخافة ذم الناس لهم والوقوع فى غيبتهم وهم يصرحون بذلك ويعتقدون ان تباعدهم عن المعاصى بذلك القصد طاعة منهم لله تعالى حتى انهم اذا توهموا من احد معصية اوردوا له قولهم رحم الله امرأ جب الغيبة عن نفسه على وجه الاحتجاج بهذا القول زاعمين انه حديث وان معناه صحيح ويحثون الناس على ماهم فيه من اجتناب المعاصى مخافة الغيبة والمذمة ويعلمون الناس الرياء ويحملونهم عليه بلانكير منهم على ذلك ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ولئن سلمنا انه حديث وان معناه صحيح فان معناه رحم الله امرأ ترك المعصية لله تعالى فكان ذلك

Marfat.com

سببا منه الى جب اى قطع الغيبة عنه لانه ترك المعصية لاجل جب الغيبة عنه اى قطعها من الناس (وكمن يصلى) صلاة (او يقرأ) شيئا من القرآن (او يهلل) يرفع صوته (لاخذ المال) من غيره بان قصد ان يراه الغير اهلا لاعطائه الصدقة ومستحقا لها لاقباله على الطاعة (والتلذذ به) اى بالمال الذى اخذ بصرفه فى مشتهيات نفسه (وكالمثال الاخير للثانى) من اقسام الرياء المذكور فيما مر وهو ان يظهر الشجاعة وحسن السياسة والضبط ليصل الى ولاية ووصاية ونحوهما (ثم ليصل) بما يحصل له من ذلك (الى المشتهيات) النفسانية (من المباحات واما) القسم (الرابع) وهو الرياء ليتوسل به الى طاعة فى اعتقاده (فكالمثال الثانى للثالث) من اقسام الرياء السابق ذكره وهو ان يخفف الصلاة ويترك التعديل والآداب فى الخلوة و يطيلها و يراعى التعديل والادب فى الملأ (اذا كان غرضه) بذلك (صيانة) اى حفظ (الناس عن المعصية) وهى الوقوع فيه (بالغيبة والذم) فان صيانتهم عن ذلك طاعة فى اعتقاده لا فى اعتقادهم لانهم مستحلون غيبته ومصرون عليها (وكالمتعلم يرائى) معلمه (بطاعته) لله تعالى كصلاته وصيامه (لينال) بذلك (عند المعلم) له (رتبة) اى مزية عظيمة (فيتعلم منه) اى من معلمه (علما نافعا) له فى اعتقاده هو وربما كان مضرا له فى اعتقاد معلمه لعدم استعداده له بالتقوى (وكالولد يرائى بعلمه) ابويه (ليميل اليه قلب ابويه) ويشفقان عليه (فيكون بارا) اى محسنا (لهما) ولو اطلعا على ريائه فى ذلك لسخطا عليه حيث لم يبلغا مرادهما منه (وكمن يرائى) بعبادته (عند الاغنياء) من التجار وغيرهم (لينال منهم مالا ويتخذه عدة) عنده (للعبادة) يستعين به فيها (و يرائى) بعبادته (عند الامراء والوزراء) من اكابر الدولة (و) عند (القضاة) واهل الحل والعقد من ولاة المناصب (لينال) بذلك (منهم جاها) فى الدنيا بين الناس (ومنصبا) عاليا (ليتفرغ به) اى بسبب ذلك الجاه والمنصب (للعبادة) والطاعة (ودفع الشواغل) الدنيوية عنه (و) دفع (الظلم) عن المظلومين بالشفاعة والموعظة (ولينفذ) اى بالجاه والمنصب عند الناس (قوله) الحق (فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) فيسمعون منه ذلك ويقبلونه (وكمن تعطى) بالبناء للمفعول اى يعطى الناظر (له دراهم مسماة) فى كل سنة اوشهر اوجمعة اويوم (عينها واقف) من المسلمين (اوغيره) اى غير واقف كاحد من الناس (ليقرأ جزأ من كلام الله) تعالى (كل يوم) فى الجامع الفلانى او المدرسة الفلانية او المدفن الفلانى اوفى اى مكان كان من غير تعيين مكان (او) حتى (يصلى كذا ركعة) عشرة اومائة (اويسبح) كذا تسبيحة (او يهلل او يكبر) كذلك (او يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) او يدرس فى العلم اوتعليم القرآن (ويعطى ثوابه) الحاصل له بسبب ذلك (للمعطى) من الواقف اوغيره (اولاحد ابويه) اى المعطى المذكور (فيفعل ذلك المسكين) الذى اقدم على شرط هذا الوقف

Marfat.com

الفاسد والصدقة الفاسدة بقصد تحصيل ذلك المبلغ من الدنيا المعين له (تلك العبادات) المذكورة ويجتهد فى عملها (طمعا) منه (فى المال) المذكور (بجعله عدة) له (وقوة للعبادة) والطاعة (ويظن) من جهله (انه) اى ذلك المال المذكور (حلال) له (وان ثوابه) على ذلك (يصل الى الامر) المذكور (وانه فى طاعة) مع انه فى رياء وما عبد الله تعالى بتلك العبادات الا لاجل المال المذكور وهو فى معصية ظاهرة واثم قبيح فاى ثواب له حتى يجعله لغيره واما الاوقاف الآن والصدقات الجارية على قراءة الاجزاء القرآنية واجزاء صحيح البخارى ومسلم ومعلومات للمؤذنين والمدرسين فى الجوامع والمدارس ونحوها فهى موقوفة على كل من يفعل هذه العبادات فى هذه المواضع المخصوصة لا بشرط ان يكون ثوابها للواقف والمتصدق بذلك بل يكون للواقف والمتصدق ثواب الصدقة بذلك على القائمين بهذه العبادات وثواب اعمالهم على ذلك كذلهم لا للواقف والمتصدق وانما هذه الوظائف اعانة لهم على طاعة الله تعالى فقط فليست من هذا القبيل الذى اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى الا اذا شرط الواقف او المتصدق ان ثواب هذه العبادات يكون له فى مقابلة ما عينه من المال فهو امر باطل حينئذ وفعله حرام بهذه النية (وكمن يصلى او يهلل) او يفعل نوعا من الطاعة (فى الملأ) بين الناس (لمجرد رؤية الناس) ذلك (ليقتدوه) اى يتابعوه (ويتعلموا منه كيفية العمل) الصالح ويحثهم على ذلك (ويصير سببا لطاعتهم لله تعالى (ولو لم يره الناس لم يفعل) شيئا من ذلك (وهذا) الفعل (ايضا) كالذى قبله (رياء) مذموم (بخلاف ما لو كان قصد الاقتداء باعثا على مجرد الاظهار) اى اظهار العمل ليقتدى به غيره (لا) على (الاحداث) اى احداث العمل ليقتدى به غيره وكان بحيث لو انفرد وحده ولم يطلع عليه غيره لم يعمل (فانه) اى قصد الاقتداء الباعث على مجرد الاظهار حينئذ (ليس برياء) لان العمل لولا قصد الاقتداء كان موجودا منه (بل هو مستحب) حينئذ لان فيه عملا وتعليما فهو افضل من العمل فقط (ورياء اهل الدنيا) فى هذا القسم يكون (باظهار الشجاعة ونحوها) كالكرم والبشاشة (ليصل) بذلك (الى حصول ولاية) اى منصب دنيوى (لينفذ احكام الشرع) باقواله وافعاله (ويصلح الناس) بتقويم اعوجاجهم (ويرفع الظلم) عنهم (والمنكرات) من بينهم (المبحث الرابع) من المباحث السبعة (فى) بيان (الرياء الخفى) عن صاحبه الذى هو فيه فلا يتنبه اليه الا بتدقيق النظر والتأمل فى احوال نفسه (و) فى ذكر (علاماته) ليتوصل بها العبد الى معرفة نفسه فلا يشتبه عليه الحال (اعلم ان الرياء قد يكون) جليا واضحا وقد سبق ذكره وقد يكون (خفيا) دقيقا يصل من الخفاء والدقة (الى ان يكون اخفى من دبيب النملة) اى حركة مشيها على حجر ونحوه (فيحتاج) هذا الرياء الخفى حينئذ (فى معرفته) عند العبد (الى علامات) يعرف بها وهى كثيرة (منها ان يسر)

Marfat.com

العبد اى يحصل له السرور والفرح (باطلاع الناس على طاعته) وثنائهم (ومدحهم له) فتنبش نفسه لذلك وتنشط به (من غير ان يلاحظ) فى حال سروره بذلك (اقتداء غيره به) اى متابعته له فى تلك الطاعة التى فعلها فيكون سروره لحصول طاعة الغير (و) بلاحظ حصول (اطاعتهم لله تعالى فى مدحهم) له حيث نشروا فضيلة المسلم وانصفوا فى كماله ورؤية مزيته والفرح بخصوصيته التى اختصه الله تعالى بها وتركوا حسدهم له فيها وجاهدوا انفسهم فى الاعتراف له بذلك مع ان النفوس مجبولة على حب الترفع على الاقران (و) فى (محبتهم للمطيع) لله تعالى فانها طاعة منهم (او يستدل به) اى باطلاع الناس على طاعته ومدحهم له (على حسن صنع الله تعالى) معه (و) حسن (نظره) سبحانه (له حيث ستر) عنه (القبيح) من الاعمال (واظهر الجميل) منها لغيره (فيكون فرحه) حينئذ (بجميل نظر الله تعالى له لا بحمد الناس) لاعماله والثناء منهم على افعاله (وقيام المنزلة) له (فى قلوبهم) ورفعة شأنه عندهم (وقد قال الله تعالى قل بفضل الله) اى احسانه واكرامه بالعناية والتوفيق للعلم والعمل (وبرحمته) سبحانه التى صار بها العبد اهلا لفيض الكمال عليه (فبذلك فليفرحوا) لان الفرح بذلك طاعة وقال تعالى بعده (هو خير مما يجمعون) اى من جميع ما فى نفوسهم من الاغراض الفاسدة وفى ايديهم من متاع الدنيا (او يستدل باظهار الله تعالى) الفعل (الجميل) له (وستر) الفعل (القبيح) عليه (فى الدنيا انه) تعالى (كذلك يفعل به) اى بالعبد (فى الآخرة كما جاء فى الخبر) عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث قتادة عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما انا امشى مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما آخذ بيده اذ عرض له رجل فقال يا اباعبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه قد هلك قال له ياعبدى انى لم استرها عليك فى الدنيا الا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وعن شيبة الحضرمى انه شهد عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث اشهد عليهن والرابعة لو شهدت رجوت ان لا اثم لا يجعل الله تبارك وتعالى من له سهم فى الاسلام كمن لا سهم له وسهام الاسلام الصلاة والصيام والصدقة ولا يتولى الله تبارك وتعالى عبدا فى الدنيا فيوليه غيره فى الآخرة ولا يحب قوما احد الاجاء معهم يوم القيامة والرابعة لا يستر الله تبارك وتعالى على عبد فى الدنيا الا ستر الله تبارك وتعالى عليه فى الآخرة ذكره الحرائطى فى مكارم الاخلاق (فان السرور) اى سرور العبد (باحد هذه الاربعة) التى هى

Marfat.com

ملاحظة اقتداء غيره به وملاحظة اطلاعهم لله تعالى فى مدحهم للمطيع ومحبتهم له والاستدلال بذلك على حسن صنع الله تعالى به ونظره اليه والاستدلال باظهار الجميل وستر القبيح عليه فى الدنيا انه يعامله فى الآخرة كذلك (حق) لاشبهة فيه (لايدل) شئ من ذلك (على الرياء وكن كثيرا ما) اى فى اكثر الاوقات (يداخله تلبيس) فيشتبه الامر فى ذلك عليه (فليكن على بصيرة) من حاله (ومنها) اى من علامات الرياء الخفى (ان يحب ان يوفره الناس) اى يعظموه (ويثنوا عليه) بما فيه من الاوصاف الجميلة وبما ليس فيه من ذلك (و) يحب (ان ينشطوه) اى يسارعوا (فى قضاء حوائجه) بلا تأخر منهم (و) يحب (ان يسامحوه) اى الناس (فى البيع والشراء و) يحب (ان يوسعوا له فى المكان) اذا دخل عليهم فيه (فان قصر فيه) اى فى شئ من ذلك (تقصير ثقل) ذلك التقصير (على قلبه) وعظم عليه (ووجد لذلك) التقصير (استبعادا) فى نفسه واستجاشا كليا (كان نفسه تتقاضى) اى تقبض شيئا فشيئا وتطلب (الاحترام) والتعظيم من الناس (على الطاعة) والاعمال الصالحة (التى اخفاها) عن الناس (واولم يكن سبقت منه تلك الطاعة) التى فعلها خفية عنهم (لما كان يستبعد ذلك) التقصير منهم فى حقه (ومهما لم يكن وجود العبادة) عنده (كعدمها) على حد سواء (فيما يتعلق بالخلق) اى المخلوقات (لم يكن) وجود العبادة (خالصا عن شوب) اى اختلاط (خفى) لايكاد يتنبه له صاحبه (من الرياء ومهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان) من بنى آدم بحيث يعقل ذلك ويعرفه له (او بهيمة) من البهائم لاتعقل ذلك ولاتعرفه له (ففيه) اى فى عمله (شعبة) اى نوع (من الرياء) ولكنها خفية عنه (الان تقارنه) اى تقارن فرقه بين الاطلاعين المذكورين (الملاحظة) لاقتداء غيره به اوطاعة غيره لله تعالى فى مدحه ومحبته له (اوالاستدلال) بذلك على حسن صنع الله تعالى به واظهار الجميل عنه وستر القبيح (السابقان) قريبا (وقليل ماهم) اى اهل الملاحظة والاستدلال المذكورين (فليكن) العبد (على بصيرة) فى ذلك (وحذر من التلبيس عليه) فى احواله واعماله (فان الناقد) للاحوال والاعمال الظاهرة والباطنة (بصير) كما قال تعالى *والله بكل شئ بصير (لايخفى عليه) سبحانه (قليل) من ذلك (ولا كثير) كما قال سبحانه * الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (ومنها) اى من علامات الرياء الخفى (انه لوكان له) اى للانسان (صاحبان) احدهما (غنى و) الآخر (فقير ووجد عند اقبال) صاحبه (الغنى) عليه (زيادة هزة) اى نشاط وارتياح وسرور واستبشار (فى نفسه لاكرامه) والاحتفال بقدومه عليه (الااذا كان فى) صاحبه (الغنى زيادة علم) ليس فى صاحبه الفقير فاحتفل به لاجلها (او) زيادة (ورع اوصدقة سابقة) بينهما (اونحوها) من رغبة فى توبته من بدعة اوفسق اولاجل

Marfat.com

شفاعة عنده فى دفع مظلمة اوخوفه منه (فمن كان استرواحه) اى ميله واقباله (الى مشاهدة الاغنياء اكثر) من الفقراء (بدون ماذكر) من احد الوجوه (فهو مرائى) وما فعله رياء (ومن العلامات) على وجود الرياء الخفى (المختصة بالواعظ) الذى يذكر الناس امور المعاد ويحثهم ويزجرهم بالترغيب والترهيب (والعالم) الذى يعلمهم الاحكام الاعتقادية والعملية (والشيخ) الذى يربيهم فى سلوك طريق الله تعالى بالتقوى وبيان ذلك (انه) اى كل واحد ممن ذكر (لوظهر) له من الناس (من هو احسن منه وعظا) من طلاقة اللسان وكمال الحفظ والنصح التام (واغزر) اى اكثر (علما) بزيادة اطلاع على العلوم الشرعية واعرف بالتربية فى مقام السلوك (و) وجد (الناس اشدله) اى لذلك الظاهر الاحسن منه (قبولا) واعتناء به ووجدهم تركوه وذهبوا الى ذلك الاحسن منه (ساءه) اى اخزنه فعلهم ذلك اواحزنه هو ذلك الاحسن (وحسده) على كماله فان هذا دليل على كونه مرائى ولكن رياؤه خفى عنه (نعم لابأس بالغبطة) فى الحسد وهى ان يتمنى مثل النعمة التى وجدها على غيره من دون زوالها عنه وفيه اشارة الى ان الاولى ترك الغبطة ايضا لئلا تعود النفس الحسد قال الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه فى كتابه مالايعول عليه فى النصايح الحسد فى الخير لايعول عليه لئلا يعتاده الطبع (ومنها) اى من العلامات على الرياء الخفى المختصة بمن ذكر (ان الاكابر) من الناس كاهل المناصب والتجار (اذا حضروا مجلسه يغير) فى الحال (كلامه عما كان عليه) قبل ذلك (تصنعا) منه لهم (واستمالة لقلوبهم) بذكر ما يناسبهم من الكلام (نعم اوزاد) على كلامه الاول (مايتعلق باصلاحهم) من بيان النصايح والمواعظ والاحكام (بلطف) منه فى خطابهم (ورفق) ولين (ليستدرجهم) من اصرارهم وفسقهم (الى التوبة) من ذنوبهم (والصلاح) من فسادهم (لحسن ذلك) الفعل منه وكل موقعه (ولكن ذلك محل تلبس) على النفوس فليحترز الموفق منه (فان اشتبه) الامر (عليه) واشكل الحال (فلينظر الى الخلق) كلهم (بعين واحدة) فلا يميز غنيا لغناه من فقير لفقره ولا كبيرا من صغير ويعامل الكل معاملة واحدة فانه يسلم من الرياء الخفى ان شاء الله سبحانه وتعالى واعلم ان هذه العلامات المذكورة هنا للرياء الخفى انما هى علامات للسالك فى حق نفسه لا فى حق غيره ولهذا علمها بالمقاصد القلبية التى لايعلمها غير صاحبها وقد صرح بذلك المحاسبى فى الرعاية فلايجوز اعتبار تلك العلامات فى حق الغير لانها قد تتخلف فى البعض لان مقاصد القلوب لاتحصى وظن السوء بالمسلم حرام وكذلك التجسس عنه والاستكشاف عن عوراته وتتبع العلامات لفضيحته بها كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

Marfat.com

﴿ المبحث الخامس ﴾

من المباحث السبعة (فى) بيان (احكام الرياء) وماهو مذموم منه شرعا وماهو غيرمذموم (اعلم ان الرياء بعمل الدنيا) على حسب ما سبق بيانه (لا يحرم) فعله على المكلف (ان خلا عن التلبيس) على الناس فى امر الدين (والتزوير) عليهم فيه (ولم يتوصل) أى يتوصل ذلك المرائى (به) اى بعمل الدنيا (الى) فعل (المنهى عنه) نهى تحريم اوكراهة (ولكن ان كان) ذلك الرياء بعمل الدنيا (المحط) اى انصب الذى تطلبه النفس (العاجل) قبل يوم القيامة (فمذموم) شرعا كما قال تعالى فى حق الكافرين * وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب * وقال ايضا * ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا * (والا) اى وان لم يكن للحظ العاجل (فمستحب يثاب عليه (لما بينا) فيما مر (فى حب الرياسة) من ان التوسل به الى اخذ الحق وتحصيل المرام المستحب اوالمباح اورفع الظلم والشواغل والتفرغ للعبادة اوالى تنفيذ الحق واعزاز الدين واصلاح الخلق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا ان خلا عن المحظور كالرياء والتلبيس وترك الواجب والسنة فجائز بل مستحب وقد سبق شرحه (واما الرياء بالعبادة) وطاعة الله تعالى (فحرام كله) اجماعا (بل ان كان) الرياء (فى اصل العبادة) اى وجودها لا فى تحسينها (كمن يصلى الفرض عند الناس) اذا كان بينهم (ولا يصلى) اصلا اذا كان وحده (فى الخلوة فكفر) اى ذلك الرياء (عند البعض) من العلماء لانه عبادة غيرالله تعالى (قال فى) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية (وفى) كتاب (الينابيع) شرح القدورى (قال ابراهيم بن يوسف لو صلى) الانسان (رياء) اى لاجل ان يراه غيره من الناس (فلا اجر) اى لا ثواب (له) على تلك الصلاة (وعليه الوزر) اى الاثم لانه فعل معصية لا طاعة (وقال بعضهم) اى بعض العلماء (يكفر) لعبادته غيرالله تعالى (انتهى) ما نقله عن التاتارخانية (وممن قال بكفره) اى كفر من صلى رياء (الفقيه ابوالليث) السمرقندى رحمه الله تعالى (ذكره) اى هذا القول (فى) كتابه (تنبيه الغافلين واغلظ) اى شدد (فيه) اى فى المرائى بصلاته (حيث جعله منافقا تاما) اى كاملا فى نفاقه يكون يوم القيامة (فى الدرك) وهو اقصى قعر الشئ (الاسفل) صفة له كاشفة (من النار) اى نار الآخرة (مع آل) اى اتباع (فرعون وهامان) وزير فرعون وهو فرعون موسى قال ابن الجوزى والفراغنة ثلاثة فرعون الخليل واسمه سنان وفرعون يوسف واسمه الريان وفرعون موسى واسمه الوليد ابن مصعب ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وكون غرضه) اى المرائى بالعبادة (منه) اى من الرياء حصول الطاعة لله تعالى المترتبة على ريائه بتلك العبادة (كصيانة الناس) اى حفظهم (عن الغيبة) اى الوقوع فى حقه بالسوء فى غيبته (و) كقصد (تحصيل العلم النافع) بسبب ذلك الرياء بالتقرب الى من يعلمه ذلك (و) كتحصيل

Marfat.com

(برالوالدين) اى اطاعتهما والاحسان اليهما (و) كتحصيل (المال عدة للعبادة) اى استعانة به فيها (وقوة) به (عليها وتفرغالها) عن اشغال الدنيا (ودفعالمانعها) اى مانع العبادة من الكسب وغيره (و) كتحصيل (الجاه) اى رفعة الشان والقدر بالمناصب الدنيوية (كذلك) اى عدة للعبادة وقوة عليها وتفرغالها ودفعا لما نعها (فبعد تسليم صدقة) اى المرائى فيماذكر (لايفيد) غرضه المذكور شيئا (ولايجعله) اى الرياء بالعبادة (حلالالانه) اى غرضه المذكور (تلبيس) عليه (وكذب) فى احواله (فعلى) اى منسوب الى الفعل وهوعدم مطابقة الفعل للواقع لاكذب قولى (وصورة استهانة) اى تهاون (واستهزاء) اى سخرية (لله تعالى) من حيث انه عبد غيرالله تعالى ثم صرف ذلك الى الله تعالى فكان فيه صورة المستهين والمستهزئ بالله تعالى لاحقيقة ذلك اذحقيقته كفر لامحالة (بخلاف مالوكان قصده من عبادته) التى عبدالله تعالى بها (و) من (طلبه بها) اى بتلك العبادة حصول (المال والجاه المذكورين) اللذين يستعين بهما على العبادة (ابتداء) اى فى ابتداء الامر (من الله) تعالى بدون قصد غيره تعالى بذلك ثم قصده تعالى بما يحصل من ذلك الغير (ولم يرد) بذلك (ارآءة الناس) بان يروه (واسماعهم) بان يسمعوابه (فانه) اى هذا القصد من العبادة (حلال) له حينئذ (لارياء كماسبق) اى مثل ماسبق فيمن اراد راءة الناس وغرضه بذلك صيانة الناس عن غيبته ونحوماذكر (لانه) اى قصد عبادة الله تعالى ابتداء (ليس فيه تلبيس و) لا (صورة استهانة) كمافى الاول (نعم لوكان مقصوده) اى المرائى بعبادته (منهما) اى من المال والجاه (الحظ العاجل) اى الغرض النفسانى فى الحياة الدنيا (فرياء) حينئذ حيث لم يقصد بهما الاستعانة على طاعة الله تعالى ونحوماسبق (لايحل) فعله (لانه جعل عبادة الله تعالى آلة) للتوصل الى غرض نفسه (وشبكة للدنيا) يصيدبها الحطام العاجل (وقد وضعها) اى العبادة (الله تعالى لنفع الآخرة) لالنفع الدنيا (وفيد) اى فى طلب نفع الدنيا بها (قلب) اى عكس (الموضوع) الذى وضعه الله تعالى حيث حكم به فى الشرع (فلا يفيد) فى انتفاء الرياء (كون ارادته) المال والجاه (من الله) تبارك وتعالى (لامن الخلق) حيث قصدبها تحصيل غرضه الدنيوى من حظه العاجل (قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا) الحرث الكسب وجمع المال كذافى مختصر القاموس وفى الصحاح الحرث كسب المال وجمعه وفى الحديث احرث لدنياك كانك تعيش ابدا (نؤته منها) اى من الدنيا (وماله فى الآخرة من نصيب) حيث تعجل نصيبه فى الدنيا بطلب منه ولا يبقى نصيبه من الآخرة الابذنب سبق منه فى الدنيا وهو طلبه للدنيا من الله تعالى بعمل الآخرة (واما بيان تأثيره) اى الرياء (فى الطاعة) وعبادة الله تعالى (فالمغلوب) من رياء التخليط كماسبق اى الذى غلب فيه قصد عبادة الله تعالى على قصد غير ذلك فكان قصد الغير مغلوبا بقصد

Marfat.com

عبادة الله تعالى (ينقص اجرها) اى ثواب الطاعة فلا يبقى كاملا فى الآخرة (ولا يبطلها) اى الطاعة (و) الرياء (المساوى) اى ماتساوى فيه قصد عبادة الله تعالى مع قصد غيرذلك (و) الرياء (الغالب) اى ماغلب فيه ارادة غير الله تعالى بعبادته على ارادة الله تعالى (و) الرياء (المحض) اى الذى فيه ارادة غير الله تعالى فقط بالعبادة (يبطلها) اى الطاعة (العدم) وجود (النية) فيها حيث قصد بفعلها غير وجه الله تعالى (وهى) اى النية (شرط فى) صحة كل عبادة (من حيث انها) اى تلك العبادة (عبادة) وهى الصحة الشرعية احتراز عن الصحة بمعنى وجود الافعال فى الحس والعرف كالوضوء بلا نية فانه ليس بعبادة وان صحت به الصلاة لانه شرط لها والشروط يراعى حصولها لا تحصيلها كالغسل وستر العورة وغسل النجاسة المانعة ونحو ذلك قال فى الاشباه والنظائر وفى بعض الكتب ان الوضوء الذى ليس بمنوى ليس بمأمور به لكنه مفتاح للصلاة ونقل ابن امير حاج فى شرح منية المصلى عن الخلاصة انه يجزئ الوضوء والغسل بغير نية الا ان الكرخى اشار فى كتابه الى ان الوضوء بغير نية ليس الوضوء الذى امر به الشرع واذا لم ينو فقد اساء واخطأ وخالف السنة وهكذا قال المتقدمون من اصحابنا لا يثاب ولا يصير مقيما للوضوء المأمور به قال وفى هذا اشارة الى ان المراد به غير مأمور به فى الصورة المذكورة كونه غير مأمور به على وجه الاستنان لا وجه الايجاب والا لم يكن الوضوء العارى عن النية مجزيا بحيث تصح الصلاة به والغرض خلافه وليس ببدع كون المأمور به يراد به هذا المعنى فان الامر بالشئ كما يكون على سبيل الايجاب يكون على سبيل الاستحباب وبه يندفع ما لعله يقال قد ثبت باعترافكم انه لا يكون آتيا بالوضوء المأمور به الا بالنية فافتراض النية له لان الوضوء المبيح للصلاة ونحوها انما هو الوضوء المأمور به لا غير المأمور به لان المراد بالوضوء المأمور به الذى تتوقف الاباحة عليه وتمامه هناك (لقوله) اى النبى (صلى الله عليه وسلم انما الاعمال) معتبرة شرعا (بالنيات) اى مقاصد القلوب (ولكل امرئ) اى انسان (ما نوى) لا ما عمل بلا نية (رواه) اى هذا الحديث (عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخطب به عمر وقدمه البخارى فى اول صحيحه وتكلم عليه شراحه بما يطول ذكره (وهذا حديث مشهور) وهو دون المتواتر قريب منه عند ابى حنيفة ومتواتر عند ابى يوسف وآحاد حكما عند محمد ذكره والدى رحمه الله تعالى فى اوائل شرحه على شرح الدرر والمشهور ما رواه واحد عن واحد فى القرن الاول ثم اشتهر فى القرن الثانى والثالث فصار يرويه جماعة عن جماعة والمتواتر ما رواه جماعة عن جماعة فى القرون الثلاث والآحاد ما رواه واحد عن واحد فى القرون الثلاث والخلاف فى مقدار عدد التواتر يفيد معرفة الآحاد لأنه ما عداه على ما ذكر فى موضعه من علم اصطلاح الحديث (خرجه) اى هذا الحديث (الائمة الستة) البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والبيهقى وابن حبان

Marfat.com

كل امام منهم اخرجه فى صحيحه (لا مالكا) بن انس رضى الله عنه فانه لم يذكره فى كتابه الموطأ وفى الاشباه والنظائر قال قرروا حديث انما الاعمال بالنيات انه من باب المقتضى اذ لا يصح بدون تقدير لكثرة وجود الاعمال بدونها فقدروا مضافا اى حكم الاعمال وهو نوعان اخروى وهو الثواب واستحقاق العقاب ودنيوى وهو الصحة والفساد وقد يراد الاخروى بالاجماع للاجماع على انه لا ثواب ولا عقاب الا بالنية فانتفى الاخران يكون مرادا اما لانه مشترك ولا عموم له اولا بدفاع الضرورة به من صحة الكلام به فلا حاجة الى الآخر والثانى اوجه لان الاول لا يسلمه الخصم لانه قائل بعموم المشترك فحينئذ لا يدل على اشتراطها فى الوسائل للصحة ولا على المقاصد ايضا وانما اشترطت فى العبادات بالاجماع او بآية * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * والاول اوجه لان العبادة فيها بمعنى التوحيد بقرينة عطف الصلاة والزكاة (والنية) فى اللغة مطلق القصد نوى الشئ ينويه قصده وفى الشريعة هى (ارادة المسلم المميز العالم بالمنوى) فلا يصح نية الكافر ولا الصبى غير المميز ولا المجنون والجاهل بفرضية الصلاة كما بسطه فى الاشباه والنظائر (التقرب) الى الله تعالى (بالعمل) المشروع فعله فرضا كان او غيره (الباعثة) نعت للارادة اى التى تبعث اى تحث وتحض (عليه) اى على التقرب بالعمل (المتصلة) تلك الارادة (باوله) اى العمل (حقيقة) كمقارنة نية الصلاة بالقلب مع التكبير باللسان (او حكما) كمن نوى الصلاة مع الامام فى بيته ثم مشى الى المسجد ولم يشتغل بعمل يدل على الاعراض عن الصلاة حتى كبر خلف الامام ولم يستحضر النية ثانيا كفته النية الاولى وكانت مقارنة لتكبيره حكما وكنية الزكاة اذا كانت فى وقت عزل ما وجب عليه ثم عند ادائها الى الفقراء لم يستحضر النية كانت النية السابقة مقارنة للاداء حكما فصح اداؤه وكنية صوم الغد اذا كانت بعد غروب الشمس فاذا طلع الفجر وامسك بلا نية كفته نيته من الليل فهى مقارنة للامساك حكما (و) قوله (الارادة احتراز عن مجرد التلفظ باللسان) من غير قصد القلب ولا يلزم التلفظ مع قصد القلب قال فى الاشباه والنظائر لا يشترط مع نية القلب التلفظ فى جميع العبادات ولذا قال فى المجمع ولا عبرة فى اللسان وهل يستحب التلفظ او يسن او يكره اقوال اختار فى الهداية الاول ان لم تجتمع عزيمته وفى فتح القدير لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه التلفظ بالنية لا فى حديث صحيح ولا ضعيف وزاد ابن امير حاج انه لم ينقل عن الائمة الاربعة وفى المفيد كره بعض مشايخنا النطق باللسان ورآه الآخرون سنة انتهى وعلل الكراهة ابن امير حاج بان النية عمل القلب والله مطلع على الضمائر فالافصاح فى حقه غير مفيد وفى الاشباه والنظائر محل النية القلب فى كل موضع ولا يكفى التلفظ باللسان دونه وفى القنية والمجنبى من لا يقدر ان يحضر قلبه لينوى بقلبه او يشك فى النية يكفيه التكلم بلسانه * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * وقال ابن امير حاج فى شرح منية المصلى والعبد الضعيف له فى هذا

Marfat.com

نظر لان اقامة فعل اللسان فى هذا مقام عمل القلب عند العجز عنه بدلا منه لايكون بمجرد الرأى لان الابدال لاتنصب بالرأى وقد يسقط الشرط عند عدم القدرة عليه الى بدل وقد يسقط المشروط بواسطة عدم القدرة على شرط فاثبات احد هذه الاحتمالات دون الباقى يحتاج الى دليل واين الدليل هنا على اقامة فعل اللسان مقام فعل القلب فى خصوص هذا الامر من الشارع فليتأمل (و) احتراز (عن حديث النفس) فانه ليس بارادة لانه مجرد عرض المعنى على القلب والارادة ميل الى الفعل فهى رجحان المعنى المعروض (و) قوله (التقرب) احتراز (عن الرياء المحض) فانه لا تقرب فيه الى الله تعالى اصلا (و) قوله (الباعثة) احتراز (عن القصد) للتقرب الى طاعة الله سبحانه وتعالى (المساوى) للقصد الى غيره (و) عن القصد التقرب الى الله سبحانه وتعالى (المغلوب) بالقصد الى غيره سبحانه (و) قوله (المتصلة) بارله احترازا عن الامل) اى ترجى الفعل (ونحوه) كالوعد به (فان من اراد جزما) اى قطعا بلا تردد (صلاة الظهر) مثلا (غدا اونحوها) كالعصر والمغرب (فآمل) اى ذو امل اى ترج ان يصلى الظهر فى غد لانه ناو ذلك (وان) اراد ذلك جزما ايضا (بشرط الصلاح) له بوجود بقية الشروط كالطهارة ودخول الوقت واستقبال القبلة (و) شرط (الاستثناء) اى بان قال ان شاء الله تعالى (غير آمل) لتلك العبادة ان تكون فى الوقت الذى عينه (وغير ناو) لها (ايضا حتى لايجوز) اى لايصح (شئ مما ذكر بتلك الارادة) السابقة مع الفاصل القاطع الدال على الاعراض عن العبادة المرادة (وكذا) لايجوز بارادة (بعد الشروع) فى العبادة لعدم وجود الاتصال المشروط وقوله حقيقة (اوحكما) يعنى الارادة المتصلة باول العمل اتصالا حقيقيا واتصالا حكميا هى النية كما ذكر (ليدخل فيه) اى فى تعريف النية (نية الزكاة) كما قدمناه (عند العزل) اى عزل ماوجب قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر اونية مقارنة لعزل ماوجب عليه اداؤه من المال فانه اذا عزل من النصاب قدر الواجب ناويا للزكاة وتصدق الى الفقير بلا نية سقط زكاته عنه لان الاصل وان كان الاقتران بالاداء كسائر العبادات الا ان الدفع يتفرق فيخرج باستحضار النية عند كل دفع فاكتفى بوجودها حالة العزل دفعا للحرج كتقديم النية فى الصوم وهذا لان العزل فعل منه فجازت النية عنده بخلاف ما اذا نوى ان يؤدى الزكاة ولم يعزل شيئا فجعل يتصدق شيئا فشيئا الى آخر الصدقة ولم تحضره النية حيث لم يجزه عن الزكاة لان نيته لم تقترن بفعل مافلا تعتبر كذا فى التبيين (و) نية (الصوم بعد الغروب) اى غروب الشمس كما سبق (الى نصف النهار) وفى شرح الدرر الى الضحوة الكبرى لاعندها فان النهار الشرعى من الصبح الى الغروب والضحوة الكبرى منتصفه فوجب ان توجد النية قبلها لتكون موجودة فى اكثر النهار فتكون موجودة فى كله حكما وهذا هو الاصح لاماقيل الى الزوال لانه

Marfat.com

منصف نهارا عتبر من طلوع الشمس الى غروبها (فى) اداء صوم شهر (رمضان و) صوم (النذر المعين) بزمان مخصوص (و) صوم (النفل) والاصل فى النية المقارنة للاداء وانما جاز التقديم للضرورة والضرورة موجودة فى حق يوم الشك وفى حق المجنون والمغمى عليه اذا افاق نهارا وفى حق المسافر اذا قدم نهارا ولاتندفع هذه الضرورة الابجواز النية المتأخرة ولافرق فى ذلك بين المسافر والمقيم والصحيح والسقيم (و) بعد الغروب (الى طلوع الفجر) اى اول طلوعه (فى غيرها) اى غير الثلاثة المذكورة وهى ثلاثة اخرى صوم قضاء رمضان وصوم النذر المطلق وصوم الكفارات وهو انواع كفارة اليمين والظهار والافطار والقتل خطأ وجزاء الصيد وفدية الاذى فى الاحرام (و) تأخير نية (الصلاة الى) حد (الركوع عند) الامام (الكرخى) رحمه الله تعالى (على وجه) اى فى رواية ضعيفة قال فى الاشباه والنظائر عن الخلاصة اجمع اصحابنا ان الافضل فى النية ان تكون مقارنة للشروع ولايكون شارعا بمتأخرة لان مامضى لايقع عبادة لعدم النية فكذا الباقى لعدم التجزى ونقل ابن وهبان اختلافا بين المشايخ خارجا عن المذهب موافقا لما نقله عن الكرخى من جواز التأخير عن التحريمة فقيل الى الثناء وقيل الى التعوذ وقيل الى الركوع والكل ضعيف والمعتمد انه لابد من القرآن حقيقة او حكما وفى الجوهرة لامعتبر بقول الكرخى (والامل) الرجاء يقال امل خيره يأمله املا وكذا التأميل كذا فى الصحاح (وهو) اى الامل الخلق (العاشر) من الاخلاق الستين (من آفات القلب) المفسدة له وتعريفه انه (ارادة) اى الرغبة فى (الحياة) الدنيا بالبقاء فيها (للوقت المتراخى) اى المتطاول المدة (بالحكم) الالهى وهو القضاء السابق بمقدار العمر فى الدنيا (اعنى) اى اقصد ذلك (بلا استثناء) اى قول انشاء الله تعالى فانه يصير دعاء حينئذ (ولاشرط صلاح) اى نية فعل خير فى المستقبل ولهذا قال ابن الجوزى الامل مذموم الا للعلماء فلولاه ماصنفوا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وغوائله) اى الامل يعنى آفاته ومفاسده اربعة اشياء الاول (الكسل فى الطاعة) اى طاعة الله تعالى بالتسفل من الفرائض والواجبات والتقاعس عن السنن والمستحبات والتكره فى اجتناب المحرمات والمكروهات (وتأخيرها) اى تأخيرها الطاعة بان يخرجها عن الوقت المستحب او وقت ادائها ولايهتم بها ولايحتفل بفعلها فتكون مؤخرة عنده عن اشغال الدنيا فلا يأتى بها الابعد الفراغ من مصالحه (و) الثانى (تسويف) اى مطل قال سيبويه سوف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد لا ترى انك تقول سوفته اذا قلت له مرة بعد مرة سوف افعل ولايفصل بينها وبين تفعل لانها بمنزلة السين فى سنفعل وقولهم فلان يقتات السوف اى يعيش بالاماني والتسويف المطل كذا فى الصحاح (التوبة) من الذنوب بان يؤخرها عن وقت الامكان (وتركها) اى التوبة رأسا

Marfat.com

(و) الثالث (قسوة القلب) اى صلابته وشدته (بعدم ذكر الموت و) عدم ذكر (مابعده) اى الموت من اهوال النزع والقبر والقيامة (و) الرابع (الحرص) اى الرغبة والطمع والكابدة (على جمع الدنيا) من انواع الاموال (والاشتغال بها) اى بالدنيا (عن الآخرة فلا يزال الآمل) اى ذوالامل (يشتغل) ظاهره وباطنه طول عمره (بجمع الدنيا وتكثيرها) اى زيادتها وتنميتها (خوفا من) ضعف (الشيخوخة و) مقاساة (المرض ونحوهما) ككابدة الفقر والحاجة وفاقة اولاده بعده (فنهم) اى من المؤملين (من يهيئ) أى يدخر لنفسه وعياله (كفاية عشر سنين) من النفقة (ومنهم) من يدخر كفاية (خمس سنة ومنهم) من يدخر (اكثر) من ذلك (ومنهم اقل) منه حتى ان بعض الناس بدمشق الشام سمعت انه فى سنة الغلاء ادخر لنفسه وعياله من جميع انواع مايؤكل شيئا كثيرا ثم قال قداسترحنا الآن من مؤنة المآكل واطمئن قلبه فاتفق انه مات بعد ايام فاستخرج كلما ادخره لتلك السنة وبيع فى تركته ولم يأكل هو منه شيئا (قال مشايخ الصوفية) اهل العلم والعمل (من اعد) من القوت والنفقة (كفاية سنة لعياله) ولنفسه (لايلام) شرعا ولاعرفا وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير ان من مذهب ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار مازاد على حاجته من المال وفى حياة الحيوان وعن سفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى انه قال ليس شئ يخبأ قوته الا الانسان والعقعق والنمل والفأر وبه جزم فى الاحياء فى كتاب التوكل وعن بعضهم ان البلبل يحتكر ويقال للعقعق محابى الا انه ينساها (ولا يخرج) الانسان الذى اعد كفاية سنة (عن التوكل) على الله تعالى بذلك الاعداد والادخار (لما روى) فى الخبر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادخر لازواجه) رضى الله عنهن (قوت سنة فلذا) اى لاجل ذلك (قال بعض الفقهاء) من الشافعية اوغيرهم (انه) اى الادخار (من الحوائج الاصلية) للانسان التى لابد له منها (وذلك) القدر المدخر (لايعتبر من الغنى) المانع من اخذ الزكاة ونحوه وقد اشار الى هذا الامام نجم الدين ابن احمد بن الرفعة الشافعى فى شرح التنبيه فى مذهب الشافعية حيث قال الذى يملك عشرين دينارا لوكان يتجر ودخله من الربح لايفى بخرجه فهو من المساكين فى الحال وان كان مافى يده يكفيه لسنة فالمرعى ان يتمول مقدارا ينتظم له منه دخل يفى بخرجه على ممر الزمان وان كان لايحسن تصرفا فالاقرب فى ذلك ان يملك مايكفيه فى العمر الغالب والظاهر عندى ان لايزاد على نفقة سنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدخر لاهله قوت سنة وان المجاعة اذاعظمت لايدخر الانسان لنفسه وعائلته الاقوت سنة فيجب التعويل على هذا (وان كان الاصح) عندنا (ان ما زاد على قوت شهر) من المال المدخر (يعتبر فى)

Marfat.com

حصول (الغنى) فلا يجوز له اخذ الزكاة ونحوها قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر رجل اشترى طعاما للقوت بمقدار ما يكفيه شهرا يساوى مائتي درهم فصاعدا لا بأس ان يعطى له من الزكاة لانه مستحق لحاجته وان كان اكثر من الشهر لا يعطى لان الشهر هو الوسط فيما يدخر الناس لا نفسهم قوتا فكان مشغولا بحاجته (واما من لا عيال له) اى زوجة واولادا وكل من يمونهم وينفق عليهم لزوما او تبرعا (فله ان يدخر) لنفسه (قوت اربعين يوما) وان كان اقل مدة الاحتكار المكروه اربعين يوما لقوله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يطلب القحط فعليه لعنة الله والملائكه والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فا لصرف النفل والعدل الفرض ولا يكره احتكار الشخص غلة ارضه لان حق العامة لا يتعلق بها الا ترى ان له ان لا يزرع فكذا له ان لا يبيع كذا ذكره الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر فيكون ذلك في معنى الادخار اربعين يوما لا بمعنى الاحتكار وان لم يكن من غلة ارضه ولا من مجلوبه ومعلوم ان المدخر لنفسه لم يقصد الاحتكار فلا كراهة فيه قال الوالد رحمه الله تعالى وفي الكفاية هذا اذا كان على قصد الاحتكار وتربص الغلاء وقصد الاضرار بالناس اما اذا لم يكن شئ من ذلك فهو محمود لان الكاسب صديق الله (وان ادخر) زمانا (زائدا عليه) اى على الاربعين يوما لم يكن ذلك احتكارا كما ذكرنا ولكنه (خرج من التوكل) على الله تعالى (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى يقول (مرادهم) بالتوكل الذى خرج عنه (التوكل الكامل) الذى هو من اوصاف الكاملين من اهل الله الصالحين (النفل) اى المستحب الذى هو ورع في الدين (لا اصل التوكل الفرض) الذى يأثم بتركه (لما بينا في فضل العلم) كما سبق من انه يفترض عليه علم احوال القلب من التوكل والانابة والخشية والرضاء فانه واقع في جميع الاحوال وتقدم الكلام على ذلك (واما ارادة) الانسان (طول الحياة) اى البقاء في الدنيا (بالاستثناء) اى قوله ان شاء الله تعالى (و) بانضمام (شرط الصلاح) اى قصد الخير في المستقبل (لزيادة العبادة) اى الاكثار منها (فليس) ذلك (بامل مذموم) وكيف يكون مذموما وحكمة خلود المؤمن في الجنة بلا نهاية مع ان اعماله متناهية في الدنيا فيجازى بغير متناه على متناه باعتبار قصده انه يعيش كثيرا في الدنيا ويعبد الله تعالى على مقدار ما يبقى فيها ونيته انه لو بقى فيها الى ما لا نهاية له لعبد الله تعالى الى ما لا نهاية له فيجازيه الله تعالى بغير متناه فعلا على غير متناه حكما جزاء وفاقا والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ونظيره خلود الكافر في النار يوم القيامة (بل هو) اى هذا الامل (مندوب اليه) يثاب عليه في الآخرة (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن ابى بكرة) رضى الله عنه (ان رجلا قال يا رسول الله اى الناس خير) اى اكثر

Marfat.com

فضيلة عندالله تعالى واعظم اجرا (قال صلى الله عليه وسلم من طال عمره) اى مدة بقائه فى الدنيا (و) مع طول عمره (حسن عمله) فى طاعة الله تعالى فان طول العمر فى طاعة الله تعالى من خلع النبيين والمرسلين و اكبر منة يمن الله تعالى بها على عباده المؤمنين ثم (قال) ذلك الرجل (فاى الناس شر) اى اكثر نقيصة عندالله تعالى واعظم وزرا (قال) صلى الله عليه وسلم (من طال عمره و) مع ذلك (ساء) اى قبح وخبث (عمله) فى معاصى الله تعالى ومخالفاته فان طول العمر فى غضب الله تعالى وسخطه من خلع ابليس والشياطين والعياذ بالله تعالى وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه قال روى الامام احمد باسناد صحيح وابن حبان والبيهقى عن ابى هريرة والحاكم وصححه عن جابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخيركم قالوا نعم قال خياركم اطولكم اعمارا واحسنكم اعمالا وروى ابو يعلى باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال خياركم اطولكم اعمارا اذا سددوا (حدهق) يعنى روى الامام احمد والبيهقى باسنادهما (عن جابر) رضى الله عنه (انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تمنوا الموت) لانفسكم من تكدر معيشة اوقلة منصف (فان هول المطلع) بالتشديد وصيغة اسم المفعول قال فى المجمل المطلع المأتى يقال اين مطلع هذا الامر اى مأتاه وفى مختصر القاموس يقال اطلع على باطنه ظهر وعرف وقول عمر رضى الله عنه لافتديت به من هول المطلع تشبيها لما يشرف عليه من امر الآخرة بذلك (شديد) لااشد منه قال ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبى رضى الله عنه فى كتابه الرعاية لحقوق الله عز وجل وقد روى ان الموت اشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان ذلك كله انما يؤلم البدن بالروح فاذا كان الروح هو المباشر بالاخذ والجذب والنزع فذلك آلم واشد وانما صار المضروب بالسيف وغيره يستغيث ويصيح لان القوى بعد فيه واللسان مطلق وانما انقطع صوت الميت لان الالم والكرب قد بالغ فيه وتصاعد وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وكسر كل جارحة وتغشى العقل وقلص اللسان او ابكمه فان فضلت فيه فضل قوة سمعت له خوار الجذب روحه وعلزا وانينا زوحه وغرغرة روحه فى حلقه قد تغير لذلك لونه حتى ظهر عليه اصل لونه الذى منه خلق وعليه طبع فرأيت كالتراب على وجهه وجذب كل عرق منه على حياله حتى ترتفع الحدقتان الى الجفون وتقلص اللسان الى اصله وجفت الشفتان وقلصتا وارتفعت الانثيان الى الحالبين ومن المرأة الثديان حتى لايبقى الا افلهما وجفت الاعصاب ويبست فلا تسئل عن بدن مجدل يجذب عروقه واعضاؤه وبشرته حتى يموت عضوا عضوا وكل عضو على حاله يجد العضو الباقى الم العضو الميت الماضى فتخضر انامله واظفاره ثم تبرد ساقاه ثم فخذاه مع سكرات وكرب تغشاه كرب بعد كرب

﴿ وسكرة ﴾

Marfat.com

وسكرة بعد سكرة مع نزعة وجذبة حتى تبلغ الحلقوم فعند ذلك تنقطع المعرفة عن الدنيا واهلها وتبدوله صفحة وجه ملك الموت فلا تسئل عن طعم مرارة الموت وكربه حين تبالغت فيه الكرب واجتمعت فيه السكرات ويبين ذلك ماروى عن جابر ابن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض الحديث ان نفرا من بنى اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لودعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا نسئاونه فدعوا الله عز وجل فاذاهم برجل خلاسى يعنى اختلاط بياض شبه بالسواد بين عينيه اثر السجود وقدخرج من قبرمن تلك القبور فقال ياقوم ماذا اردتم منى لقدذقت الموت منذ خمسين عاما ماسكنت من قلبى حرارة الموت وروى مكحول عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لوان الم شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا جميعا لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت ولا يحل بشئ الامات وروى ايضا لوان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان الله عزوجل قال لابراهيم عليه السلام لمامات ياخليلى مت قال ياخليلى مت فقال ثلاثا ويرددها عليه ثلاثا فقال وهو اعلم به ياخليلى كيف وجدت الموت قال ياخليلى كسفود محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب قال اما انا قدهوناه عليك وروى ان موسى عليه السلام لما صار روحه الى الله عزوجل قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى وهو لايموت فيستريح ولاينجو فيطير وعنه ايضا انه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن عيسى ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقدخفت الموت مخافة اوقفتنى مخافة الموت على الموت (وان من السعادة ان يطول عمر العبد) فى الحياة الدنيا (ويرزقه الله تعالى مع ذلك (الانابة) اى الرجوع عن حظوظ نفسه الى طاعة الله تعالى بامتثال الامر واجتناب النهى فاذامات بعد ذلك جاءته البشرى من الله تعالى ان قدرضى عنه وان له الجنة اليها منقلبه فلاتسئل عن فرح قلبه حينئذ وسرور نفسه وتحقيق رجائه وحسن ظنه بربه وامنه على بدنه من العذاب بعد طول مخافته له واشفاقه وامنه مما بين يديه من اهوال مبعثه وموقفه ولذلك يقول عزمن قائل *ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون* فقيل فى التفسير ان ذلك عند الموت تقول له الملائكة لا تخف ما امامك من الاهوال ولاتحزن ماخلفت وابشر بالجنة التى كنتم توعدون فيا له من قلب ما افرحه حين يسمع البشرى بالجنة من ملائكة ربه عزوجل فهذا يوم راحته وفوزه وسروره والها كان يعمل وروى انه قيل لبعض العباد على ماتعمل قال على راحة الموت وروى عن الحسن انه قال ليس للمؤمن راحة دون الموت الافى لقاء ربه عزوجل فكان قدوم الموت عليه هو يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه

Marfat.com

ذكره المحاسبي في الرعاية (ت) يعني روى الترمذي باسناده (عن عمرو بن عنبسة) رضي الله عنه (انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من شاب شيبة في الاسلام) اي ابيضت شعرة واحدة من شعر بدنه وهو مسلم (كانت له) تلك الشعرة (نورا) يعني (يوم القيامة د) يعني روى ابوداود باسناده (عن عبيد بن خالد انه) اي الشان (اخى) يقال اخاه مواخاة واخاء والعامة تقول واخاه وتآخيا على تفاعلا وتآخيت اخاء اي اتخذت اخا كذا في الصحاح (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين) من الصحابة رضي الله عنهم (في الغزوة) ليكونا متعاونين على البر والتقوى ونصرة الحق (فقتل احدهما) في تلك الغزوة (ومات الآخر) بلا قتل (بعده بجمعة اونحوها فصلينا عليه) اي على الذي مات (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قلتم) يعني في صلاتكم عليه (فقالوا دعونا) لله تعالى (له وقلنا) في ذلك (اللهم) اي يا الله (اغفر له) ذنوبه (والحقه بصاحبه) في مرتبة الشهادة التي حصلت لصاحبه دونه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين صلاته) يعني صلاة الذي مات (بعد صلاته) اي صلاة الذي قتل فان الذي مات قد عاش بعد الذي قتل بجمعة فاين صلاته التي زادت على صلاة المقتول بجمعة (و) اين (صومه) الذي صامه الميت فرضا ان كان في رمضان اونفلا في غيره (بعد صومه) اي صوم المقتول (شك شعبة) رحمه الله تعالى (في) قوله (وصومه) بعد صومه هل هي من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اومن زيادة الراوي (و) اين (عمله) اي الذي مات (بعد عمله) اي المقتول (فان بينهما) اي بين الميت الزائد عملا والمقتول الانقص منه او بين الصلاتين والصومين والعملين من التفاوت (ما بين السماء والارض) من الرفعة والانخفاض فدل الحديث على ان طول العمر ولو بجمعة او بيوم افضل من قصره بنحو ذلك لكثرة الاعمال الصالحة فيه (وسبب الامل) اي الموصل اليه المقتضي له ثلاثة امور الاول (حب الدنيا) فان من احبها استلذ بذكرها ومرورها في خاطره فينسى الموت ويصير قاطعا بدوام البقاء ولو لمدة يسيرة وذلك هو الامل (و) الثاني (الغفلة) والذهول (عن قرب الموت) ودنوه منه لاستغراق القلب بشهواته (و) الثالث (الاغترار) من غره يغره غرا وغرورا وغرة بالكسر خدعه واطمعه بالباطل كذا في مختصر القاموس (بالصحة) اي العافية والقوة (والشباب) وهو الحداثة وكذلك الشبيبة وهو خلاف الشيب يقال شب الغلام يشب بالكسر شبابا وشبيبة واشبه الله كذا في الصحاح (وعلاجه) اي دواء الامل (ازالة اسبابه) الثلاثة المذكورة فبزوالها كلها عن العبد يزول الامل ويتهيأ للموت في كل نفس (اما حب الدنيا فسيجيء) بيانه (ان شاء الله تعالى) في محله من هذا الكتاب (واما البواقي) وقياسه الباقيان ولكن لما اشتمل كل منهما على انواع من ذلك جاء بصيغة الجمع فالغفلة جزئية وكلية وضعيفة وقوية والاغترار كذلك

Marfat.com

(فبالمداومة على ذكر الموت) من غير فتور عنه (و) ذكر (قربه) من العبد (و) ذكر (مجيئه بغتة) البغت ان يفجأك الشئ تقول بغته اى فجأه واتيته بغتة اى فجأة كذا فى الصحاح (على) حين (غفلة) منه وفى الرعاية للمحاسبى فى مباشرة القلب بذكر الموت قال تفرغ قلبك حين تذكره من ذكر كل شئ الامن ذكره فاذا ذكرته كذلك باشر ذكره اذلا شئ فيه غيره ولن تلبث اى يتبين ذلك على بدنك كما وصف الله عز وجل قلب ام موسى حين فرغ من كل شئ الامن ذكر موسى فقال تعالى * واصبح فؤاد ام موسى فارغا * قال فارغا من كل شئ الامن ذكر موسى ثم قال ان كادت لتبدى به قال تقول والبنا فاخبر ان فؤادها لما فرغ من كل شئ الامن ذكر موسى كادت ان تبدى به فيكون فى ذلك ما تحاذر ومايهلكه فكيف لا يظهر ولا يتبين على من فرغ قلبه الامن ذكر الموت وما يبدو منه وفيه نجاته فمن فرغ قلبه من ذكر كل شئ الامن ذكر الموت غلب على قلبه من الهم والحزن والغم ما يكاد يجد طعم الموت منه كما روى عن عيسى عليه السلام انه قال لقد خفت الموت حوفا اوقفنى خوفى من الموت على الموت فمن باشر ذكر الموت قلبه انكمش عن الدنيا فؤاده وقل فيها سروره وفرحه وندم كما قال ابو الدرداء من باشر ذكر الموت قلبه قل فى الدنيا حسده وسروره وفرحه (و) بالمداومة على (ان الصحة) من الاسقام (والشباب) اى حداثة السن (لا يمنعه) اى الموت (بل موت الشباب اكثر) فى بعض الاحيان (من موت الشيوخ) خصوصا بمرض الطاعون ونحوه من الامراض الدموية الكثيرة فى الشباب اكثر من الشيوخ (كما ان موت الصبيان) فى بعض الازمان ايضا اكثر من موتها) اى الشباب والشيوخ قال النجم الغزى رحمه الله تعالى فى حسن التنبه فعلى الشاب ان يغتنم ايام الشباب والصحة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك صححه الحاكم من حديث ابن عباس على شرط الشيخين ومهما حصلت من الشباب زلة فلا ينبغى له التمادى فى الضلال وتأخير التوبة بل يبادر اليها فانه ربما اخذ على غرة فجأة وليعتبر بمن يموت شابا ليس كل الاموات شيوخا بل اكثرهم غير الشيوخ ولا شك ان من اهل النار شيوخا ومنهم شبانا (وكم من صحيح) فى بدنه (يموت) فجاءة او بمرض سريع (ويبقى المريض) الذى اشرف على الموت حينا (بعده) اى بعد ذلك الصحيح الذى (مات سنين) كثيرة وهو معروف واقع بين الناس (ومن اقوى علاجه) اى الامل (استماع) بقرائة او قراءة غيره (ماورد) عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى مدح ذكر ذكر الموت و) فى (ذم طول الامل) وقد ذكرهما المصنف رحمه الله تعالى حيث قال هذا (مدح ذكر الموت) وفيه خمسة احاديث الاول (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت) اى تذكره او النطق به (فانه) اى ذكر الموت (يمحص الذنوب) اى يجبوده

Marfat.com

ويزيلها باعتبار مايوجب من الخوف والندم والفرار الى الله تعالى والتوبة والاستغفار (وزهد) الناس اى يحملهم على الزهد (فى الدنيا) اى الاعراض عنها بالقلب *الحديث الثانى (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن البراء) بن عازب رضى الله عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى) تشييع (جنازة) لبعض الصحابة رضى الله عنهم (فجلس) النبى صلى الله عليه وسلم (على شفير) اى حافة (القبر) وفى مختصر القاموس الشفير ناحية الوادى من اعلاه وفى المجمل شفير كل شئ حرفه كالنهر وغيره (فبكى) صلى الله عليه وسلم بكاء شديدا (حتى بل الثرى) اى التراب من دموعه مقابلة منه صلى الله عليه وسلم بكمال الحزن لما كشف له من تلك الحضرة التى تجلى عليه الحق تعالى بها فى مقام الموت والقبر لاعطاء كل حضرة الهية ماتقتضيه من الحقوق لانه الانسان الكامل صلى الله عليه وسلم وليس بكاؤه حزنا من الموت واشفاقا على نفسه وتأسفا على مفارقة الدنيا فان هذا الامر بعيد من احوال الكاملين (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (يا اخوانى لمثل هذا) يعنى الموت ومايكشف لمن حل به من الامور الالهية والتجليات الربانية (فاعدوا) اى تهيأوا واستحضروا ولاتتهاونوا فيه *الحديث الثالث (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن عمار رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كفى بالموت واعظا) اى حسب الموت ان يكون واعظا للانسان يأمره بالطاعات لمولاه الباقى وينهاه عن معاصيه وفى كتاب شجون المسجون للشيخ الاكبر محى الدين بن العربى قدس الله سره قال اذا اشتبه عليك امر فلم تعلم هل هو مما يجب ان ترغب فيه اوعنه فاخطر ببالك حضور باعث الموت اذلامحيص عنه ولامهلة فان كان ذلك الامر مما يبقى معك فى ذلك الآن فابق معه اومما يفارقك ففارقه انتهى فالموت كاشف لك عن مشكلات الدين فهو واعظ لك ناصح على كل حال (وكفى باليقين) بالله تعالى انه حافظ ورازق هادالى غيرذلك من اسمائه تعالى الجارية على مقتضى حاجات النفوس (غنى) لافقر معه الى غيرذلك كما قال الله تعالى *اليس الله بكاف عبده*الحديث الرابع (حب) يعنى روى ابن حبان باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا) يامعشر المؤمنين (ذكر) اى تذكر اوالنطق بلفظ (هاذم) بالذال المعجمة اى قاطع قال فى المجمل الهذم القطع ويقال سيف مهذم مثل مخذم وهذام اى قاطع (اللذات) جمع لذة والمراد بها الشهوة الحاصلة بسبب الحياة الدنيا من شهوة مأكل ومشرب وملبس ومركب ومنكح ومسكن ونحو ذلك فان الموت يقطعها كلها ويستأنف لذات اخرى غيرها لمن كان من اهل السعادة اويبدلها بالآلام والاوجاع لمن كان من اهل الشقاوة (يعنى الموت) تفسير من الراوى (فانه) اى الموت (ماذكره احد) وهو (فى ضيق) من امور الدنيا ومصائبها (الا وسعه) بالتشديد اى جعل ذلك الضيق واسعا بحيث يذهب عنه وينشرح له

Marfat.com

الصدر ويتبدل الحال القبيح بالحال الحسن (ولاذكره) احدوهو(فى سعة) من احوال الدنيا وشهواتها العاجلة ولذائذها الفانية (الاضيقها) اى جعل تلك السعة ضيقا وذلك البسط قبضا وتلك الافراح اتراحا(عليه)اى على ذاكر ذلك*الحديث الخامس (دنياطص) يعنى روى ابن ابى الدنيا والطبرانى فى المعجم الصغير(عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم) حال كونى (عاشر) رجال (عشرة) اى واحد من عشرة (فقام رجل من الانصار) رضى الله عنهم (فقال يارسول الله من اكيس الناس) اى اكثرهم كياسة والكيس خلاف الحمق يقال رجل كيس ورجال اكياس كذا فى المجمل والمراد به المسرع النشيط الى تحصيل ما ينفعه عند الله تعالى وعند الخلق (و) من (احزم الناس) من الحزم وهو جودة الرأى وفى مختصر القاموس الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالشدة كالحزامة (قال) صلى الله عليه وسلم (اكثرهم) اى اكثر الناس (ذكرا للموت) بايفاء الحقوق الواجبة عليه للحق والخلق واستبراء الذمم منهم فى كل ماظلمهم وتحسين السريرة والعلانية على طبق مارضى به الله تعالى واتخاذ الكفن والقبر لنفسه قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر ومن حفر لنفسه قبرا قبل موته فلا بأس به ويؤجر عليه هكذا عمل عمر بن عبد العزيز والربيع بن خيثم وغيرهما كذا فى التاتارخانية لكن فى جامع الفتاوى ان عمر رضى الله عنه رأى رجلا عنده مسحاة يريد ان يحفر قبرا لنفسه فقال رضى الله عنه لاتعد قبرا لنفسك واعد نفسك للقبر انتهى ولعل وجهه معارضة قوله تعالى*وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى ارض تموت(اولئك)اى المذكورون هم (الاكياس) جمع كيس اى الناشطون الى العمل الصالح المسرعون الى راحة الآخرة بالتقوى (ذهبوا) اى فازوا وظفروا (بشرف الدنيا)من جهة عزهم تقواهم فيها ومراعاتهم مرضات ربهم (وكرامة الآخرة) اى مراتبهم العالية فيها مع النعيم المقيم انتهى (هذا ذم)اى تقبيح وتخبيث (طول الامل)فى الحياة الدنيا للعبد المؤمن وهو مشتمل على ثلاثة احاديث*الاول (دنياهق) يعنى روى ابن ابى الدنيا والبيهقى باسنادهما (عن ام المنذر انه اطلع) اى ظهر (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية) قال الجوهرى فى الصحاح واما قولهم ذات مرة وذوصباح فهو من ظروف الزمان التى لاتتمكن تقول لقيته ذات يوم وذات ليلة وذات غداة وذات العشاء وذات مرة وذات الزمن وذات العوم بالتصغير فى الزمان والعام وذات صباح وذات مساء وذات صبوح وذات غبوق فهذه الاربعة للاربعة بغيرها وانما سمع فى هذه الاوقات ولم يقولوا ذات شهر ولاذات سنة (الى الناس فقال يا ايها الناس الا تستحيون من الله) سبحانه وتعالى اى يأخذكم الحياء وهو انقباض النفس منه سبحانه (قالوا) اى الناس (وماذاك) اى عدم الاستحياء من الله تعالى (يارسول الله قال) صلى الله عليه وسلم (تجمعون) من الاموال الكثيرة (مالاتأكلون

Marfat.com

وتأملون) اى تمنون وترجون من مناصب الدنيا وشهواتها (مالاتدركون) لعدم نهاية ماتأملونه فكل واحد يأمل ماهو اعلى مما هوفيه فاذا ادرك ذلك واطمأنت نفسه به امل ايضا ماهو اعلى مما هوفيه وهكذا فلايدرك مايؤمله لعدم الانحصار فى امر واحد (وتبنون)من البيوت والقصور (مالاتسكنون) مما هوزائد على حاجتكم الضرورية وماتموتون وتتركونه لغيركم وهذا كله ان كان من مال حلال بقصد مباح فان كان من مال حرام او بقصد معاطاة حرام فيه فلاشبهة فى الحرمة وشؤم ذلك على صاحبه قال الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير وفى الحديث اتقوا الحجر الحرام فى البنيان فانه أساس الخراب والمراد خراب الدين او الدنيا بقلة البركة وشؤم البيت المبنى به اواساس خراب البناء نفسه بلن يسرع اليه الخراب فى امدقريب ولولم يبن به لم يخرب بسرعة بل يطول بقاؤه لينتفع بغلاته بعد بانيه قال الزمخشرى مكتوب فى الانجيل الحجر الواحد فى الحائط من الحرام عربون الخراب وقال وهب ابن منبه وجدت فى بعض كتب الانبياء عليهم السلام من استغنى باموال الفقراء جعلت عاقبته الفقر واى دار بنيت بالضعفاء جعلت عاقبتها الخراب وورد فى غيرما اثر البناء اذا كان من حرام لم يطل تمتع صاحبه به بل فى خبر رواه الحاكم من حديث امير المؤمنين على المرتضى ان الله عزوجل بقاعا تسمى المنتقمات فاذا كسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء و الطين ثم لايمتعه به وذهب بعضهم الى ان المراد بالبنيان كل امر اسسه وبناه من دينه ودنياه اذا كان امداده وانفقه من حرام قال الله تعالى * فمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن بنيانه على شفا جرف هارفانهار به فى نارجهنم * الحديث الثانى (دنياطب امرهوى) يعنى روى ابن ابى الدنيا والطبرانى وابو نعيم والبيهقى باسنادهم (عن ابى سعيد) الخدرى رضى الله عنه (انه) اى الشان (اشترى اسامة بن زيد بن زيد بن ثابت رضى الله عنهما وليدة) اى جارية وجهها ولائد (بمائة دينار) من ذهب مؤجلة عليه (الى) مضى (شهر) قال ابوسعيد رضى الله عنه (فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاتعجبون من اسامة) بن زيد (المشترى) تلك الجارية (الى شهران اسامة لطويل الامل) فى الحياة الدنيا (والذى نفسى بيده) قسم منه صلى الله عليه وسلم بربه (ماطرفت عيناى) يقال طرف بصره يطرفه طرفا اذااطبق احد جفنيه على الآخر الواحدة من ذلك طرفة يقال اسرع من طرفة عين كذا فى الصحاح (الاظننت ان شفرى) تثنية شفر بالضم اصل منبت الشعر فى الجفن كذا فى مختصر القاموس (لايلتقيان) بحيث ينطبقان على العين (حتى يقبض الله) تعالى (روحى) فاموت فى مقدار طرفة عين (ولارفعت طرفى) الى الاعلى والطرف هوالعين ولايجمع لانه فى الاصل مصدر يكون واحدا ويكون جماعة قال تعالى * لايرتد اليهم طرفهم * كذ فى الصحاح (وظننت انى واضعه) الى الاسفل

Marfat.com

(حتى اقبض) بالبناء للمفعول اى يقبض الله تعالى روحى فاموت فى الحال (ولالقيت) اى وضعت فى فى (لقمة) من المأكل (الاظننت انى لا اسيغها) ساغ الشراب سوغا سهل مدخله وسغته اسيغه لازما ومتعديا كذا فى مختصر القاموس (حتى اغص بها) اى اشرق ولا ادخلها فى حلق (من) سرعة ملاقاة (الموت) لى وهجومه على (ثم قال) النبى صلى الله عليه وسلم (يا بنى آدم ان كنتم تعقلون) اى ان كنتم من اهل العقل (فعدوا) اى احسبوا وافرضوا (انفسكم من) جملة (الموتى) الذين تقدموا عليكم لانكم صائرون الى ما هم فيه وذائقون من الموت ماذاقوا (و) حق (الذى نفسى بيده) يقلبها كيف شاء وهو الله تعالى (انما توعدون) بالبناء للمفعول اى يعدكم الله تعالى من وقوع الموت بكم فى قوله سبحانه * قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم * وغير ذلك ايضا من الوعد والوعيد (لآت) اى حاضر لكم مهيأ لا يراده عليكم (وما انتم) فى وقوع ذلك بكم (بمعجزين) اى بممتنعين عنه قال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة * وفى الرعاية للامام المحاسبى روى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ان ابراهيم صلى الله عليه كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فاغلقه ذات يوم وخرج ثم رجع فاذا هو برجل فى جوف البيت فقال من ادخلك دارى فقال ادخلنيها ربها قال انا ربها قال ادخلنيها من هو املك بها منى ومنك قال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال يا ملك الموت انستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها نفس المؤمن قال نعم فاعرض عنى فاعرض عنه ابراهيم ثم التفت اليه فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه قال يا ملك الموت اولم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ذلك ثم قال يا ملك الموت انستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها نفس الفاجر والكافر قال لا تطيق ذلك يا ابراهيم قال بلى قال فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا هو باسود قائم الشعر اسود الثياب منتن الرائحة يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاخرى فقال ابراهيم يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك هذه كان حسبه ذلك وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا فكان اذا خرج غلق الابواب وغلق الابواب ذات يوم وخرج فاشرفت امرأة من نسائه فاذا هى برجل فى الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود فرآه فقال من انت قال انا الذى لا اهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب قال فانت اذا والله ملك الموت قال فزمل داود عليه السلام مكانه وروى ان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمى باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس فى ملكى على تاجى على سرير ملكى حولى جنودى وحشمى اذ بدالى ملك الموت فزال

Marfat.com

كل عضو منى على حياله ثم خرجت لنفسى اليه فيـاليت ماكان من تلك الجموع كانت فرقة و ياليت ماكان من ذلك الانس كان وحشة * الحديث الثالث (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا) عن الحسن رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلكم) الهمزة للاستفهـام (يحب ان يدخل الجنة) فى يوم القيـامة (قالوا نعم يارسول الله قال) صلى الله عليه وسلم (قصروا الامل) اى اجعلوه قصيرا ولا تطيلوه فى الحياة الدنيا (واجعلوا آجالكم) اى اوقات موتكم (بين أبصاركم) بحيث لا تغفلون عنها فان اعمالكم تزكوا حينئذ فتصلحون لدخول الجنة (واستحيوا من الله) تعالى (حق الحياء) اى الحياء التام وهو مراقبة الله تعالى فى الاعمال كلها وشهوده تعالى على كل حال واما حكم الامل فى الشريعة فقد اشار اليه بقوله(فالامل) المذكور(ان كان للتلذذ) اى تلذذ النفوس (بالمحرمات) كالزنا وشرب الخمر واستماع الملاهى على ذلك والظلم (فحرام) على كل مكلف (والا) بان كان لاجل التلذذ بالمباحات (فليس بحرام ولكنه مذموم جدا) اى ذما قويا (ولو) وصلية (كان) الامل (لتكثير الطاعات) والعبادات بان امل حصول الدنيا ليستغنى فيتصدق ويفعل الخيرات(للآفات) وهى الغوائل الاربعة (السابقة) فى اوائل بحث الامل الكسل فى الطاعة وتأخيرها وتسويف التوبة وتركها وقسوة القلب بعدم ذكر الموت ومابعده والحرص على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة (ولانه) اى الامل (يستلزم الطمع المذموم) فى الشرع وهو الطمع فى الدنيا وشهواتها بخلاف الطمع فى الدين والتقوى وتحصيل الخيرات فانه لاقناعة فى الاعمال الصالحة (وهو) اى الطمع المذموم معنـاه (ارادة الحرام) من كل شئ (الملذ) اى الذى فيه لذة للنفس (او) ارادة (الشئ المخاطر) بصيغة اسم الفاعل اى الموقع فى الخطر لجره الى الخطر وهو بالتحريك الاشراف على الهلاك (اعنى) اى اقصد بالشئ المخاطر (النوافل) من العبادات اذا كانت موصلة الى العجب والتكبر فيمن لم يوفق (والمباحات) من امور الدنيا لايصالهـا الى نسيان الآخرة (وهو) اى الطمع المذموم *الخلق (الحادى عشر) من الاخلاق الستين (من آفات القلب) اى مفاسده التى تهلكه (هق حك) يعنى روى البيهقى والحاكم باسنادهمـا (عن سعد بن ابى وقاص) رضى الله عنه (انه) اى الشان (جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله اوصنى قال عليك بالاياس) اى الزمه وهو القنوط وقطع الامل (مما) اى من الاموال التى (فى ايدى الناس) فلا ترتجى منهم ان يعطوك شيئا منهـا (واياك والطمع) اى احذر منه وتباعد عنه (فانه) اى الطمع (الفقر) اى الاحتياج النفسـانى والاضطرار المقلق الحيوانى (الحاضر) اى المهيأ المعجل (وصل) فى كل ماشرعت من الصلوات المفروضة وغيرها(صلاة) انسان (مودع)للصلاة اى موقن بمفارقتها وعدم العود اليهـا فان من كان كذلك فانه يتقن الصلاة غاية ما فى جهده

﴿ لانها ﴾

Marfat.com

لانها آخر صلاته (واياك وما) اى القول اوالفعل الذى (يعتذر) بالبناء للمفعول اى يحتاج الانسان ان يأتى بالعذر (منه) لغيره اذا صدر بسببه من الانسان فى حق ذلك الغير نقص اوهضم جانب اواساءة ادب اى تباعد عن اتيان مثل ذلك فانك تحتاج الى الاعتذار عنه لغيرك بعد وقوعه فربما يقبل ذلك الغير عذرك وربما لا يقبله وقد اشار الى حكم الطمع بقوله (فطمع) الانسان فى الشئ (الحرام) عليه (حرام) عليه ذلك الطمع فيه (وطمع) الانسان فى الشئ (المخاطر) اى الموصل الى الخطر من النوافل والمباحات (ليس بحرام) لان ما طمع فيه ليس بحرام بل ربما اوصل الى الحرام لان صاحبه على خطر الحرام (ولكنه) اى الطمع فى الشئ المخاطر (مذموم جدا) اى ذما قويا فربما اوقع فى الحرام (واقبح) انواع (الطمع) المذموم (الطمع) فى تحصيل شئ (من الناس وهو) اى الطمع المذكور (ذل) اى حقارة وهوان فى نفس الانسان اذا قابل المطموع فيه من الاغنياء اوالاكابر (ينشأ) ذلك الذل اى يتولد فى الانسان (من) شدة (الحرص) اى المحافظة بالقلب عن طلب الدنيا (و) من (البطالة) اى عدم اشتغال القلب بخدمة الرب سبحانه (و) من (الجهل) اى عدم العلم (بحكمة الله) تعالى الكائنة (فى الحاجة) اى احتياج الانسان (الى التعاون) من الناس فى بعضهم بعضا فان الله تعالى بعظيم حكمته قسم الناس الى خادم ومخدوم والمخدوم ايضا خادم من وجه والخادم مخدوم من وجه ايضا فالخادم ارباب الصنايع يخدم بعضهم بعضا بصنايعهم ويخدمون من لا صنعة له ايضا والعساكر يخدمون الامراء والاعداء بتبليغهم الحق والرعايا بالمقاتلة عنهم والمخدوم الاكابر والاعيان فى كل طبقة من طبقات الناس وهم يخدمون الخادمين ايضا كالملوك يخدمون الرعايا بالتدبير والحماية والقضاة والامراء يخدمون الناس بفصل القضايا والعلماء يخدمون الناس ببيان الاحكام والنصيحة فمن علم حكمة الله تعالى فى احتياج الناس الى التعاون ببعضهم بعضا ترك الطمع فيما عند غيره من الناس لعلمه بحاجة الغير اليه كما هو محتاج الى الغير (وضد الطمع) المذموم (التفويض) الى الله تعالى (وهو ارادة ان يحفظ الله تعالى عليك مصالحك) كلها الدنيوية والاخروية (فيما) اى فى الامر الذى (لا تأمن فيه الخطر) اى الاشراف على الهلاك لوجود ذلك فيه (اعنى النوافل والمباحات) المشتملة على ذلك (فان كان فيه) اى فى التفويض (صلاحك) فى الامور (يسرك الله) تعالى معه اى سهل عليك كل خير (والا) بان كان الاصلاح لك فيه (منعك) الله تعالى معه من كل خير فاذا فوضت امرك الى الله تعالى وكان فى التفويض اليه صلاح احوالك عنده سهل الله تعالى عليك ويسرك لكل خير واذا لم يكن صلاحك فى التفويض منعك الله تعالى به من كل خير (قال الله تعالى) حكاية عن مؤمن آل فرعون وهو اسرائيلى اوغريب موحد وقيل موسى كما اشار اليه البيضاوى (وافوض

Marfat.com

امرى) اى شانى كله (الى الله) ليعصمنى من كل سوء (ان الله بصير بالعباد) فيحرسهم ويعطيهم ما يريد (فوقاه الله سيئات مامكروا) اى آل فرعون والمكر الحديمة (انظر) يا ايها الانسان (كيف عقب الله) تعالى فى كلامه القديم (التفويض) اليه سبحانه (بالوقاية) حيث كان فى الكلام فاء التعقيب (وهو) اى التفويض (مقام) يقام فيه العبد بتوفيق الله تعالى وحسن عنايته (شريف) لصاحبه مزية على غيره (يدل على حسنه النقل) كما يرد فى الآيات والاحاديث (والعقل ايضا) فان العبد العاجز عن التأثير فى كل شئ لا يليق به الا التسليم وتوكيل الامور كلها الى مولاه القادر المؤثر فى كل شئ (المبحث السادس) من المباحث السبعة (فى) بيان (امور مترددة بين الرياء والاخلاص) الذى هو ضده (و) مترددة بين الرياء و (الحياء) اى الاستحياء من الله تعالى (يدخل فى كلا الجانبين) اى جانب الرياء اوجانب الاخلاص وكذلك فى جانب الرياء اوجانب الحياء (تلبيس) اى تخليط وتدليس (ابليس) وهو الشيطان قال فى مختصر القاموس ابلس يئس وتحير ومنه ابليس (فنقدم) على بيان التباس هذه الثلاثة بعضها ببعض (مقدمة) لها (فى) بيان كيفية (دفع) شر (الشيطان) الموكل بكل انسان (و) ايصال (حيله تشتد اليها) اى الى هذه المقدمة (الحاجة) اى حاجة كل مكلف (فى) امر (التقوى) لله تعالى (فى جميع مجاريها) اى التقوى (خصوصا فى الاخلاص) فى الاعمال (فنقول) فى بيان ذلك (وبالله) تعالى لا بغيره (التوفيق) الى سلوك طريق التحقيق (المذهب المختار) عند ائمة السلوك فى الصراط المستقيم (فيه) اى فى دفع شر الشيطان وحيله (الجمع بين الاستعاذة) بالله تعالى من شره باللسان (والمحاربة) له بالقلب (فنستعيذ) اى نطلب الاستعاذة بمعنى الحماية والحفظ (بالله) تعالى (اولا) اى قبل المحاربة (من شره) المتعدى الينا بالوسوسة (كما امر الله تعالى به) حيث قال سبحانه فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (فان الشيطان كلب سلط) اى سلطه الله تعالى (علينا) ليستفزز من استطاع منا بصوته ويجلب علينا بخيله ورجله (فعلينا) اى نلزم (الرجوع) اى الالتجاء (الى ربه) الذى خلقه واضله ليجعله سببا لاضلال غيره (ليصرفه عنا) كما سلطه علينا فانه بيده يقلبه كيف شاء (ثم) نحاربه ثانيا حيث (نستخف)اى نتهاون (بدعوته) لنا الى السوء ولا نلتفت اليها(وننفيها) من خاطرنا اى نجحدها وننكرها (كماوردت) منه علينا (ولا نشتغل بالمحاربة) له بقلوبنا اولا (والجواب) عن دعوته ووسوسته (فانه) اى الشيطان (بمنزلة الكلب النابح) من النباح وهو صوت الكلاب (كلما اقبلت عليه) لتزجره عن نباحه (ولعيك) كولج واما محركة استخف واولعه به اغراه به كذا فى مختصر القاموس (ولج)اى استظار بالنباح عليك (وان اعرضت عنه) وتشاغلت عن الالتفات اليه (سكت) عنك (فان) اعرضنا عن الشيطان وتشاغلنا بغيره و (لم يسكت) عنا

﴿ وعن ﴾

Marfat.com

وعن الولوع بما يوسوس به (بل تغلب علينا) بالتسويل والوساوس (علمنا انه) اى الشيطان (ابتلاء) اى امتحان (من الله تعالى) لنا (ليرى) بالبناء للمفعول اى يرى الله تعالى الناس (صدق مجاهدتنا) فى انفسنا الجهاد الاكبر (وقوتنا) على دفع شر عدونا الشيطان (كان الله تعالى سلط علينا) اعداءنا (الكفار) المحاربين لنا (مع قدرته) تعالى (على كفاية امرهم و) دفع (شرهم) عنا من غير مخاصمة منا ولا محاربة ولا مجادلة ولكن انما فعل ذلك سبحانه (ليكون لنا حظ) اى نصيب (من الجهاد) الاصغر (و) من (الصبر) على مقاساة كيد الكفار ومعاناة حرب الاشرار (قال الله تعالى ام حسبتم) يا ايها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) التى وعدكم ربكم (و) الحال انه (لما) اى لم ولكن نفى لما متصل بالحال ولم نفيها منقطع (يعلم الله) عندنا اى بالنسبة الى ظهوره لنا فى شهوده اله وهو سبحانه عالم من الازل ولكن بالنسبة اليه تعالى من حيث رتبته الغيبية (الذين جاهدوا) الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر (منكم) يا معشر المؤمنين (ويعلم الصابرين) على مقاساة كيد نفوسهم التى هى اعداؤهم الباطنية وكيد الكافرين الذين هم اعداؤهم الظاهرية (وايضا) كما ان الشيطان بمنزلة الكلب النابح فلا نشتغل بالمحاربة والجواب له فقط من دون الاستعاذة اولا وهى ذكر الله تعالى فانه (قد يشتبه علينا خاطر) يخطر فى بالنا (لا ندرى انه شر من الشيطان) القاه لنا (او خير من غيره) اى غير الشيطان كالملك والرب والشيخ فان الخاطر الربانى والخاطر الملكى وخاطر الشيخ كلها خير (فعلينا المحاربة) بالاحتجاج والمدافعة فى ذلك الخاطر (والقهر) للنفس فى كفها عنه وتباعدها منه (والدوام) اى المداومة (على ذكر الله تعالى باللسان) فى اى ذكر كان كالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد فيأتى من ذلك بما يجد نفسه تتأثر به وتخشع له (والقلب) باجراء ذلك عليه او الفكر فى جلال الله تعالى (ومعرفة وساوسه) اى الشيطان اى ما يوسوس به من الشر الذى يلبسه بالخير والخير الذى يريد به الشر (و) معرفة (مكائده) اى ما يكيد به الانسان من زخرفة الاشياء فى عينه وتزيين الباطل لنفسه (فلا بد اولا) اى قبل الشروع فى شئ من ذلك المذكور (من معرفة منشأ) اى موضع انتشاء (الخواطر) فيه (و) من (تمييز خيرها) اى الخواطر (من شرها) فيفرق بين ما هو الخير منها وما هو الشر اما الخواطر نفسها (فهى آثار) جمع اثر (يحدثها الله) تعالى (فى قلب العبد) المكلف وغيره (تبعثه) اى تحمله باختياره (على الافعال و) على (الترك) فى الخير والشر وهى جمع ترك بمعنى الكف وهو فعل فى المعنى ولهذا كلف به ويثاب عليه بخلاف الترك بمعنى العدم فانه غير مكلف به فلا ثواب فيه قال فى الاشباه والنظائر ترك المنهى عنه لا يحتاج الى نية للخروج عن عهدة النهى واما لحصول الثواب بان كان كفا وهو ان تدعوه النفس اليه قادرا على فعله فيكف نفسه عنه خوفا من ربه فهو مثاب والا فلا ثواب على تركه فلا يثاب

Marfat.com

على ترك الزنا وهو يصلى ولا يثاب العنين على ترك الزنا ولا الاعمى على ترك النظر المحرم (اما الاول) اى من غير واسطة شئ مطلقا (فيقال له الخاطر فقط) اى لا اسم له غير ذلك وهو مشتق من خطر اذا امر بسرعة وانقضى (وعلامته) اى الخاطر (كونه قويا) لا ضعف فيه (مصمما) من التصميم وهو المضى فى الامر يعنى من غير تردد فيه (و) كونه (فى الاصول) اى اصول الدين وما تبنى عليه الشرايع من قطعيات الاعتقادات (و) فى (الاعمال الباطنة) كالزهد وضده والصبر وضده وكذلك التوكل والتفويض ونحو ذلك مع اضدادها (و) علامته ايضا (أن يكون خيرا) اذا كان (عقيب اجتهاد) اى بذل جهده فى رضاء ربه (و) عقيب (طاعة) صدرت منه لربه سبحانه (اكراما) من الله تعالى له بذلك (فيسمى) ذلك الخاطر حينئذ (هداية) من الله تعالى للعبد (وتوفيقا) له (ولطفا) به (وعناية) اى اعتناء به (قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا) اى بذلوا جهدهم فى امتثال اوامرنا واجتناب نواهينا (لنهدينهم سبلنا) اى طرقنا الموصلة الينا وذلك بان يعقب ذلك خواطر هداية وتوفيق ولطف وعناية فيعلمهم كيف الوصول اليه ويدلهم به عليه فيكشف لهم عما استتر على غيرهم فيعرفونه ذوقا وشهودا واستغنوا عن حكايته وقال تعالى (والذين اهتدوا) اى عملوا بطاعته وامتثلوا احكام شريعته (زادهم هدى) بان اعقب ذلك فيهم خواطر حسنة تدلهم على كيفية القرب اليه سبحانه وتوصلهم الى شهوده ذوقا وكشفا (او) ان يكون ذلك الخاطر (شرا) إذا كان (عقيب ذنب) صدر من ذلك العبد كبيرة كان او صغيرة (اهانة) لذلك العبد من الله تعالى واحتقارا له (وعقوبة) عاجلة فى الدنيا (فيسمى) ذلك الخاطر حينئذ (خذلانا) والخذلان ترك العون وهو ضد التوفيق (واضلالا) اى اضاعة وتحييرا وفى كتاب شجون المسجون للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال اعلم ان الخواطر تعرض على القلب وتتجلى بسرعة فهى مما يخص القلب ومما هو خارج عن قدرة الانسان فالخاطر هو ما لا يثبت الا ان يربطه الانسان والراتب هو من الرواتب التى تلزم القلب لزوما راتبا لا تكاد تقلع عنه والعقائب هى ما تعقب فعالا من الانسان فالخواطر اذا مدت بالفكر تأدت الى الرواتب واذا مدت بالعزم تأدت الى العقائب فان اعرض عن الخواطر مرت كما تمر الريح فلا يكون لها اثر فالعقائب قد تحدث على سبيل الجزاء لانها تحدث بعقب الرواتب التى ربطها الفكر ولقد كانت اولا خواطر وهذا يعطى وجوب ملازمة القلب لانه باب الهدى والضلال وصاحب الكسب قال الله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم * ولما كان ابتداء كل شئ انما هو من جهة القلب وهو من جهة هذا الخاطر المتقلب الذى من اجله سمى القلب قلبا وان انضاف ذلك الى غيره فى سبب التسمية (واما) ان يكون ذلك (بواسطة ملك) من الملائكة (موكل من الله تعالى على ابن آدم جاثم) يقال جثم الانسان والطائر والنعام والخشف واليربوع

Marfat.com

يجثم جثما وجثوما فهو جاثم وجثوم لزم مكانه فلم يبرح اووقع على صدره اوتلبد بالارض كذا فى مختصر القاموس وفى المجمل الجاثم اللاطئ بالارض (على اذن قلبه اليمنى) واذنا القلب قطعتان زائدتان فى اعلاه (يقال له) اى لذلك الملك (الملهم و) يقال (لدعوته) تلك اى ما يدعوه الانسان فى باطنه (الالهام ولا تكون) تلك الدعوة منه (الا الى خير) محض لانه من امر الله تعالى وتنزله بامر الله وامر الله كله خير (وعلامته) او خاطر الملك وهو الالهام (كونه مترددا) لانه يرد من الملك على الانسان كالناصح له يدله على الخير برفق ولين من غير قهر ولا اجبار (و) كونه (فى الفروع) اى فروع الشريعة دون اصولها (و) فى (الاعمال الظاهرة) التى بالجوارح (وبلا سبق) اى تقدم (طاعة) من العبد لله تعالى (اومعصية) من العبد له تعالى (فى) الحال (الاغلب لدعوتها) اى المعصية متعلق بالاغلب أى فيما اذا غلبت الدعوة الى المعصية فى باطن العبد فالخواطر حينئذ تسمى عنائب لا خاطر ملك (او) كان ذلك (بواسطة طبيعة) مجبول عليها ذلك العبد (مائلة الى الشهوات) العاجلة (يقال لها) اى لتلك الطبيعة (النفس) الحيوانية (ولدعوتها الى) ما هى مائلة اليه من الشهوات (هوى) بالقصر وجمعه اهواء كما ان الهواء ممدود ما بين السماء والارض وجمعه اهوية ذكره فى الصحاح (ولا تكون) دعوة النفس (الا الى شر) لانها طبيعة ظلمانية لا يصدر منها الا ما هو من جنسها وهو الظلمة (وعلامته) اى خاطر النفس (كونه مصمما) اى قاطعا بالامر من غير تردد (راتبا) اى متكررا بالامثال لانه عرض لا بقاء له (على حالة واحدة) يشبه الجامد وليس بجامد (وان لا يضعف) لشدته وصلابته (ولا يقل بذكر الله) تعالى بل يبقى كما هو عليه (او) يكون ذلك (بواسطة شيطان) من الجن (مسلط) من الله تعالى (على ابن آدم) يجرى فيه مجرى الدم (جاثم) اى لاطئ (على اذن قلبه) اى قطعته الزائدة (اليسرى يقال له) اى لذلك الشيطان المذكور (الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه كذا فى تفسير البيضاوى (و) يقال (لدعوته) اى لما يلقيه فى صدور الناس (الوسوسة) وهى حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير كالوسواس كذا فى مختصر القاموس (وعلامته) اى علامة خاطر الشيطان (كونه مترددا) فى الامر غير قاطع به (ومضطربا) فيه (و) كونه (بلا سبق ذنب) من العبد (فى الاكثر) من احوال الناس وربما كان جزاء على ذنب سبق منه (وان يقل) ذلك الخاطر (ويضعف بذكر الله تعالى) لان بالذكر يشرق القلب فتطرد ظلمة الوسوسة الشيطانية (ويكون) خاطر الشيطان (شرا فى الاغلب) من الاحوال (وقد يكون خيرا مفضولا) اى ادنى من غيره يأمره به الشيطان تلبيسا عليه (ليبعد)

Marfat.com

بذلك (عن) الخير (الفاضل) اى الاعلى من الاول فيحرمه الفضيلة التامة (او يجره) بذلك (الى) اقتراف (ذنب عظيم) من حيث لايشعر (وعلامته) اى خاطر الشيطان الذى يكون خيرا مفضولا لمنع الفاضل اوجر الذنب العظيم (ان يكون قلبك فيه) اى فى ذلك الخاطر المذكور (مع نشاط) اى رغبة فيه (لامع خشية) اى خوف منه ان يترتب عليه شر (ومع عجلة) فى انفاذ مقتضاه (لامع تأن) وتمهل فى ذلك (ومع امن) من ان يكون خديعة (لامع خوف) من ذلك (ومع عمى) القلب عن (العاقبة) التى تعقبه مما يترتب على العمل بمقتضاه (لامع بصيرة) فى حال عاقبة ذلك وفى شجون المسجون للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه قال من الخواطر مايعرض من جهة المزاج ميلا الى مايوافق فهذا اذا تمكن سمى شهوة وضد، نفرة ومنه مايعرض لنيل رتبة فاذا تمكن سمى همة ومنه مايعرض باعثا على الفعل فاذا تمكن سمى مشيئة ومنه مايعرض باستجلال اللقاء فاذا تمكن سمى شوقا ومنه مايعرض بتثبت حكم اوشئ على ماهو عليه فاذا تمكن سمى علما وان كان مترددا سمى شكا فان عرض بذكر مالا حقيقة له على سبيل الثبات سمى جهلا وبجميع الاخلاق والخصال خواطر متى تمكنت سميت باسماء تخصها واعلم ان منزلة الخاطر منزلة سماع صوت يقرع سمعك ويمر وتمر عنه فكما لا يلزمك سماع مايكون من كذب او محال اثما ولا يلحقك فى ذلك لوما ولو كان ذلك بالعكس فانه لا يفيدك بمجرد سماعك اياه اجرا اذلم تقصد لشئ من ذلك فكذلك الخواطر اذالم تتبعها بالك ولم تعد راتبة لا يعقبها شئ وانما يجتهد الصديقون فيما يقوى فيهم خواطر الخير ويقطع عنهم خواطر الشر لانها ازمة القلوب وفواتح الاعمال قال تعالى *ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا *اى اقتدوا بالذكر وهو القرآن فاذاهم مبصرون اى فاذا ابصروا نهوا انفسهم والطيف اول النزغة مثل مايعرض منه بالطيف الذى هو خيال يرى فى النوم لاحقيقة له ينسب الى المحبوب صورة مافافهم هذا جيدا (س ت) يعنى روى النسائى والترمذى باسنادهما (عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فى القلب) اى قلب العبد (لمتان) تثنية لمة بمعنى اصابته من الجن لمة اى مس كذا فى مختصر القاموس ثم فسرهما بقوله عليه السلام (لمة) اى مسة (من الملك) واحد الملائكة (بايعاد بالخير) عاجلا وآجلا وهو حسن الرجاء بالله تعالى (وتصديق بالحق) من مذهب اهل السنة والجماعة (ولمة) اى مسة (من العدو) الذى هو الشيطان (بايعاد بالشر) مما يؤدى الى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى (وتكذيب بالحق) كعقائد اهل الضلال والبدع ونهى عن الخير من الاعمال الصالحة والعقائد الصحيحة والاقوال المستقيمة (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده (عن انس رضى الله عنه انه) اى النبى (عليه الصلاة والسلام قال ان الشيطان) يعنى الموكل بالانسان (واضع خرطومه) الخرطوم

Marfat.com

كزنبور الانف اومقدمه اوما ضمت عليه الحنكين كالخرطم كذا فى مختصر القاموس (على قلب ابن آدم) من ذكر وانثى وخنثى (فان ذكر) ابن آدم (الله تعالى خنس) الشيطان يقال خنس عنه يخنس تأخر وفى المجمل الشيطان خناس لانه يخنس اذاذكر الله عزوجل والخنس الذهاب فى خفية وخنس الرجل تأخروا خنسته انا (وان نسي) ابن آدم (الله تعالى التقم) الشيطان (قلبه) اى صار قلبه لقمة فى فم الشيطان فهو متمكن من الوسوسة له بحيث لامحيص له عنها (واما علامة) وقوع (خاطر الشر) فى القلب (مطلقا) اى سواء كان من قبل النفس اوالشيطان (وعلامة) وقوع (خاطر الخير) فيه ايضا (كذلك) اى مطلقا سواء كان من قبل الرب سبحانه اوالملك (فلم نفهما) وادراك التميز بينهما (اربعة موازين مرتبة) فلايعدل الى الثانى الا اذاتعسر عليه الاول وهكذا الثالث والرابع الميزان (الاول عرضه) اى الخاطر (على الشرع) المحمدى بمقتضى مذهب من المذاهب الاربعة الآن فقط اوغيرها من مذاهب السلف لمن ثبت ذلك بشروطه عنده (فان وافق جنسه) اى جنس الشرع بان كان جزئيا من جزئيات مسئلة كلية من مسائل الاحكام الشرعية (فخير) لموافقته للحق (وان) كان (ضده) اى غيرموافق لذلك (فشر) لانه باطل (و) الميزان (الثانى عرضه) اى الخاطر (على عالم من علماء الآخرة) وهم علماء الشرايع والاحكام اصولا وفروعا العاملون بعلومهم ظاهرا و باطنا لاعلماء الدنيا الذين يعلمون الشرايع والاحكام اصولا وفروعا ليتوصلوا بذلك الى جمع الاموال من الناس واخذ الوظائف والمدارس وتولية القضاء والمناصب وقصدهم الترفع على الناس والتكبر على الجاهلين يعلمون العلم النافع ولايعملون به فينقلب عليهم مضرا و يصير سببا لهلاكهم وهوحجة عليهم بين يدى الله تعالى فكلما ازدادوا علما ازدادوا مقتا عند الله تعالى وغضبا وسخطا منه تعالى عليهم فعلومهم نافعة فى نفسها وهم متضررون بها فخبث منهم وهى طيبة فى نفسها وهى عليهم عمى فكلما تعلموها وعلموها كانوا فى معصية يتقلبون وهم لايشعرون لقصدهم بذلك غيروجه الله تعالى فمثالهم مثال من يصلى صلاة بغير طهارة فيخشع فى صلاته و يطيل فيها الركوع والسجود وقراءة القرآن مع غاية الاتقان فان صلاته تلك كلها معصية من اولها الى آخرها لانها بغير طهارة مع القدرة على الطهارة والتقصير عنها وكذلك هم جميع اشتغالهم بالعلوم النافعة وغيرها من تعلم وتعليم معاصى وذنوب وخطايا وآثام يقترفونها بالليل والنهار حيث لم يقصدوا بذلك وجه الله تعالى بل كان قصدهم ماذكرنا وهم قاطعون ان ماهم فيه طاعة مثابون عليها فهم يتقربون الى الله تعالى بمعاصيه يستحلون ماهم فيه من الرياء والعجب والتكبر فعلهم من الله تعالى مايستحقون وما اكثر وجودهم فى هذا الزمان ولانعين احدامنهم بلساننا ولابقلبنا والله يعلم المفسد من المصلح فمن عرض خاطره

Marfat.com

على احد منهم اضلوه بضلالهم وكذلك من اطاعهم فيما يقولونه وينصحون به الامة على زعمهم فهم الغافلون المغفلون لغيرهم قال تعالى * ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا (و) على (مرشد) الى السلوك فى طريق الله تعالى (كامل) فى صفة الارشاد بان كان يعلم الشرايع المحمدية مع الحقائق الالهية (ان وجد) ذلك المرشد الكامل والمراد ان ظفر به ذلك الانسان والافهو موجود فى الارض الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى ولاتخلو البلاد منه أصلا ولكن المحروم من الاعتقاد شيطانه الذى يغضه الى العباد فهو حجابه المتين على قلوب الغافلين (فان قال) ذلك العالم من عمله الآخرة والمرشد الكامل هو (خير فخير وان) قال هو (شر فشر) لانه امين الله تعالى على الاحكام والاحرى ببيان الحلال والحرام فان علمه محيط بالظاهر والباطن وهو المحقق المعتبر قوله فى جميع المواطن (و) الميزان (الثالث عرضه) اى عرض الخاطر (على الصالحين) من عباد الله وهم القائمون بما أمرهم الله تعالى به المنتهون عما نهاهم عنه مع الاخلاص والزهد والورع توفيقا لهم من الله تعالى ولم يتوصلوا الى ذلك بدراسة علم ولا تعمل نفسانى بل بسلامة الصدر وفراغ السريرة من كل دنس وعيب ولاشعور لهم من انفسهم بما هم فيه من الكمال والتقوى (فان كان فى فعله) الذى خطر له ان يفعله (اقتداء بهم) أى متابعة لهم (فخير) حيث وافق فيه فعل اهل العناية والتوفيق (وان) لم يكن فى فعله الذى خطر له ان يفعله اقتداء بهم بل (بالطالحين) جمع طالح وهو خلاف الصالح كذا فى الصحاح وفى مختصر القاموس الطلاح ضد الصلاح (فشر) لانهم مخذولون فمن اقتدى بهم كان مخذولا مثلهم (و) الميزان (الرابع عرضه) اى عرض الخاطر (على النفس) اى نفسه (والهوى) اى هوى نفسه وهو الميل الى الشهوات والحياة الدنيا والحظ العاجل (فان) وجد نفسه (تنفر عنه) اى عن مقتضى ذلك الخاطر (نفرة طبع) اى بمقتضى طبيعتها من غير تكلف منها فى ذلك (فنفرة خشية) أى خوف (من الله سبحانه وتعالى) عرضت لها من سماع الوعظ اوتذكر الوعيد او رؤية العبرة (فخير) لانها مجبولة على السوء والشر فاذا نفرت من شئ كان ذلك الشئ غير مجانس لها فيكون خيرا لا محالة (وان مالت) اى النفس (اليه) اى الى مقتضى ذلك الخاطر (ميل طبع) اى هوى وشهوة فانها مجبولة على ذلك بلا تكلف (لاميل رجاء من الله تعالى) لان ميل الرجاء عرضى فيها لانه لايكون الامن سماعها باللذائذ الاخروية وتذكر الوعد بالجنة ومطالعتها سعة كرم الله تعالى والامر العرضى ليس فى الجبلة فلا كشف له عن شئ لانه لايغيرها عما طبعت عليه من السوء (فشر) ذلك الامر الذى مالت اليه (اذا النفس اذا خليت) اى تركت (وطبعها) اى مع طبعها من غير ما يعرض لها (لأمارة) باللام الموطئة للقسم اى كثيرة الامر لصاحبها (بالسوء) والشر كما قال تعالى

Marfat.com

* ان النفس لامارة بالسوء (واما حيل) جمع حيلة (الشيطان) اى شيطان كل انسان الموكل به من الله تعالى ليظهر كماله بالمخالفة او نقصانه بالمطاوعة كما قال تعالى * وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم * وقال تعالى فى حق قرين المؤمن * فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين (ومخادعاته) جمع مخادعة من خدعه كمنعه ختله واراد به المكروه من حيث لا يعلم والاسم الخديعة والخداع ككتاب المنع والحيلة كذا فى مختصر القاموس (فى الطاعة) اى فى طاعة الانسان لله تعالى (فمن سبعة اوجه اولها ان ينهاه) اى الشيطان (عنها) اى عن طاعة الله تعالى (فان عصمه) اى الانسان (الله تعالى) بمعنى حفظه وحماه من كيد الشيطان (رده) اى رد الانسان نهى الشيطان عن الطاعة فى باطنه فيخاطب نفسه بنفسه فان الشيطان لا يكلم الانسان الا بنفس الانسان فنفس الانسان لباس الشيطان وهى حجابه وهى مظهره لانه من ورائها يوسوس لها حيث هو قرينها من اصل الخلقة ولا ينفك عنها الا بالموت ولهذا كانت امارة بالسوء وليست هى هو كما ان القارورة من الزجاج الصافى اذا وضع فيها مداد اسود تكون سوداء بسبب ما وراءها وهى بيضاء فى نفسها بحيث لو زال منها المداد الاسود وغسلت رجعت الى بياضها وصفائها وهى غير المداد الموضوع فيها فكذلك حال النفس وشيطانها وصورة الرد (بان قال) الانسان لشيطانه (انى محتاج الى ذلك) اى الى طاعة الله تعالى (جدا) اى احتياجا قويا كثيرا (اذ لا بد من التزود) اى اخذ الزاد وهو طعام المسافر والمراد به هنا العمل الصالح اشارة الى عدم بقاء الانسان فى الدنيا لانه فى مرحلة من مراحل السير الى الله تعالى فهو فى سفر حتى يصل اليه تعالى كما قال سبحانه * وان الى ربك المنتهى (من هذه الدنيا الفانية) اى الزائلة المضمحلة (للآخرة) الباقية (التى لا انقضاء لها) فان سمع الشيطان هذا القول الحق من الانسان لا يمكنه رده ولا الطعن فيه فيتركه الشيطان ويعدل الى امر غيره اشار اليه المص بقوله (ثم يأمره) اى يأمر الانسان شيطانه (بالتسويف) اى المطل فى اخذ الزاد من الدنيا الى الآخرة فيقول له لا تعجل فى اخذ ذلك فانه لا يفوتك لانك فى اول عمرك وينسيه احتمال الموت فى كل نفس بتنفسه فى الليل والنهار (فان عصمه الله تعالى) اى حفظ تعالى الانسان من شيطانه وحماه من كيده ومخادعته (رده) اى رد ذلك التسويف (بان قال) للشيطان (ليس اجلى) اى وقت انقضاء عمرى فى الحياة الدنيا (بيدى) بل بيد الله تعالى فلا اقدر ان اطيله ولا ان اقصره ولا اعلم متى يكون ايضا فيحتمل ان يكون قريبا ولا شعور لى بذلك وكم من انسان مات بلا مرض على غرة من الحياة (على انى) ايضا (ان سوفت) اى مطلت (عمل اليوم) الذى انا مكلف به (الى غد فعمل الغد) المتوجه على فى عد (متى) اى فى اى يوم (اعمله فان لكل يوم) من ايام عمرى (عملا) مخصوصا به

Marfat.com

لايسقط عنى بعمل يوم غيره فان شيطانه ينكف عنه بذلك القول (ثم) يلتفت اليه من وجه آخر فيجيئه و (يأمره بالعجلة) اى الاستعجال فى تمام الاعمال حيث لم يمكنه ان يحمله على تركها ولا على تسويفه فيها (فيقول له) اى للانسان فى نفسه (عجل) فى صلاتك ونحوها من الاعمال (لتتفرغ لكذا وكذا) من امور الدنيا وشهواتها (فان عصمه الله تعالى) من شره (رده) عما آمره به (بان قال) له (فليل العمل) من الطاعة والعبادة (مع) وجود (التمام) فيه (خير) عند الله تعالى (من كثير) اى كثير العمل مصحوبا (بالنقصان) فيه كما ورد فى الحديث صل صلاة مودع (ثم) اذا انكف عنه من هذا الوجه (يأمره) اى يأمر الشيطان لذلك الانسان (باتمام العمل) الذى شرع فيه على وجه الكمال (مع المراءات) اى الرياء فيه بمعنى الافتخار بان يقول له فى نفسه اتقن عملك حتى يراك الناس فيحمدونك على المحافظة فى العبادة وينسبون اليك الورع والتقوى فيرتفع جاهك عندهم (فان عصمه) اى حفظه (الله تعالى) من ذلك (رده بان قال) لشيطانه (الناس لايقدرون) من قبل انفسهم (على نفع ولا) على (ضر) كما قال تعالى *ولا يملكون لانفسهم ضرا ولانفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا* واذا لم يملكو ذلك لانفسهم فلا يملكونه لغيرهم بالاولى واذ صدر منهم شئ من ذلك لم يكن من قبل انفسهم وانما هم فيه اسباب لاتأثير لهم كالميزاب يجرى فيه ماء المطر وهو من عند الله عزوجل كما قال تعالى *قل كل من عند الله (افلا يكفينى رؤية الله تعالى) اى اعتقاد انه سبحانه هو (النافع) لمن يشاء بمن يشاء (الضار) لمن يشاء بمن يشاء وحده لاشريك معه فى شئ من ذلك اصلا (ثم) يظهر له من وجه آخر اذ راى الوجه الاول انسد عليه فيخدعه و (يوقعه فى العجب) بنفسه وسيأتى بيان العجب ان شاء الله تعالى (فيقول) له (ما ايقظك) اى ما اشد يقظتك واقوى فطنتك (و) ما (اعقلك) اى ما اكثر عقلك حيث (تنبهت) من نوم الغفلة (لما لم يتنبه له غيرك) من الناس فعرفت مالم يعرفوا وفهمت مالم يفهموا وارتقيت مالم يرتقوا اليه (فان عصمه الله تعالى) من شر ذلك (رده) فى الحال (بان قال) له (المنة) اى الاحسان والجميل على (لله) تعالى وحده (فى) جميع (ذلك دونى) اذ ماهو فى من الكمال انعام من الله تعالى على واكرامه منه سبحانه لى فليس ذلك فى منى ومن تحصيلى (فهو) سبحانه (الذى خصنى بتوفيقه) دون غيرى (وجعل لعملى) عنده (قيمة عظيمة بفضله) واحسانه لاباستحقاقى لذلك (ولولا فضله) سبحانه على واحسانه الى (لما كان له) اى لعملى (قيمة) اصلا (فى جنب) اى ناحية (نعمة الله تعالى) على (وجنب معصيتى) اى مخالفتى (له) سبحانه وتعالى عن عمد فاذا استحق عليه تعالى مع ذلك (ثم يقول) للانسان شيطانه اذا يئس منه من تلك الوجوه (اجتهد انت) يا ايها الانسان فى طاعة الله تعالى وعبادته (حالة السر) حيث لايراك احد (فان الله تعالى سيظهره)

Marfat.com

اى يظهر ذلك الاجتهاد منك الناس فيرونه (ويجعلك) سبحانه (شريفا خطيرا)
اى لك شرف وخطر بالتحريك اى رفعة وهيبة (بين الناس واراد) الشيطان (بذلك
القول الذى وسوسه اليك (ضربا) اى نوعا (من) انواع (الرياء الخفى)الذى لا ينتبه
اليه كثير من الناس كما سبق بيانه (فان عصمه الله تعالى) من ذلك الوسواس (رده
بأن قال) لشيطانه (انما انا عبدالله) تعالى (وهو) سبحانه (سيدى) ومولاى
وله التصرف فى شأنى كله دون ارادتى وامرى جميعه بيده (ان شاء اظهر) حالى
للناس وما انا عليه من الاعمال (وان شاء اخفى) عنهم ذلك واراهم ما انا فيه من المساوى
والقبائح والعيوب (وان شاء جعلنى) عندهم (خطيرا) اى ذا خطر اى رفعة وهيبة وجاه
ورياسة (وان شاء جعلنى) بينهم (حقيرا) ذليلا ملوما مذموما (وذلك) موكول (الى الله
تعالى) لانه القادر عليه دونى (ولا أبالى) انا اى لا التفت ولا اعبأ (ان كان) تعالى
(يظهر ذلك للناس) ويكشفه لهم (اولم يظهره) بان ستره على واخفاه (فليس بايديهم)
اى الناس (شئ) مما انا طالبه من النفع ولا مما حاذره من الضرر (ثم يقول) الانسان شيطانه
(آخرا) اى فى آخر الامر (لاحاجة لك الى هذا العمل) الذى انت تعبان فى تحصيله
(لانك ان خلقت) اى خلقك الله تعالى (سعيدا) من الازل فى حضرة علمه القديم
فان ذلك كائن لامحالة فاذا لم تعمل (لم يضرك ترك العمل) لانه لا يرفع سعادتك المقدرة
لك عند الله تعالى (وان خلقت) اى خلقك الله تعالى (شقيا) من الازل كان ذلك لامحالة
أيضا فاذا عملت (لم ينفعك العمل) ولا يدفع عنك الشقاوة المقدرة عليك (ففيم)
اصلها فى ما اى فى اى شئ فحذفت الف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها
كقوله تعالى * عم يتساءلون وبم يرجع المرسلون (تجتهد) اى فى تحصيل اى شئ
والامر ليس تمامه اليك ولا تصرف لك فيه والحكم لله تعالى عليك من الازل لا يتغير
ولا يتبدل فكيف تتعب فى امر لا يتم بتعبك (و) كيف (تترك راحتك) اى الراحة
التى تقدر على الظفر بها فى الحياة الدنيا (وتضر نفسك) بالمشقة والتعب
والنصب فى العبادات والطاعات (فان عصمه) اى عصم (الله تعالى) ذلك الانسان
من شيطانه (رده) اى رد عليه ماقاله له (بان قال) الانسان فى رده على شيطانه
(انما انا عبد) لله تعالى (و) الواجب (على العبد امتثال امر سيده) فعلا للمأمورات
وكفا عن المنهيات (والرب) سبحانه وتعالى اى المالك لجميع العبيد المربى لهم ليوصلهم
الى ما خلقهم له من خير وشر ونفع وضر (اعلم بربوبيته) التى هى ملكه لهم وتصرفه
فيه من الازل حيث لم يكونوا شيئا مذكورا فانه سبحانه (يحكم) عليهم (مايشاء)
من شقاوة وسعادة (ويفعل) بهم (مايريد) من خير وشر وعطاء وحرمان * لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون * والله يحكم لامعقب لحكمه ويناسب هذا ما ذكره المناوى
فى شرح الجامع الصغير عن الماوردى من الاجوبة المسكتة اى القاطعة للحجة ان ابليس
ظهر لعيسى عليه السلام فقال الست تقول انه لن يصيبك الا ما كتبه الله لك قال نعم

Marfat.com

قال فارم بنفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة سلمت قال يالعون ان الله تعالى ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه (ولانى ينفعنى العمل) الصالح يوم القيامة عند الله تعالى بنفع الله تعالى به لا ينفع العمل لى بنفسه (كيفما) اى على اى حالة (كنت) فى آخر عمرى اوفى حضرة علمه سبحانه وتقديره الازلى وفى شرح المناوى على الجامع الصغير وقد اختلف السلف فمنهم من راعى حكم السابقة وجعلها نصب عينه ومنهم من راعى حكم الخاتمة وجعلها نصب عينه قيل والاول اولى لانه تعالى سبق فى علمه الازلى سعيد العالم وشقيه ثم رتب على هذا السبق الخاتمة عند الموت بحسب صلاح العمل وفساده عندها وعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشقاوتها (ان كنت سعيدا احتجت اليه) اى الى العمل الصالح (لزيادة الثواب) عند الله تعالى يوم القيامة فان الزيادة مطلوبة للنفوس مرغوب فيها (وان كنت شقيا فكذلك) احتجت الى العمل الصالح ايضا وان لم انتفع به (لئلا لوم نفسى) يوم القيامة على تركه له ولهذا سمى الله تعالى يوم القيامة يوم الحسرة ويوم التغابن لحسر الناس فيه على التقصير فى العمل وغبن بعضهم بعضا فى ذلك اى مخادعتهم فيه (على ان الله تعالى) ايضا (لا يعاقبنى على) فعل (الطاعة) والعبادة (بكل حال و) العمل ان لم ينفعنى (لا يضرنى) مثل ترك العمل فانه ان لم يضرنى لا ينفعنى واذا استويا عندى فكيف اختار الترك على الفعل ولا مخاطرة فى الفعل وانما المخاطرة فى الترك والعاقل يترك ما فيه المخاطرة ويأتى مالا مخاطرة فيه (على انى) ايضا (ان دخلت النار) فى يوم القيامة بناء على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى (وانا) اليوم (مطيع) لله تعالى كان ذلك (احب الى من ان ادخلها) اى النار بسبب الختم بالكفر (وانا) الآن (عاص) له سبحانه وتعالى وهذا اشارة من قبيل قول القائل * منى ان تكن حقا تكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا (فكيف) ادخلها وانا مطيع الآن (ووعده) سبحانه (حق) لمن اطاعه بدخول الجنة والنعيم المقيم (وقوله صدق) كما قال سبحانه وتعالى * ومن اصدق من الله قيلا (وقد وعد) جل وعلا عباده المؤمنين (على) فعلهم (الطاعات بالثواب) فى الآخرة كما هو صريح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية (فمن اتقى الله تعالى) من عباده اى مات (على الايمان) الصحيح (والطاعات) المقبولة فى الشرع (لن يدخل النار) فى القيامة (البتة) اى قطعا بلاشبهة (ويدخل الجنة) التى اعدها الله له فى الآخرة (لوعده) تعالى (الصادق) الذى وعده اياه والله لا يخلف الميعاد وان كان ذهاب الايمان قبيل الموت وتبدله بالكفر امرا ممكنا ولكن ليس كل ممكن واقعا والاصل بقاء ما كان على ما كان واليقين المحقق الآن لا يزول بالشك والاحتمال قبيل الموت (ولذا) اى لكون وعده سبحانه صادقا لا ريب فيه (قال الله تعالى) حكاية عن اهل الجنة (وقالوا الحمد لله) اى الشكر له (الذى صدقنا

Marfat.com

وعده) الذى وعدنا اياه بدخول الجنة (و) ايضا (ان الله تعالى مسبب) اى واضع (الاسباب) بحيث تترتب عليها افعاله سبحانه من خير وشر ونفع وضر فان لكل واحد منها سببا موضوعا بالوضع الالهى الربانى بحيث لايكاد ينخرم اصلا (وقد جرت عادته) سبحانه وتعالى (فى) عالم (الدنيا و) فى عالم (الآخرة على ربط) حصول (الاشياء باسباب) وضعها لها (ظاهرة) معروفة عند الناس (كالغيث) اى المطر سبب موضوع (للنبات) من الارض (والجماع) من الذكر سبب موضوع (للولد) من الانثى من كل نوع من انواع الحيوان (و) فصل (الصيف) وهو احد فصول السنة سبب موضوع (للبيع) اى استواء وانضاج بيع الثمر كبيع حان قطافه كالبيع (الثمار) جمع ثمرة محركة وهو حمل الشجر (وقد قال الله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها) اى اورثكم الله تعالى اياها عمن خالفكم فى دينكم الحق ممن ماتوا على الكفر والعياذ بالله تعالى كما ورثهم النار عنكم حيث متم على الايمان فان لكل واحد من الفريقين مقعدا فى الجنة ومقعدا فى النار فيتوارثان فى مقاعدهما (بما) اى بسبب الذى اوشئ (كنتم) فى الحياة الدنيا (تعملون) اى تعملونه من الطاعات والعبادات وقال تعالى (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار) اى انحكم على من اتقى ربه بالعمل الصالح وعلى من فجر بمخالفة امر ربه بحكم واحد فان هذا ممتنع منا لان كلا السببين من التقوى والفجور يقتضى ماهو له من النعمة والنقمة (فان لم تزل) اى فان لم ترتفع (هذه الوسوسة) المذكورة الحاصلة للانسان من شيطانه (بامثال هذه الاجوبة) التى ذكرها المصنف (و يعود) الوسواس من الشيطان ايضا لصاحبه من وجه آخر (بان يقول) له (ان الاعمال) من العبادات اوالطاعات (ايضا مقدرة) علينا من الله تعالى (فلا نقدر) نحن (على مخالفة تقدير الله تعالى) الذى قدره علينا من الازل لانه نافذ فينا لا محالة ان شئنا وان أبينا (فان قدر) الله تعالى (لنا الاعمال الصالحة) وحكم بايجادها لنا من الازل ان تكون فى اوقاتها المعلومة (و) قدر لنا (السعى لها) اى الاجتهاد فى تحصيلها (والقصد اليها) بالاهتمام فيها (حصلت) تلك الاعمال منا فى اوقاتها المقدرة فيها من الازل وظهرت منا بالسعى فى تحصيلها والقصد الى الاتيان بها على طبق ماهو مقدر علينا من ذلك (لامحالة) ولاشبهة ولاتردد اصلا (وان لم يقدر) الله تعالى علينا ذلك من الازل (استحال) اى امتنع عقلا وشرعا (وجودها) اى الاعمال المذكورة اذ لاخالق الا الله تعالى ولامقدر غيره سبحانه ولامحيص لنا عن قضائه وتقديره (فنحن مجبورون) اى مضطرون مقهورون (على العمل) ان كان التقدير السابق بالعمل (و) على (الترك) اى ترك العمل ان كان التقدير سبق بالترك (فلا يفيد) احدا مع ذلك (القيل والقال) وهما اسمان لقول الخير وقول الشر قال فى القاموس القول

Marfat.com

فى الخير والقال والقالة فى الشر (فقل) يا ايها الانسان لشيطانك الذى وسوس اليك هذه المقالة (ان الله تعالى وان كان خالق افعال العباد كلها) من خير وشر ونفع وضر (وغيرها) اى غير الافعال ايضا كذوات العباد وصفاتهم (لا خالق) لكل شئ (غيره) سبحانه (لكن) مع ذلك (للعباد اختيارات) جمع اختيارة وهى فعل مرة من الاختيار وهو ايثار احد الشيئين على الآخر (جزئية) اى متشخصة فيهم وربما يسمى جزأ اختياريا لكونه من جملة اجزاء الانسانية داخل فى حقيقة الانسان الكاملة كاليد والرجل للبدن فاولم يخلقه الله تعالى الانسان نقص الانسان فيسقط عنه التكليف اذلا تكليف الا بالجزء الاختيارى مع ان ذلك الجزء لا تأثير له فى شئ اصلا ولكن به تتم الخلقة فيتوجه التكليف (وارادات) جمع ارادة (قلبية) اى منسوبة الى القلب (قائمة) اى تلك الاختيارات والارادات (للتعلق) بان يعلقها الله تعالى (بكل) واحد (من الضدين الطاعات والمعاصى) فاذا علقها الله تعالى بالطاعات سمى توفيقا وهداية واذا علقها بالمعاصى سمى خذلانا وضلالة والله يفعل مايشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل فلا يقال له لم علقت هذا الاختيار وهذه الارادة من هذا العبد بالطاعة وعلقت هذا الاختيار وهذه الارادة من العبد الآخر بالمعصية وهم يسئلون عن كل ما صدر عن اختيارهم وارادتهم من الطاعة والمعصية لكونهم غير مجبورين عليها ولا مضطرين اليها (وليس لها) اى للطاعات والمعاصى التى تتعلق تلك الاختيارات والارادات بكل منها (وجود فى الخارج) عن الذهن حالة تعلقها بها (حتى يحتاج) ذلك الوجود (الى الخالق) اى الايجاد (ويتعلق) الخلق (بها) اى يتعلق بالطاعات والمعاصى (اذ الخلق ايجاد المعدوم فما) اى الذى اوشئ (لا يوجد) فى حال الاختيار والارادة (لا يكون مخلوقا) بهما (فلا يكون مريدها) اى الطاعات والمعاصى (خالقها) اى موجدها من العدم بمجرد اختياره وارادته لها اذ لا وجود لها فى الخارج حتى يكون خالقها خلافا للقدرية مجوس هذه الامة القائلين بان الانسان خالق لافعال نفسه (وقد جعلها) اى اختيارات العباد وارادتهم (الله تعالى شرطا عاديا) اى بحسب جريان عادته بين عباده (لخلقه) سبحانه وتعالى اى لكونه خالقا (افعال العباد) فلا تخلق العباد افعالهم بل الله تعالى يخلقها لهم ويخلق فيهم اختيارات لها وارادات ليكلفهم بذلك بمنزلة الاسباب العادية كالسكين للقطع والنار للحرق (وكون افعال العباد بعلم الله تعالى وارادته سبحانه (وتقديره وكتبه) اى كتابته (فى اللوح) المحفوظ (لا يستلزم) ذلك (كون صدورها) اى تلك الافعال (من العباد بالجبر) اى القهر لهم فى ذلك (كما انا علم زيد جميع ما يفعله عمرو يوما من الايام فاراده) اى اراد زيد ما يفعله عمرو (وكتبه فى قرطاس فهل يكون عمرو) المذكور (فى فعله) ذلك (مجبورا من زيد) حيث

Marfat.com

ارادته زيد ان يفعل ماراد هوفعله وكتبه زيد فى قرطاسه وهل ارادة زيد وكتابته لما فعله عمرو جابرة لعمرو على ذلك الفعل (وهل يكون له) اى لعمرو (ان يقول لزيد فعلت) انا (ما) اى الذى (فعلت) من ذلك الفعل (لعلمك) اى لاجل علمك بذلك (وارادتك) له (وكتبك اياه) عندك يعنى حملنى على ما فعلت علمك وارادتك وكتابتك ومعلوم انه ليس له ان يقول ذلك لزيد ولا حمله على الفعل علم زيد وارادته وكتابته (فان عمرا فعله) اى فعل ذلك الفعل (باختياره) لا بجبره ولا باضطراره (وارادته) لا اكراه له من غيره والفاعل بالاختيار والارادة غير مجبور ولا مكره على الفعل (لا) ان عمرا فعل ذلك (لاجل علم زيد) بانه يفعل ذلك (وارادته) لذلك (وكتبه) له عنده واذا كان كذلك (فلا يتصور فيه) اى فى علم زيد وكتبه وارادته (الجبر) لعمرو على ذلك الفعل (فكذا) القول (فيما نحن فيه) من ان علم الله تعالى بما يفعله العبد وارادته لذلك وكتبه له فى اللوح المحفوظ ليس بجبر للعبد على فعله ذلك الذى فعله العبد باختياره وارادته وعلى وفق هذا ماروى عن عمر رضى الله عنه انه اتى بسارق فقال ماحملك على السرقة فقال قضاء الله وقدره فقطع يده وحسمت ثم اتى به بجلده فقال قطعت يدك لسرقتك وجلدتك لكذبك على الله تعالى وذلك لان علم الله تعالى وتقديره لا يخرجان العبد الى حيز الاضطرار ولا يسلبان عنه الاختيار كما روى ان شيخا من اهل الشام حضر صفين مع على رضى الله عنه فقال له اخبرنا يا امير المومنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله تعالى وقدره فقال له نعم يا اخا اهل الشام والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله تعالى وقدر فقال الشامى فعند الله تعالى احتسب عنائى يا امير المؤمنين وما اظن ان لى اجرا فى سعيى اذا كان الله تعالى قضاه على وقدره فقال على رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى قد اعظم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا فى شئ من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبورين فقال الشامى وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال على رضى الله عنه ويحك يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء حتما لازما وقدرا حتما لازما لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله تعالى والنهى وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسئ ولا المسئ بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الله الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتاب عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشامى فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وكان مسيرنا بهما وعنهما فقال على رضى الله تعالى عنه الامر من الله تعالى بذلك

Marfat.com

ثم تلا وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامى فرحا مسرورا لما سمع من المقال وقال فرجت عنى يا امير المؤمنين فرج الله عنك وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجل سأله عن القدر فقال الله تعالى لا يطالب بما قضى وقدر وانما يطالب بما نهى وامر وهذه الاشارة على طبق قول على رضى الله عنه الامر من الله تعالى بذلك كذا ذكره ابن كمال باشا رحمه الله تعالى فى رسالته فى القضاء والقدر ثم بسط الكلام فى هذا المقام (فتدبر) ما ذكر هنا من التبيين (وكن من الشاكرين) على ذلك (وهذا الجواب) المذكور فى المتن (هو) الجواب (الحاسم) اى القاطع من حسمه يحسمه فانحسم قطعه فانقطع ثم كواه لئلا يسيل دمه وحسم فلانا الشئ منعه اياه كذا فى مختصر القاموس (لهذه الوسوسة) الشيطانية المذكورة (و) هو (معنى قول السلف) الماضين رضى الله عنهم اجمعين فى مسئلة افعال العباد انها (لا جبر) اى لا قهر على العبد فيها من الله تعالى كما هو مذهب الجبرية (ولا تفويض) فيها ايضا للعبد من الله تعالى بحيث يستقل بالافعال كما هو مذهب القدرية (ولكن) فيها للعبد (امر) اى شان من الله تعالى وهو تكوين ازلى قديم للفعل فى وقت وجوده من غير مشاركة للعبد فى ذلك اصلا مع ايجاد اختيار وارادة فى العبد لذلك الفعل هما شرط تكليفه بذلك الفعل فى الخير والشر (بين امرين) هما جبره على اختيار ذلك الفعل وارادته له وتفويض ذلك الفعل اليه بحيث يستقل به حيث خلقه الله تعالى له على طبق اختياره وارادته والحاصل ان هذا القول معناه ان الله تعالى خالق افعال العباد وحده لا شريك له فى ذلك أصلا ولكن بخلقها للعباد مقارنة لاختيارات العباد وارادتهم لها قبل وجودها بحيث هى صادرة منهم بخلق الله تعالى وحده لا باختيارتهم وارادتهم وهو قول الماتريدية لان اختيارتهم وارادتهم لها حاصلة منهم قبلها فلا تكون صادرة منهم بها (واما على) مقتضى (قول) الامام ابى الحسن (الاشعرى) رحمه الله تعالى (القائل) فى مسئلة افعال العباد (بالجبر المتوسط) بين الجبر الضعيف الذى فى قول الماتريدية المذكور فانه جبر فى الاختيار فقط وليس الفعل بالاختيار حتى يكون فيه جبر بل بقدرة الله تعالى وحده فلا جبر فى الفعل الا من جهة الاختيار فقط وبين الجبر المحض الذى هو قول الفرقة الجبرية من المعتزلة وقال النجم الغزى فى حسن التنبه واما الجبرية فهم الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والمعتزلة فى طرفى نقيض فالمعتزلة يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون ان كل ما يجرى من افعال العبد فهو فعل الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا واهل السنة وسط بين الطرفين لا تفريط ولا افراط ويعتقدون ان الله تعالى خالق العبد وما يعمل ويثبتون للعبد قدرة ويثبتون لقدرته اثرا اما فى الفعل وسموا ذلك الفعل كسبا ومنهم من يسميه اختيارا وقد اخطأ المعتزلة فى تسميتهم اهل

Marfat.com

السنة مجبرة ثم الجبرية منهم خالصة لايثبتون للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل اصلا ومتوسطة يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة اصلا انتهى يعنى لابطريق الحقيقة كالقدرية ولا السببية كاهل السنة (اعنى) اى اقصد بالجبر المتوسط على قول الاشعرى (كون افعال العباد) صادرة منهم (باختيارهم) اى بواسطة اختيارهم وان لم يكن لاختيارهم تأثير فى ذلك بخلاف مذهب الماتريدية فان عندهم افعال العباد صادرة منهم بقدرة الله تعالى مقارنة لاختيارهم لابواسطة اختيارهم لان اختيارهم فيهم قبل ان يخلق الله تعالى لهم الافعال فقد يوجد الاختيار ولا يخلق الله تعالى لهم الافعال وقد يخلق الافعال ولا اختيار فيهم ولا ينافى كون الاستطاعة مع الفعل فان الاختيار اذا كان سابقا صالحا للتعلق بالضدين لا يكون استطاعة حتى يتعلق وتعلقه مقارن للفعل فالاستطاعة مع الفعل (لا) صادرة منهم (بالاضطرار كما تقول) الفرقة (الجبرية) من المعتزلة (فانه) اى قول الاشعرى رحمه الله تعالى المذكور (جبر محض) حيث كانت افعال العباد بواسطة اختيارهم (ولكن الاختيار) الذى فيهم (من الله تعالى بالجبر والاضطرار لهم فافعالهم خلقها الله تعالى لهم بواسطة اختيارهم الذى هم مجبورون فيه فافعالهم هم مجبورون فيها واما على قول الماتريدية فانهم وان كانوا ايضا مجبورين فى اختيارهم ولكن افعالهم ليست مخلوقة فيهم الله تعالى بواسطة اختيارهم حتى يكون ذلك جبرا لهم فى افعالهم بل مخلوقة فيهم من الله تعالى ابتداء بلا واسطة شئ ولا يصح القول بانهم مجبورون فيها لسبق خلق الاختيار فيهم من الله تعالى لها فهم فى حال خلقها مختارون اذ الاختيار سابق عليها باق بتكرر الامثال لانه عرض متكرر الى وقت خلقها لا مجبورون بخلاف مذهب الاشعرى فان الاختيار عنده مقارن لخلق الافعال اذ هو واسطة عنده فى خلق الافعال وهو مجبور فى الاختيار فيلزم ان يكون مجبورا فى الافعال كذلك عنده (فنحن) عنده (مختارون فى) وقت (افعالنا) لخلق الله تعالى الافعال لنا بواسطة مقارنة خلق الاختيار للافعال فينا (مضطرون) مجبورون (فى اختيارنا) الذى به وجدت افعالنا فافعالنا موجودة بالجبر والاضطرار (فهذا معنى الجبر المتوسط) الذى عند الاشعرى رحمه الله تعالى (فلا محيص) اى لا فرار (من هذه الوسوسة) الشيطانية المذكورة فيما سبق على قول الاشعرى بل هو مما يزيدها ويؤكدها اذ فيه الرجوع الى الجبر (وهو) اى قول الاشعرى (مخالف لقول السلف) الذى مر ذكره لانه لا جبر ولا تفويض ولكنه امر بين امرين (اذ لا فرق بينه) اى بين قول الامام الاشعرى (وبين الجبر المحض فى الحقيقة) وان كان الفرق بينهما بثبوت الاختيار بين الجبر فيه والجبر فى الافعال فهو اختيار بين جبرين ولنا فى تخريج قول الاشعرى رحمه الله تعالى كلام كثير ذكرناه فى المطالب الوفية وفى رسالتنا تحريك سلسلة الوداد فى مسئلة خلق افعال العباد (فاى نفع) للعبد (فى وجود اختيار) له (اضطرارى)

Marfat.com

فيه فانه لايزيل عن العبد اسم المجبور المضطر فى حقيقة الامر وان كان فى الظاهر يزيله لان الموصوف بالاختيار لايكون موصوفا بالجبر من جهة كونه موصوفا بالاختيار وانما قد يكون موصوفا بالجبر من جهة نفس اختياره ان كان اختياره فيه بطريق الجبر كما هنا (واما قوله) يعنى الاشعرى رحمه الله تعالى فى كون الاختيار عنده بطريق الجبر من الله تعالى فى العبد انه او كان اختيار العبد فيه باختياره ايضا (فيلزم ان يكون للاختيار اختيار فيدور) اى يرجع الاختيار الثانى الى الاول اوالى اكثر من ذلك ثم يرجع الى الاول ايضا (او يتسلسل) بان يتوقف الاختيار على اختيار آخر والآخر على آخر الى مالانهاية له والدور والتسلسل باطلان (فنقوض) هذا القول منه (باختيار الله تعالى) للاشياء فانه اختيار وليس موجودا عن اختيار ايضا لان الله تعالى يختار الاشياء ولا يختار ان يختار حتى يلزم الدور اوالتسلسل (فجوابه) اى جواب مالزمه الاشعرى من لزوم الدور اوالتسلسل فى اختيار العبد هو (جوابه) اى جواب مالزم من الدور والتسلسل فى اختيار الله تعالى (وحله) اى حل الاشكال فى لزوم الدور اوالتسلسل فى اختيار الله تعالى (ان) الفاعل (المختار) اى المتصف بالاختيار للاشياء (ان كان) فاعلا مختارا (قصدا) اى بقصد ان يكون فاعلا مختارا (واصالة) اى بطريق الاصالة فى وصف كونه كذلك (فلا بد له) اى لذلك المختار المتصف بالاختيار (من اختيار) آخر يكون به فاعلا مختارا باختيار ان يكون كذلك وهكذا فيدور اويتسلسل (فغير) ذلك الاختيار (له) اى لاختياره الذى كان به فاعلا مختارا (سابق) ذلك الاختيار الاول (عليه) اى على اختياره الثانى (بالضرورة) اذلا يكون متأخرا عنه لانه فاعل مختار باختيار ان يكون كذلك فلا بد ان يكون اختياره كذلك متقدما على كونه كذلك (واما ان كان) الفاعل المختار المتصف بالاختيار متصفا بكونه فاعلا مختارا (ضمنا) اى فى ضمن كونه فاعلا مختارا لابقصد ان يكون كذلك (وتبعا) لكونه فاعلا مختارا فان الفاعل المختار يتصف باختيار كونه فاعلا مختارا فى ضمن كونه فاعلا مختارا اوتبعا له (فلا) يلزم ان يكون الاختيار اختيار فلا دور ولا تسلسل وكذلك الله تعالى فاعل مختار لكل شئ وفى ضمن ذلك موصوف باختيار كونه فاعلا مختارا لكل شئ والا لزم ان يكون مجبورا فى اختياره فيدخل اختياره تحت الجبر فلا يكون اختيارا حقيقيا وهو محال لانه يلزم منه حدوث القديم (بل يكون اختيار) الله تعالى للشئ (المقصود اختيارا) او وصفا بصفة الاختيار (لنفسه ضمنا) اى فى ضمن اختياره للشئ المقصود (والتزاما) اذ يلزم من اختياره شيئا ان يكون اتصف بكونه اختيارا ان يختار ذلك الشئ والا كان مجبورا فى اتصاف كونه اختار ذلك الشئ والجبر على الله تعالى محال لعدم الجابر فى حقه سبحانه ببرهان الوحدانية (كما يشهد له) اى لما ذكر (الوجدان) اى الادراك والذوق من كل انسان قال الحيالى فى حاشية شرح العقائد الاختيار بمعنى الارادة صفة من شانها ان تتعلق بكل من الطرفين بلا داع

Marfat.com

ومرجح فيكون الاختيار من الله تعالى لايستلزم الجبر كما ان صدور ارادته تعالى عن ذاته بالايجاب لاينافى كونه تعالى فاعلا مختارا بالاتفاق انتهى وفى الفتوحات المكية للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره اقول بالحكم الارادى لكى لااقول بالاختيار فان الخطاب بالاختيار الوارد انما ورد من حيث النظر الى الممكن معرى عن علته وسببيته وقال فى الباب السابع عشر واما العلم بكونه مختارا فان الاختيار تعارضه احدية المشيئة فنسبته الى الحق اذا وصف به انما ذلك من حيث الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال تعالى * ولكن حق القول منى * وقال تعالى * لئن حقت عليه كلمة العذاب وقال مايبدل القول لدى *وما احسن ماتم به هذه الآية وما انا بظلام للعبيد وهنا نبه على سر القدر وبه كانت الحجة البالغة على خلقه وهذا هو الذى يليق بجناب الحق والذى يرجع الى الكون ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها فاشاء ولكن استدراك للوصل فان الممكن قابل للهداية والضلالة من حيث حقيقته فهو موضع الانقسام وعليه يرد التقسيم وفى نفس الامر ليس لله فيه الا امر واحد هو معلوم عند الله من جهة حال الممكن انتهى فالاختيار على هذا فى حق الله تعالى معناه الارادة الجازمة باحد طرفى الممكن من غير تردد اصلا كما هو فى اختيار العبد كذلك ولايلزم من ذلك الجبر لانتفاء الاباءة قال فى الفتوحات المكية الجبر لايصح عند المحقق لكونه لاينافى صحة الفعل للعبد فان الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الاباءة من الممكن والجماد ليس بمجبور لانه لايتصور منه فعل دلالة عقل عادى فالممكن ليس بمجبور لانه لايتصور منه فعل دلالة عقل محقق مع ظهور الآثار منه وقال فى الباب الثالث والسبعين المجبور فى اختياره لايثنى عليه بالاختيار الامع رفع العلم عنه بالجبر فى ذلك الاختيار سر الان الاختيار ينافض الجبر فيعلم الانسان عند ذلك ماهو المراد بالاختيار ويرى انه مائله فى الوجود الا الجبر من غير اكراه فهو مجبور غير مكره انتهى وهذا لاينافى الاول لانه مبنى على عدم اشتراط الاباءة فى معنى الجبر بخلاف الاول ومعنى الاباءة مراعى ولو تقديرا فيعتبر تارة موجودا فلا جبر فى الممكن والواجب ولا يعتبر اخرى فالجبر فى الممكن على كل حال دون الواجب لامتناع الجابر فى حقه ولما لزم من كون المختار مختارا لنفسه ان يكون اختياره فيه ترجيحا بلا مرجح حيث لم يكن اختياره باختيار منه ايضا دفعه بقوله (والترجيح) فى الشئ (بلا مرجح) له من غيره (جائز بلا امتناع (عند المتكلمين) اى علماء الكلام (فى) حق (الفاعل المختار) فاختياره كاف فى الترجيح اذ هو من صفات ذاته فلا يحتاج الى سبق مثله (وانما الممتنع) عند المتكلمين (الترجح) اى كون الشئ راجحا بنفسه (بلا مرجح) له من غيره (فيجوز) اى يصح من غير امتناع (ان تتعلق الارادة) من الفاعل المختار (بشئ) من الاشياء ويترجح بها احد طرفى الممكن (بلا مرجح) له غير تلك الارادة ولا تحتاج الارادة الى مرجح يرجح مقتضاها على

Marfat.com

غيره لاقتضائها ذلك الترجيح لذاتها (و) بلا (داع) من الغير يدعو الى ترجيح ذلك الشئ سوى تلك الارادة (فلا يرد) على كون المختار مريدا لما اختاره بنفسه لامرجح كما ذكر (ان تعلق الارادة) بترجيح احد طرفى الممكن (لابد له) اى لذلك التعلق (من مرجح) من الغير ثم ينقل الكلام الى ذلك المرجح (فان كان من خارج) عن ذلك التعلق (يلزم) منه (الايجاب) بان يكون ترجيحا بطريق الايجاب من موجب له غير ممكن فتنتفى الارادة والاختيار عن الفاعل المريد المختار (وان كان) المرجح (من نفس المريد) بان كان هو رجح مقتضى ارادته بنفسه (فنقل الكلام عليه) اى على كون المرجح من نفسه (انه) لايخلو اما ان يكون الترجيح (بالاختيار او بالاضطرار فيلزم) على ذلك (اما الدور اوالتسلسل) حيث يلزم ان يكون الاختيار مرجحا بالاختيار وهكذا الى مالانهاية له اوعائد الى الاول او يكون الاضطرار مرجحا بالاضطرار كذلك بطريق الدور اوالتسلسل وذلك محال (او) يلزم منه (الايجاب) ونفى الارادة والاختيار وجوابه ماسبق بيانه (فاذا تمهد) اى تقرر وتحرر لك ايها الانسان (هذه المقدمة) المذكورة فى دفع الشيطان وحيله (فلنشرع) الآن (فى) بيان (المقصود) من الامور المترددة بين الرياء والاخلاص اوالرياء والحياء (فنقول) بمعونة الله تعالى (من) جملة الامور (المترددات بين الرياء والاخلاص ان الرجل) اى الانسان فيشمل الذكر والانثى والخنثى مع امثالهما (قد يبيت مع قوم) اى رجال اواعم من ذلك (فيقومون للتهجد) اى القاء الهجود وهو الصلاة بعد النوم اخص من صلاة الليل لانها تكون قبل النوم وبعده (كل) اى فى كل (الليل اوبعضه) اى الليل (وهو) اى ذلك الرجل (ممن) اى من بعض الناس (لايقوم) ذلك البعض (اصلا) اى ليس عادته الصلاة بالليل عجزا اوكسلا (او) ممن (يقوم قليلا من قيامهم) اى قيام ذلك القوم بان كان عادته الصلاة فى بعض الليل (فاذا رآهم) اى رأى ذلك القوم (انبعث) اى ظهر (نشاطه) بالصلاة ليلا او بكثرة ذلك (للموافقة) لذلك القوم الذين كان معهم فرآهم كذلك (حتى يزيد على معتاده) من اصل القيام ومن كثرته (وكذلك) اى مثل ذلك فى التردد بين الرياء والاخلاص (قد يقع) للانسان (فى موضع يصوم اهله تطوعا) اى نفلا او يكثرون من ذلك (فينبعث نشاطه) اى تتحرك همته (فى) موافقتهم على (الصوم) المذكور فيفعل مثلهم ولم يكن ذلك من عادته (فربما يظن انه) اى نشاطه لما ذكر من الصلاة والصوم (رياء وان الواجب) عليه (ترك الموافقة) حيث لم يكن ذلك من عادته وقداتى به موافقة لهم (وليس) الامر (كذلك) اى كما يظن (على الاطلاق بل له تفصيل) يظهر منه الفرق بين الرياء والاخلاص ينبغى بيانه وهو قوله (فان كان نشاطه) ذلك فى موافقتهم فى الصلاة والصوم (لزوال الغفلة) عن قلبه اى لاجل ذلك (بمشاهدة) اى بسبب معاينة (الغير) لذين

Marfat.com

رآهم نشطوا للتهجد والصوم (وقد اقبلوا على الله) تعالى مخلصين له الدين (واعرضوا عن النوم) بالتهجد (و) عن (الاكل) بالصيام (او) كان نشاطه (لاجل اندفاع العوائق) عنه من استجلاء الشهوات والانهماك فى المخالفات (و) لاجل اندفاع (الاشغال) الدنيوية التى فى بيته مثل تمكنه اى استراحته وتمدده (على فراش وثير) اى موطأ من وثر يثر اى اوطأ وقدوثر ككرم (اوتمكنه من التمتع بزوجته) متى شاء (اوامته) اى جاريته (اوالمحادثة) اى المكالمة والمنادمة (باهله) اى مع اهله (واقاربه والاشتغال باولاده) تربية وانفاقا (وحساب معاملته) مع الغير كالبيوع والمداينات (او) نشاطه (لمفارقة النوم) فادركه السهر والقلق (لاستنكاره الموضع) الذى اعتاد النوم فيه فاستوحش لمخالفة عادته (او) كان نشاطه (بسبب آخر) غير ماذكر كانشراح صدره لذلك حبا فى مساواة غيره ورغبة فى اتباع الاصحاب والاخوان (فيغتم) لاجل ذلك (زوال النوم) عنه للقيام الى التهجد (و) اذا كان (فى منزله ربما يغلبه النوم) فلايقدر على القيام بالليل اويكسل عن ذلك و يشتغل عنه بامر آخر فى مهمات بيته (وقد يعسر عليه الصوم) اذا كان (فى منزله) بين اهله (ومعه اطايب) جمع طيب بمعنى لذيذ (الاطعمة) جمع طعام وهو مايؤكل (فاذا اعوزته) اعوزه الشئ احتاج اليه (تلك الاطعمة) الطيبة التى فى منزله (لم يشق عليه) اى لايتعبه الصوم (فهذه) الامور المذكورة فى التهجد والصوم (وامثالها) فى بقية العبادات (ليست برياء) لعدم قصد غير الله تعالى بها وان كان الداعى اليها والمنشط لها غير الله تعالى (فعليه) اى يتعين عليه (الموافقة) للغير فى ذلك (والعمل) مثله ولايلتفت لوسواس الشيطان له ليثبطه عنه (والشيطان عند ذلك) الحال المذكور (ربما يصد) الانسان بوسواسه (عن العمل) بمقتضى مانشط اليه (ويقول) له (لاتعمل) عند الناس (ما) اى العمل الذى (لاتعمل فى بيتك) فانك ان عملت ذلك (فتكون مرائيا) فيترك الانسان عمله لذلك فلاينبغى له ان يلتفت الى هذا الوسواس الموجب للحرمان من العمل الصالح (وان كان نشاطه) الحاصل له بمشاهدة الغير (طلبا) منه بذلك (لمحمدتهم) اى محمدة الغير من الناس الذين رآهم يفعلون كذلك (اوخوفا من ذمهم) له حيث نشطوا للعبادة ولم ينشط هو لها (و) خوفا من (نسبتهم اياه الى الكسل) فى طاعة مولاه (لاسيما) اى خصوصا (اذا كانوا يظنون انه يقوم بالليل او يصوم تطوعا) لله تعالى (فلا تسمح نفسه) اى لاترضى (ان تسقط) هى (من اعينهم) فيرون حالها دون احوالهم (فيريد) بذلك (ان يحفظ منزلته فى قلوبهم) ليها بوه و يعظموه بينهم (وعند ذلك قد يقول) له (الشيطان) فى نفسه (صل) اوصم (فانك مخلص) فى كل ماتعمل من الطاعات (وانما كنت لاتصلى فى بيتك) ولاتصوم ولاتكثر من العبادات (لكثرة العوائق) لك عن ذلك

Marfat.com

والشواغل الدنيوية فان ذلك رياء (فلا يجوز له ان يزيد) عند الغير (على معتاده) من ذلك اذا كان فى بدنه (لانه يعصى الله تعالى بطلب محمدة الناس) على عبادة ربه (او دفع ذمهم) عنه بذلك (و) دفع (سقوط منزلته عندهم بطاعة الله) تعالى (لانه) اى هذا الصنع منه (رياء) فى عبادة الله تعالى (محظور) اى ممنوع منه شرعا (والعلامة الفارقة بينهما) اى بين الرياء وعدمه فى العمل (ان يعرض) الانسان (على نفسه انها) اى نفسه (لو رأت هؤلاء) الذين تبعتهم فى عملهم (يصون ويصلون من حيث لا يرونه) بان كان يراهم هو (من وراء حجاب) بينه وبينهم (هل كانت تسخو) اى تسمح نفسه (بالصلاة والصوم) فان كان تسخو بذلك (فاخلاص) عمله لارياء فيه فحينئذ (يوافقهم) اى الجماعة الذين رآهم يفعلون ذلك فيعمل مثلهم ولا يبالى (او) كانت نفسه (لا تسخوا) بشئ من ذلك (و يثقل) عليها العمل (لعدم اطلاعهم) اى تلك الجماعة (عليها فرياء) عمله وحينئذ (لا يزيد) من العمل (على المعتاد) الذى كان يفعله فى منزله لانه يزيد رياء لا اخلاصا والرياء معصية يجب تركها (ومن ذلك) الذكور الذى فيه تفصيل فتارة يكون اخلاصا وتارة يكون رياء بالقصد والنية (الاستغفار) بان يقول بلسانه استغفر الله ونحو ذلك (والاستعاذة) نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين وسبحان الله والله اكبر الى غير ذلك من الاذكار (عند الناس) بحيث يسمعونه (فقد يكون) قال ذلك (الخاطر خوف) من الله تعالى خطر فى نفسه (و) لاجل (تذكر ذنب) فعله (و) لاجل (تندم عليه) اى على ذلك الذنب وهذا طاعة لانه توبة وافلاع ورجوع (وقد يكون ذلك القول منه (للمرائات) اى بقصد ان يراه الغير مستغفرا او مستعيذا ونحو ذلك فيكون معصية يجب اجتنابها (فراقب) ايها الانسان (قلبك) اى احرسه واحفظه (وميز بينهما) اى بين الرياء والاخلاص (بالعلامة السابقة) المذكورة (وامثالها) من علامات اخرى غير ذلك ربما كشفت لك وعرفك الله تعالى بها فى نفسك مثل كونك لو ذموك على ذلك العمل بقيت عليه او علمت عدم رضائهم به فعلته ونحو ذلك (فان كان) عملك (لله) اى لاجل الله تعالى (فامضه) اى افعله (والا) اى وان لم يكن لله بان كان لغير الله (فاحذر) منه ولا تفعله فانك ان فعلته فعلت معصية لا طاعة كالصلاة بلا طهارة فانها معصية والاخلاص للعبادات كالطهارة للصلاة اجماعا كما قال تعالى * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * الاية (ومن ذلك) المذكور ايضا (اظهار الطاعة) للناس ليروها (فان الباعث عليه) اى على الاظهار (قد يكون قصد الاقتداء) به اذا رأوها منه (فيكون) اظهارها قصدان يروها منه فيقتدون به (أفضل) عند الله تعالى (من الاخفاء) اهب (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عمل السر)

Marfat.com

اى العمل الذى يعمله الانسان من طاعة الله تعالى سرا (افضل) اى اكثر ثوابا عند الله تعالى (من عمل العلانية) اى من العمل الذى يعمله علانية اى ظاهرا بحيث يراه الناس حيث لانية له زائدة على قصد مجرد العمل لله تعالى فان السر ابعد من الرياء واقطع لتشوق المحمدة من الناس واقوى للنفس على الاخلاص وانفى للعجب والسمعة اذ ربما نشأ فلا يبقى فى باله فيكون ممن رفع عمله الى حضرة ربه فلا يرى نفسه الا مقصرة مذنبة والاعلان بالعمل ضد ذلك فربما يبقى عمله نصب عينه لعدم رفعه حيث يضرب به وجهه كالمدى فى صلاته على ماورد فى الحديث فتفتخر نفسه به وتتكبر على غيرها ويترتب على ذلك مفاسد كثيرة (و) عمل (العلانية) بحيث يراه الناس (افضل) عند الله تعالى من عمل السر بحيث لا يراه احد (لمن اراد الاقتداء) اى ان يقتدى به غيره فيكون اظهار العمل الصالح حينئذ اكثر ثوابا من اخفائه لان فيه النفع المتعدى الى الغير وهو اقتداء الغير به فله ثوابه وثواب من عمل به الى يوم القيامة وفى هذا الحديث اشارة الى ان ماورد فى الحديث الآخر من ان من سن سنة حسنة فله ثواب من عمل بها الى يوم القيامة زيادة على ثواب عمله هو بها وكذلك فى السنة السيئة عليه وزر من عمل بها زيادة على وزره هو محله اذا كان فى وقت عملها مريدا الاقتداء به فى ذلك والا فله ثواب عمله فقط وعليه وزره فقط كما بحثناه فيما سبق (وهذا) اى كون عمل العلانية افضل لمريد الاقتداء به (لا يكون الا فى) حق الانسان (المقتدى به) بصيغة اسم المفعول كالفقيه والمحدث والواعظ وكذلك العامى المعروف بين العامة بحفظ المسائل من العلماء ونحو ذلك واما غير المقتدى به من العامة فعمل السر فى حقه افضل (و قد يكون الباعث) للانسان على اظهار الطاعة قصد (الرياء) اى ايراء الناس فيمدحونه على ذلك فيكون الاخفاء متعينا على كل حال (ولا بلبس) اللعين (تلبيس) اى تخليط على الانسان (فى كلا الجانبين) اى جانب الاخلاص وجانب الرياء بحيث لا يكاد يتميز كمال التميز احدهما من الآخر (فعليك) اى الزم (التيقظ) وهو ضد الغفلة (فان اشتبه عليك) الامر اى دخل فى اشباهه فلم يتبين لك انك مخلص او مرائى (فعليك) اى الزم (الاخفاء) للاعمال الصالحة (فانه لا ضرر) عليك (فيه) اى فى الاخفاء (البتة) اى قطعا من غير شبهة بخلاف الاظهار فانه يحتمل ان يكون فيه ضرر بقصد الرياء وقد التبس عليك (الان يكون الاظهار) فى العمل الصالح (واجبا) عليك (او سنة مثل) الصلاة مع (الجماعة) فى الصلوات الخمس وكذلك الجمعة والعيدين والاذان والاقامة والامامة ونحو ذلك وفى شرح الوصية اليوسفية للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال كان الشيخ ابو مدين رضى الله عنه يقول لاصحابه اظهروا خرق العادات لعلة الطاعات منكم واشهروها كان العصاة فى هذا الزمان يتظاهرون بالمخالفات فاجعلوا كلمة الله هى

Marfat.com

العليا ولا تطفئوا نور الله بالاخفاء اغير الله تدعون ان كنتم صادقين وكان رضى الله عنه لا يقرأ عليه كتابان كتاب الرياء وكتاب السماع فكان يقول فى كتاب الرياء انه يولد الرياء والتدقيق فيه يحكمه فى قلب العامل ولا عامل الا الله فان الله تعالى يقول والله خلقكم وما تعملون فيما ذا ترائى والعمل ليس لك وكذلك اظهروا فى العامة وتحدثوا بما يعطيكم الله تعالى من الكرامات فى بواطنكم وظواهركم تكونون فى ذلك ممن اطاع امر الله تعالى فان ذلك من اكرم النعم على العبد والله يقول الحق واما بنعمة ربك فحدث وقال صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر فكما تتحدث العامة بنقيض ذلك فخالفوهم ونبهوهم ان جميع ما يتقلبون فيه انما هو من الله تعالى نعم وان كانت رزايا فهى طريق الى الاجور التى تحصل لهم فهى طريق الى النعم محققة وان كانت غير رزايا فهى نعم معجلة ينبغى الشكر عليها فان الله تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم فعلى كل حال اظهار الدين اعلى من اخفائه فاشرع الله الصلاة فى مساجد الجماعات والنداء فى الصوامع والحج وامر بالاهلال فيه كل ذلك الا ليظهر دين الله تعالى وتعلو كلمة الله تعالى وحسن هذه الافعال كلها اذا فعلتها لامر ربك الواحد لامر الله تعالى لك بتحسين اعمالك والثانى ليقتدى بك من يراك ممن لا يعلم او ينبه الغافل الذى يعلم وتذكر ولتكن فى عبادتك فى السر والعلن على السواء وهذه الطريقة طريقة الاكابر (ومن ذلك) الامر المذكور ايضا (التحديث) بين الناس (بما فعله من الطاعات بعد الفراغ) منها فانه يحتمل الاخلاص ويحتمل الرياء (وحكمه) اى التحديث (حكم اظهار نفسه) اى نفس ما فعله من الطاعات فى انه ان قصد الاقتداء به فيه كان افضل من ترك التحديث وان قصد طلب المحمدة عند الناس والثناء عليه كان معصية (الا انه) اى التحديث (اذا تطرق) اى توصل (اليه الرياء) بان تحدث بقصد الرياء (لم يؤثر) ذلك الرياء (فى افساد العبادة الماضية) التى تحدث بها (بل يكون تحدثه معصية جديدة) تجددت بعد مضى الطاعة على الاخلاص فيأثم بها وقال المحاسبى فى رعايته حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى الناس راى الله به ومن سمع الناس سمع الله به وروى ابن عباس وجندب عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك انتهى وهو يقتضى انه لا فرق بين الرياء والسمعة فكما ان الرياء عمل لغير الله تعالى مفسد فكذلك السمعة مفسدة للعمل السابق ولكن ربما يقال بان الرياء قارن العمل فافسده والسمعة بعد تمام العمل فلا تفسده لمضيه على الصحة وكذلك العجب بالعمل معصية جديدة ايضا وان قارنت العمل فلا تفسده وسيأتى العجب فى محله ان شاء الله تعالى (وبالجملة الاخفاء فى العبادات التى لا يلزم اظهارها) اى لا يضطر المؤمن الى اظهارها فى الشرع (افضل) اى اكثر فضيلة عند الله تعالى (من الاظهار) لبعد ذلك عن المفاسد المترتبة على الاظهار (الا عند التيقن) بلا شك منه (بقصد التعليم) اى ارادة الانسان بذلك الاظهار تعليم الغير كيفية العبادة (و) قصد (الاقتداء به) اى المتابعة له فى تلك العبادة (فالاظهار)

Marfat.com

لتلك العبادة بحيث يراها الغير منه (حينئذ افضل) من اخفائها (وقس) يا ايها الانسان (على هذه) المسائل (امثالها) من العبادات المترددة بالقصد بين الاخلاص والرياء (ومن) جملة (مكائد الشيطان) اللعين للانسان (ان الرجل قد يكون له ورد) بكسر الواو اسم للجزء من القرآن ثم اطلق عند العلماء على كل جزء من ذكر الله تعالى او الصلاة او القرآن او العلم ونحو ذلك لانه يرد به على القلب ما يرد من الفيض ولارتواء القلب به من عطش الغفلة عن الله تعالى (معين) عنده من تلقين شيخ او تعليم عالم (كصلاة الضحى) كل يوم (و) صلاة (التهجد) كل ليلة (فيقع) ذلك الرجل (فى) جملة (قوم) من الناس (لا يفعلونهما) اى صلاة الضحى والتهجد (فيتركهما) اى الصلاتين (خوفا) على نفسه (من) دخول (الرياء) عليهما (فهذا) الفعل (غلط) منه (ومتابعة للشيطان) حيث يريد ان يقطعه عن عبادة الله تعالى (اذ) اى لان (مداومته) على ورده المعين (السابقة) منه قبل ان يدخل فى القوم (دليل على) وجود (الاخلاص) منه فى ذلك الورد (فمجرد وقوع خاطر الرياء فى القلب) حالة اجتماعه بالقوم (بلا اختيار) منه لذلك (و) لا (قبول) له (ليس بضار) له شيئا (ولا فيه) نوع (رياء ولا) هو بأمر (مخل بالاخلاص) الذى له فى العمل وحده (فترك العمل) بين القوم الذين يرونه (لاجله) اى لاجل ما ذكر (موافقة للشيطان) فى ان ذلك رياء (وتحصيل لغرضه) اى الشيطان فان غرضه قطع العبد عن عبادة الرب (نعم) الواجب (عليه) اى على ذلك الانسان (ان لا يزيد) بين القوم (على عمله المعتاد) له وهو فى منزله وحده (ان لم يجد) من القوم (باعثا) على الزيادة (دينيا) اى من جهة الدين كزيادة عملهم على عمله المعتاد فاراد مجالستهم او فى ذلك تنشيط لهم الى العمل الصالح اذا كان لهم فتور عنه (وقد يترك هما اى صلاة الضحى والتهجد (لا خوفا من) وقوعه فى (الرياء بل خوفا) من (ان ينسب) بين الناس (الى الرياء و) خوف ان (يقال) عنه (انه مرائى) اى صاحب رياء (وهذا) الصنع منه (عين الرياء) اذ تركه ذلك من اجل الناس لا من اجل الله تعالى (لانه ترك) صلاة الضحى والتهجد (خوفا من سقوط منزلته عندهم) اى القوم الذين يرونه (وفيه) اى فى هذا القصد منه (ايضا) زيادة على المراآة بالترك لاجلهم (سوء الظن) منه (بالمسلمين) من اهل القبلة وسوء الظن معصية كما سيأتى فى محله (وقد يوقع الشيطان) بالوسوسة (فى قلبه) اى قلب الانسان (ان تركه) اى العمل (لاجل صيانتهم) اى القوم الذين يرونه وحفظهم (عن معصية الغيبة) منهم له على ذلك العمل انه ما فعله الا رياء لاجلهم (لا للفرار) اى الهروب (عن ذمهم) له (وسقوط منزلته عندهم وهذا) القصد منه (ايضا سوء الظن بهم) اى بذلك القوم وسوء الظن حرام (و) ايضا (صيانة الغير عن) فعل (المعصية انما تحسن) من الانسان (فى ترك) الامور (المباحات) التى هو مخبر

Marfat.com

فيها بين الفعل والترك فلا ثواب فيها ولا عقاب (لا) ترك (المستحبات) التي يثاب بفعلها ولا يكره تركها (ولا سنن) التي يثاب بفعلها ويكره تركها فان صيانة الغير عن المعصية بتركها اي بترك السنن لا يحسن شرعا من المكلف افوات الثواب في حقه وارتكاب المكروه والغير مكلف بردع نفسه عن الغيبة والدخول فيما لا يعلمه ويحرم عليه الظن والتجسس عن عورة غيره وكل واحد مكلف بما حكم الله تعالى به عليه لا بما حكم به على غيره (ومن هذا القبيل) اي من جملة هذه المسائل المتجانسة والقبيل في الاصل اسم للجماعة من الثلاثة فصاعدا من قرى شتى وربما كانوا من اب واحد كذا في مختصر القاموس (ترك) الانسان (السواك) في الوضوء وغيره من المواضع المطلوب فيها شرعا (و) ترك (لبس الطيلسان) بفتح اللام واحد الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب كذا في الصحاح وهو رداء يوضع على الرأس ويرسل من الاطراف (و) ترك (المشي حافيا) كما هو صنيع السلف رضي الله عنهم (و) ترك (ركوب الحمار) الوارد في فعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين (ونحوها) من امور السلف المأثورة عنهم وكان تركه لشيء من ذلك (صيانة) لالسنة الناس (عن) وقوعهم في (الغيبة) في حقه لعلمه منهم انهم يحملون ذلك منه على المروآة وانه فعل ذلك من اجلهم ويغتابونه من اجل ذلك فيتركه حفظا عليهم من غيبتهم ف (يحسن منه ذلك لان فيه الالتفات الى الناس في حال عبادة ربه) وفيه ترك السنة) المأثورة من السواك والطيلسان وركوب الحمار وغيرها (و) فيه (سوء الظن) منه بالمسلمين انهم يغتابونه في ذلك (وعدم الندامة على ترك السنة بل استحسانه) اي الترك (وعدها) اي السنة (عيبا) منه في ذلك الوقت (ونقصانا) في دينه محافظة على دين غيره (وهذه الاشياء) المذكورة من المفاسد المترتبة على صيانة الغير عن الغيبة (تكفي لزجر) الانسان (العاقل) عن الصيانة المذكورة (مع ان الاغلب) على الانسان بحسب المعروف من العادة البشرية (ان تركه) اي ترك ماذكر (ناش من) لحوق (الرياء) له خصوصا النفوس الغافلة عن شهود الله تعالى القاصرة عن معرفته سبحانه فان ما عندها الا المعاصي في صور الطاعات وهي لا تشعر بذلك لعدم البصيرة الصحيحة (وقوله) اي التارك المذكور بانه ترك خوفا على الناس من الوقوع في حقه بالغيبة (كذب) منه (ونفاق) اي ابطان خلاف ما اظهره في حق الناس (فنعوذ بالله) تعالى (منها) اي من هذه الاشياء المذكورة (وقد يتردد) الامر الواحد (بين الثلاث الرياء والاخلاص والحياء) وفي رعاية المحاسبي قد اكثر الناس في الحياء فكل مداهن ومرائي يدعي الحياء والصادق يدعي الحياء والحياء كله خير قال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال ان الله عز وجل يحب الحي الحليم فالحياء فعل من الطبيعة الكريمة يخص الله عز وجل بها من يشاء من خلقه نفع العاصي والمطيع اما المطيع فهو زائل عن كل خلق دني

Marfat.com

واما الفاسق فلم يجمع مع فسقه فسوقا وتهتكا فالحياء عن غريزة كريمة فعندها يجد العدو الدعاء الى الرياء فان اطاعه العبد اعتقد الرياء واعتل بالحياء وصدق قد اهاجه اولا الحياء ثم خطر العدو بالرياء فقبله فكان مرائيا اذا انتقل من الحياء الى الرياء وقد يهيجه ان يريد الله عزوجل فيضم الى الحياء الاخلاص لله عزوجل فان فعله للحياء اوتركه لغير ذكر اخلاص ولارياء ولا كاد يكون ذلك فهو خير لقول النبي صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله ولقوله صلى الله عليه وسلم لا يأتي الا بخير وانه شعبة من الايمان ما لم يكن شيئا اولى به فيه الحياء من الله عزوجل بالحياء من كل خلق دنى فى دين اودنيا ومثاله (كرجل يطلب منه صديقه قرضا) اى مالا يستقرضه منه (و) ذلك ارجل (لايسخوا) اى لاتسمح نفسه (باقراضه) شيئا (الانه يستحي من رده) اى من التصريح له بانه لايقرضه مراعاة لصداقته (ويعلم) ذلك الرجل (انه لوارسله) اى ذلك المستقرض (على لسان غيره) من الناس ليقرضه (لايستحي) منه ذلك الغير (ولايقرض ذلك الرجل) معطوف على لايسخو (رياء) اى على وجه الرياء (ولايطلب) باقراضه (الثواب) من الله تعالى ايضا حتى يكون على وجه الاخلاص (فله) اى هو مخير (عند ذلك) بين ثلاثة اشياء اما (ان يشافه) صديقه (بالرد الصريح) ويقول له لااقرضك (فينسب) عند صديقه وعند الناس (الى قلة الحياء اويتعلل) فى عدم اقراضه (بكذب) بان يقول له ليس معى مال ونحوه (او) بنوع (تعريض) بان يقول ليس فى يدى شئ ويقصد حقيقة اليد لاالملك اوليس عندى مال ويقصد من النوع الفلانى (فيأثم) بالكذب لانه حرام (او يسئ) اى لايحسن فى معاملته مع صديقه حيث احتال عليه بالمعاريض فى الكذب (الا ان توجد حاجة) اى يلجئه الامر (الى التعريض) بالكذب لعله يبطل صديقه اويطمعه فى ماله وعدم وفائه حقه ونحو ذلك (فيباح) التعريض له بالكذب حينئذ (او يعطى) معطوف على ان يشافه اى يقرض صديقه ماطلبه منه (لمجرد الحياء) اى لايحمله على القرض الا الحياء منه فقط بلارياء ولااخلاص (او) يعطى له القرض (لهيجان خاطر الرياء) فى قلبه وذلك بان يقول فى نفسه (انه) اى صديقك (ينبغى ان يعطى) بالبناء للمفعول القرض (حتى يثنى عليك) بين الناس (ويحمدك) عندهم (وينشر اسمك) بينهم (بالسخاء) اى الكرم والسماحة (اوحتى لايذمك) صديقك على ترك اقراضه (وينسبك الى البخل) وسوء المعاملة معه (او) يعطى (لهيجان باعث الاخلاص) فى القلب يعنى طلب الثواب من الله تعالى (و) ذلك الباعث (هو ان الصدقة) اذا كانت منه انما تكون (بواحدة) اى بقطعة واحدة مثلا من الفضة (والقرض) يكون (بثمانية عشر) درهما مثلا (ففيه) اى فى القرض (اجر) اى ثواب عند الله تعالى (عظيم) حيث انتفع منه المستقرض بما هو اكثر من انتفاعه بما قل من الصدقة فان النفوس فى الغالب

Marfat.com

تسمح بثمانية عشر فرضا ولاتسمح بدرهم صدقة فثواب القرض اكثر من ثواب الصدقة لقضاء حاجة اخيه (و) فيه ايضا (ادخال سرور) عظيم (على قلب صديق) مضطر الى ذلك (وقد تجتمع هذه) الاشياء (الثلاثة) الرياء والاخلاص والحياء فى غير مسئلة القرض ايضا (او) يجتمع (اثنان) من الاشياء الثلاثة كالرياء والاخلاص اوالرياء والحياء اوالاخلاص والحياء (وحكم التساوى) عنده بين الاشياء الثلاثة اذا اجتمعت فى امر واحد فى انه مخير بين ان يأتى بواحد منها فيكون اختار مقتضاه من الاثم اوغيره (و) حكم (الطرفين) اى الشيئين من الاشياء الثلاثة اذا اجتمعا فى امر واحد (قد بينا) فى مسئلة القرض المذكورة (ومن ذلك) اى مما اجتمعت فيه الاشياء الثلاثة ايضا (ترك) المكلف (الذنوب الحالية) اى المنسوبة الى حاله هوفى نفسه احترازا عن الذنوب المتعلقة بغيره كالغيبة والنميمة والظلم ونحو ذلك لانها قد تكون لغرض التقرب الى غيره من الناس اوخوفا منه فيتصور فيها اكثر مما ذكر وقد يراد بالحالية الذنوب التى فى الحال لا الماضية والمستقبلة فان ترك ذلك كناية عن الندم والعزم على عدم العود (فانه) اى ترك الذنوب المتعلقة بحاله هو فقط كترك شرب الخمر وترك تناول الحرام المبذول له ونحو ذلك اوالذنوب التى فى الحال (قد يكون) ذلك الترك (لله) تعالى اى لاجله سبحانه فيكون على وجه الاخلاص (وعلامته) اى الترك لله تعالى (تركها) اى الذنوب المذكورة (فى) وقت (الخلوة) اى الانفراد بنفسه عن الناس (ايضا) كالترك بين الناس (وقد يكون) ذلك الترك (للحياء) اى الانقباض (من الناس) اذا رأوه فاعلا لتلك الذنوب (وقد يكون) ذلك الترك (مثلا يقتدى به) اى يتابعه (غيره) من الناس فى فعل تلك الذنوب (فيعظم اثمه) عند الله تعالى بسبب ذلك لان من فعل معصية فاقتدى به غيره فعليه اثمه وثم من فعل بتلك المعصية الى يوم القيامة كما سبق بيانه (ومثلا يصغر فى عينه) اى عين غيره من الناس (فلا يقتدى) ذلك الغير (به ولا يقبل) ذلك الغير (قوله) الذى يقوله فى العلم والنصيحة والوعظ (فيحرم) بالبناء للمفعول اى يحرمه الله تعالى بسبب ذلك (عن ثواب الاصلاح) للناس الوارد فيه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير من رواية الطبرانى عن ابى رافع (وقد يكون مثلا يقصد) بالبناء للمفعول اى يقصده الناس (بشر) وهو ضد الخير يعنى مثلا يؤذوه بسبب رؤيتهم ذلك منه (اومثلا يذمه) اى بسببه ويشتمه (الناس فيعصون) الله تعالى بسبب ذلك (وعلامته) اى علامة كراهة ذمهم له (ان يكره ذمهم) اى الناس (لغيره) اذا سمعه منهم (ايضا) اى كما يكره ذمهم له (اومثلا يتأذى) اى يتضرر (طبعه بذم الناس) له فربما يتكلم فيهم من الذم مالا يريد ان يتكلمه (فان فيه) اى فى تأذى طبعه بذلك (الشعور) من نفسه (بالنقصان) فيها

Marfat.com

وذلك يؤدى الى اطالة اللسان فى حق الغير (وتألم القلب بالذم) من الناس له (ليس بحرام) عليه (وانما يحرم) عليه تألم القلب بالذم (اذا دعاه) اى اوصله (الى ما لا يجوز) له قوله ولا فعله من اذية الغير قال المحاسبى فى الرعاية ينبغى للعالم ان يكره ذم المسلمين له وقد يكرهه على وجوه قد يكره ذمهم خشية ان يكون ذلك دليلا على ذم الله عزوجل له اقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتم شهود الله فى الارض هذا مالم يعتدوا ويظلموا فى ذمهم ويكذبوا ولكراهة ان يغبروا قلبه فيشغلوه عن ربه عزوجل او يجئ منه اليهم ما لا يحل له فيعصى الله عزوجل فيهم بقلبه او بجوارحه واشفاقا عليهم ان يعصوا الله عزوجل فيه والذى هو اقل ذلك وهو مباح ان يكره ان يغتم بما يسمع ويشق عليه لانه مخالف للطبع فلا يكاد ان يمتنع ان يهيج الغم بسببه ما يكره من القول فيه فليس عليه فى ذلك جناح ان يكره ما يشق عليه فيما يهيج من فعل طبعه وان لا يحب ان يغتم وان ذموه فاغتم لما هاج من الطبع فلا بأس به مالم يكن انما يكره الذم او يغتم له جزعا ان يزول عنه الحمد بالطاعة ومحبة ان يثنوا عليه بالورع ويبروه على الورع ويأكل بدينه فلا يحب ان يقولوا عليه غير ذلك فيزول عنه الثناء بعمله والبر على طاعته فاذا كان ذلك فقد نقص فى دينه لانه وان لم يرائى فى طاعة الله عزوجل فى ذلك ولم يجزع من ذلك ان لا يتم له الثناء على طاعة الله عزوجل وسلم من ذلك وشغله مع السلامة من الرياء غم ذمهم اذا كانوا صادقين فيه عن الغم لله فقد نقص وغبن بل ما رضى كثير من الناس بالغم بزوال الثناء بالدين حتى يبتدئ اعمالا اخر لم يكن يعملها يزيل ذلك الذم عنه والخروج الى الاعتذار بالكذب والتصنع جزعا من زوال الثناء والمؤمن لا يطلب بطاعة الله عزوجل حمدا من المخلوقين ولا يكتسب ذمهم ولا يحبه لان فيه شغل عقله ومحنة له لعله ان يخرج الى ما لا يحل له ويكره عصيان المسلمين فيه بالطاعة يريد الله عزوجل بها ولا يريد بها العباد وذم العباد لا يحبه ولا يكتسبه ولا يطلبه ويحبه ان لا يعصوا الله عزوجل فيه ولا يشغلوه عن ربه عزوجل وان يسلم فى دينه ويسلم عليهم (نعم كمال الصدق) من العبد (فى ان يزول) اى يبعد (عن رؤية الخلق) بحيث لا ينظر اليهم اصلا (فيستوى عنده ذامه) منهم (ومادحه) فلا يبغض ذمهم ولا يحب مدحهم (لعلمه) يقينا (ان الضار) له ولغيره (و) كذلك (النافع) فى الدنيا والآخرة (هو الله تعالى) وحده لا شريك له (و) لعلمه (ان العباد كلهم عاجزون) من انفسهم عن الضر والنفع فى كل حال (وذلك) اى كمال الصدق المذكور (قليل) وجوده فى الناس (جدا) بحيث هو فى البعض النادر من الناس وفى الرعاية للمحاسبى رحمه الله تعالى قال ومعنى حتى يكون حامده وذامه فى الحق سواء ان يستوى حامده وذامه لنفسه للاخلاص والصدق لله عز وجل والزهد فى حمد من لا يضره ولا ينفعه لان الخلق كلهم عبيد لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فهم لغيرهم اولى ان لا يملكوا له ضرا

Marfat.com

ولا نفعا فزهد فى حمدهم ولم يبال بذمهم واستوى ذلك عنده لنفسه اذ الامر فى المنفعة والمضرة واحد وذمهم لا يوجب ضررا وحمدهم لا يوجب منفعة كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له رجل وهو شاعر بنى تميم يارسول الله ان حمدى زين وان ذمى شين قال كذبت ذلك الله عزوجل فلما استيقن المؤمن وعلم وصدق ان الله عز وجل اله واحد وكل ما سواه مألوه مربوب مدبر مصنوع لا يقدر ان يحدث فى ملك مولاه مالا يريد ولا يكون الا ما اراد خلع من قلبه رجاء من لا يملك له ضرا ولا نفعا وخوفه واستوى عنده حمد المخلوقين وذمهم اذا كانوا بهذه المنزلة ولم يستو عنده حمد الخالق وذمه اذ الملك له كله والمنفعة والمضرة من تدبيره وصنعه فما حمده عليه الهه من الفعل امل فيه الثواب فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة وذلك اعظم المنفعة وماذمه عليه الهه من الفعل عظم عليه وخاف عقابه فى الدنيا والآخرة اذ لا مالك لهما غير مولاه والهه الجليل وما حمده الخلق اوذموه يستوى عنده اذ لا ملك لهم فى المنفعة ولا فى المضرة فى الدنيا ولا فى الآخرة مما لم يرد مولاه ولم يشأ (او) يترك الذنوب المذكورة (لئلا يشغل قلبه الفارغ) من السوء (بذمهم) اى الناس له اذا راوه فاعلا للذنوب واذا اشتغل قلبه بذمهم (فلا يتفرغ لبعض العبادات) من صلاة وصوم ونحوهما ويبقى قلبه مشغولا بالذم حينئذ وهو لا يريد ذلك فيترك الذنوب لاجل هذا (فان بعض الناس) ممن استلذ بعبادة الله سبحانه وتعالى (قد يفعل بعض الذنوب) احيانا (ولا يترك بعض الطاعات) اى لا يسهل عنده ترك ذلك (وان كان) بعض الطاعات (نفلا) غير فرض ولا واجب فكيف لا يترك الذنوب اذا كان ذلك الترك لا يشغل قلبه عن بعض الطاعات بذم الناس له على فعل الذنوب (وقد يكون) ترك الذنوب (لئلا تظهر) منه (المعصية) للناس (فتضعف) عنه ويستخفون بها فيكثر منهم ارتكابها (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا) يعنى قال فيه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بلا واسطة (كل امتى) يعنى امة الاجابة وهم المؤمنون به صلى الله عليه وسلم (معافى) بصيغة اسم المفعول اى ذلك الكل عافاهم الله تعالى من البلاء النازل والعذاب العاجل (الا المجاهرين) منهم بالمعاصى والمخالفات فان الله تعالى مبتليهم بالبلاء والعذاب والمحن والفتن (او) يترك الذنوب (لئلا يهتك) اى يكشف (ستر الله) تعالى بعدم احترامه سبحانه فان العظيم اذا خولف فى امره ونهيه سهلت مخالفته وزال احترامه من القلوب (فيخاف ان يهتك) الله تعالى (ستره) بين عباده (فى) الدنيا وفى (يوم القيامة) يعنى روى مسلم فى صحيحه باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ماستر الله) تعالى (على عبد فى الدنيا) يعنى معصيته ولم يصرح بها لارادة العموم فيهما وفى كل عيب (الاستر الله تعالى (عليه فى الآخرة) ذلك الذنب وذلك العيب الذى ستره عليه فى الدنيا

Marfat.com

ومفهومه انه اذا فضحه فى الدنيا فضحه فى الآخرة وفضيحة الزانى فى الدنيا اذا اقيم عليه الحد بحضور جماعة من المسلمين كما قال تعالى * وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * فضيحة فى الآخرة ايضا ولكن بالتوبة والتطهير اذ الفضيحة لم تقع الا بذلك فى الدنيا لا بالخيانة والتعيير ولا يلزم من ستر المعصية فى الآخرة انتفاء العذاب عليها فمن ستره الله تعالى فى الدنيا وكان يزنى او يشرب الخمر او يسرق خفية بستره فى الآخرة كذلك فيعذبه خفية ان شاء سبحانه وتعالى ومن هتكه فى الدنيا يهتكه فى الآخرة ايضا فيعذبه على رؤس الاشهاد بمقتضى مفهوم النقيض من هذا الحديث (وقد يكون) ترك العبد للذنوب (ليرى الناس) اى يحملهم على رؤية (انه ورع) اى متصف بالورع وهو اجتناب المشتبهات من الامور فضلا عن المحرمات وانه (خائف من الله) تعالى (وليس) هو فى نفس الامر (كذلك) بل لا ورع عنده ولا خوف له من الله تعالى ولكن له طمع وخوف من الناس (فهذا) الوجه من القصد (رياء محظور) اى ممنوع منه شرعا محرم عليه يأثم به (وجميع) ما قبله كله (من تلك الوجوه المذكورة امر (جائز وليس برياء) ولا بمحظور (وحكم) الرياء (الممتزج) بالاخلاص فى مسئلة ترك الذنوب ان استويا او غلب الرياء او غلب الاخلاص (معلوم مما سبق) من الكلام فى اوائل مبحث الرياء (وستر) العبد لما فعله من (الذنوب الماضية) عن الناس لئلا يعلموا بها (وعدم ذكرها) للغير لو تذكرها فى نفسه مخرج (على هذه الوجوه) المذكورة فقد يكون لله تعالى من قبيل قول الشيخ ابى الحسن الشاذلى قدس الله سره قرأت ليلة قل اعوذ برب الناس فقيل لى شر الواسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك بذكرك افعالك السيئة وينسيك الطاعة الحسنة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذرك هذا الباب فقد اخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد واهل الطاعة والسداد وقد يكون للحياء من الناس وقد يكون لئلا يقتدى به غيره فيعظم اثمه الى آخر ما تقدم من الوجوه وقد يكون رياء وقد يكون ممتزجا (ومن) امثلة الامر (المتردد بين الرياء) قصد مدحة الناس له (والحياء) من الناس بان احتمل واحدا منهما (ان يمشى رجل) بين الناس (على) حالة (العجلة) اى الاستعجال (فيرى واحدا من الكبراء) جمع كبير وهو ذو الجاه والعز والمنصب فى الدنيا (فيعود) من عجلته فى المشى (الى الهدو) اى السكون فيه والطمانينة (او يضحك) رجل بين الناس فيرى واحدا من الكبراء (فيرجع الى الانقباض) و يترك الضحك فى الحال (والاغلب) من الحالين (فيهما) اى فى هاتين المسئلتين (الرياء) للناس دون الحياء منهم (لان الحياء فى الاكثر) انما يكون (من) فعل (القبايح والذنوب وهو) اى الحياء (فيهما) اى فى مسئلة سرعة المشى والضحك (محمود ولو) كان الحياء (من الناس) لا من الله تعالى فان الحياء خير كله (وسيجئ) بيان ذلك فى بحث الوقاحة والحياء ان شاء الله تعالى (واما الحياء من) فعل الامور

Marfat.com

(المندوبات) اى المستحبات (والسنن والواجبات فذموم) فى الشرع (جدا) اى ذما قويا لانه استحياء من الحق والله لا يستحيى من الحق وانما يكون الاستحياء من الباطل (ويسمى) ذلك الحياء (عجزا) ينافى القدرة (وضعفا) ينافى القوة (وخوارا) بفتح الخاء المعجمة والواو ولينا وتقصيرا ينافى الشدة والاقدام على الامور العظام (كن يستحيى) اى يدركه الحياء (من الوعظ) لغيره اى الترغيب فى الطاعات والترهيب من المخالفات (و) من (الامر) للغير بالمعروف (والنهى) للغير (عن المنكر) و(من الامامة و) من (الاذان ونحوها) كقراءة القرآن وتعلم العلم والذكر والتسبيح (فالقوى) فى امر دينه (يؤثر) اى يقدم (الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس) فلا يترك لاجل الحياء من الناس شيئا من الطاعات المذكورة وغيرها قال المحاسبى فى الرعاية قد يترك التعلم لما يحتاج اليه ولا يسئل عنه كراهة ان يسأل عن امر فيقال هذا لا يحسن مثل هذا فيدع الحق ان يطلبه والحرام ان يسأل عنه وهو يعلم انه يحتاج اليه ثم توهمه نفسه ان ذلك منه حياء وانما هو منه رياء ولو كان حياء كان من الله عز وجل احق ان يستحيى زعم انه يستحيى من الناس ان يطلب الحق فيعلموا بذلك فيفطنوا لجهله ولا يستحيى من الله وقد علم ان الله يعلم انه يدع الحق ان يتعلمه ويطلبه وهذه الاخلاق كلها تتشعب من الكبر والعجب وغيره وقد تهيج عن الرياء كما روى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تطلبوا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تجروا ابصار الناس اليكم وقال كعب يأتى على الناس زمان يتغايرون فيه على العلم كما يتغاير فيه على النساء فذلك حظهم

﴿ المبحث السابع ﴾

آخر مباحث الرياء السبعة (فى علاج) اى معالجة ومداواة (الرياء) لزول عن العبد الذى ابتلاه الله به (وذلك) العلاج (يتوقف على معرفة اسبابه) اى اسباب الرياء جمع سبب وهو ما يوصل الى الرياء (و) معرفة (غوائله) اى آفاته ومفاسده ومضراته (ومعرفة اسباب ضده) اى ضد الرياء وهو الاخلاص (و) معرفة (فوائده) اى فوائد ذلك الضد فاسبابه اوائله وغوائله اواخره وكذلك اسباب الاخلاص اوائله وفوائده اواخره ولا علاج الا بعد معرفة اوائل الداء واواخره واوائل العافية واواخرها فاضطر الامر فى المعالجة الى معرفة ذلك كله (اما اسباب الرياء فقد عرف مما) اى من الكلام الذى (سبق) فى المبحث الثالث و بيان ذلك (انها) اى اسباب الرياء (حب الجاه) اى العز والرفعة (و) حب (المنزلة) اى المرتبة العالية (فى قلوب الناس حتى يمدحونه) بما فعله ومالم يفعله من الخير (ولا يذمونه) على ما يفعله من السوء (اما) ذلك المدح وترك الذم (لذاته) اى لاجل ذات ما ذكر لكونه يحب مدح نفسه وترك ذمها (او للتوصل) اى التوصل (به) اى بذلك المدح وترك الذم (الى غيره) اى غير ذلك من الحظوظ النفسانية والمراتب الدنيوية (والطمع) معطوف على حب الجاه (لما فى ايدى الناس)

Marfat.com

من الاموال والاملاك اى يرجو ان يحصل له شئ منهـا (و) كذلك (الفرار) اى الهروب والتباعد (عن الم الذم) الذى يدركه من كلام الناس (و) الم (الجهل) الذى يقاسيه فى عدم معرفته بالعلوم النافعة (واما غوائله) اى الرياء (فقد قال الله تعالى) * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا (ولايشرك بعبادة ربه احدا) فقد سمى الله تعـالى الرياء شركا والمرائى اشرك فى عبـادة ربه ماقصده من تلك الامور النفسـانية (يعلى) يعنى روى ابو يعلى باسناده (عن ابن مسعود رضى الله عنه انه) اى النبى (صلى الله عليه وسلم قال من احسن) اى اتقن (الصلاة) المفروضة اوالنافلة (حيث رآه الناس) اى فيما بين النـاس وهم يرونه (واساءها) اى لم يتقنها ولم يكمل اركانها وسننها ومستحباتهـا (حين يخلو) بنفسه فى مكان ليس فيه احد (فتلك) الحالة منه (استهانة) اى اذلال وتحقير (استهان بها ربه تبارك وتعالى) حيث لم يعتبره سبحانه فلم يتقن عبادته بحيث لايراه غيره تعالى واعتبر الناس فاتقن العبـادة بحيث يرونه وهو رياء محض مالم يكن انما اتقنهـا بين الناس بقصد تعليم كيفية الاتقـان للغير مع قصد وجه الله فى ذلك و كان فارغا عن الاشغـال فى المكان الذى يراه الناس فيتفرغ للاتقان واذا كان فى مكان خلوته اشتغل بنوع آخر من العبـادة كالعلم ونحوه اوالكد على عائلته (حد) يعنى روى الامام احمـد بن حنبل باسنـاده (عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف) اى اكثر خوفا مضافا الى (ما) اى خوفى الذى (اخاف عليكم الشرك) بالله تعالى (الاصغر) بالنسبة الى الشرك الاكبر الذى هو عبادة الاوثان ونحوه (قالوا) يعنى الصحـابة الحاضرين عنده عليه السلام (وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء) اى اداء العبادة لغير وجه الله تعالى بقصد ان يراه غيره فيحمده على ذلك (يقـول الله عز وجل) فى يوم القيامة للمرائين (اذا جزى الناس) اى ادى الجزاء اليهم (باعمالهم اذهبوا) ايها المراؤن (الى) الناس (الذين كنتم تراؤن) اى تعملون عبـادتى بحيث يرونكم (فى الدنيـا فانظروا هل تجدون عنـدهم جزاء) لكم على اعمـالكم لاجلهم ومعلوم انهم لايقدرون على جزائهم كما قال تعالى * يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا يوم لاتملك نفس لنفس شيئـا والامر يومئذ لله * فى هذا الصنع كمال التبرى منهم والتوبيخ لهم والتقريع عليهم (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده (عن جبلة اليحصبى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان المرائى) اى الذى يعمل العبادات ليراه الناس فيحمدونه على ذلك (ينادى) بالبناء للمفعول اى ينادبه الله تعالى وملك من الملائكة وينادبه المخلص فى عمله (يوم القيامة) على رؤس الاشهاد بين الخلائق (يافاجر) من الفجور وهو الامعان فى المعـاصى وفجر فسق و كذب وخالف كذا فى مختصر القاموس (ياغادر) من الغدر ضد الوفاء (ياكافر) من الكفر ضد الايمان اوالكفران ضد الشكر

Marfat.com

(ياخاسر) من الخسران وهو ضد الربح خسر كفرح وضرب خسرا وخسرانا (ضل) اى ضاع وذهب (عملك) الذى عملته فى الدنيا وقصدت به غير وجه الله تعالى (وحبط) اى بطل (اجرك) الذى ترجوه على عملك من الله تعالى (اذهب فخذ اجرك) على عملك (ممن كنت) فى الدنيا (تعمل) عبادة الله تعالى (له) اى لاجله من الناس رغبة فى مدحهم وحبا فى ثنائهم عليك (ز) يعنى روى البزاز باسناده (عن الضحاك رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا خير شريك) يعنى اكثر خيرا من شريك اشرك معى عبدى فى ملكى (فمن اشرك) اى جعل بزعمه ودعواه الباطلة اذ فى الحقيقة لاشريك له سبحانه (معى) فى تدبير شئ ما (شريكا) فاعتقد انه يؤثر فى نفع او ضر (فهو) اى ذلك المشرك منسوب يوم القيامة (لشريكى) على انه الهه يعبده (من دون الله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من حكاية قول الله تعالى (يا ايها الناس) اى المكلفون بامر الله تعالى ونهيه (اخلصوا اعمالكم) اى اجعلوها خالصة لوجه الله تعالى ولا تعملوها لاجل غيره سبحانه (فان الله تعالى لا يقبل من الاعمال) التى يعملها العبد (الا ما خلص له) سبحانه وتعالى اى عمل لاجله تعالى بلا قصد مخلوق اصلا (ولا تقولوا هذا) اى فعل الصدقة على الاقارب او الصلة لهم بنحو تحية وسلام وهدية وكلام (لله) تعالى اى تقربا اليه سبحانه (وللرحم) اى القرابة ايضا (فانها) اى تلك الصدقة والصلة انما هى (للرحم) فقط (وليس لله) تعالى (منها شئ) اذ وقع الشركة فيها بين ارادة وجه الله تعالى وارادة صلة الرحم لاجل المخلوق فلا اخلاص فى ذلك لله تعالى (ولا تقولوا هذا الفعل الجميل من الطاعة) لله تعالى (لوجوهكم) وجه القوم كبيرهم والمعنى لمراعاة خواطر بعضكم (فانها) اى الطاعة التى تتم بها (لوجوهكم) اى لاجل اكابركم (وليس لله) تعالى (فيها) اى فى تلك الطاعة (شئ) لشركة غيره معه سبحانه فيها وفى الرعاية للامام المحاسبى رحمه الله تعالى قال الرياء على وجهين احدهما اعظم واشد والآخر هو اهون وايسر وكلاهما رياء فاما الوجه الذى هو اشد الرياء واعظمه فارادة العبد العباد بطاعة الله لا يريد الله بذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ان لا تعمل بطاعة الله تريد الناس وكما قال فى الثلاثة الذين قال الله عز وجل لهم انما اردتم ان يقال وهم المقتولون فى سبيل الله والقارئ للقرآن والمتصدق بمال فقال انهم ارادوا العباد ولم يذكر انهم ارادوا الله عز وجل مع ارادتهم لخلقه وذلك عند الله عظيم وقال ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الثلاثة وخط على فخذ ابى هريرة وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم جهنم يوم القيمة فذلك اعظم الرياء عند الله عز وجل وروى شداد بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف

Marfat.com

على امتى الرياء وروى عنه ايضا انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت مايبكيك يارسول الله قال امر تخوفته على امتى الشرك اما انهم لايعبدون صنما ولاشمسا ولاقمرا ولاحجرا ولاوثنا ولكن يراؤن باعمالهم فكان اخوف ما خاف عليهم صلى الله عليه وسلم الرياء واما الوجه الآخر الذى هو ادناه وايسره فارادة العباد بطاعة الله عزوجل وارادة ثواب الله يجتمع فى القلب الارادتان ارادة المخلوقين وارادة ثواب الخالق فهو ادنى الرياء وهو الشرك بالارادة فى العمل لان الاول اراد الناس بعمله لم يرد الله عز وجل وهذا اراد الله عزوجل والناس بعمله فاشرك فى عمله بطلب محمدة الناس وطلب حمد الله عزوجل وكذلك روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فانا منه برئ وهو للذى اشركه وقال طاووس ومكحول ومجاهد وعبدالكريم بن ابى المخارق ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يحب ان يتصدق ويحب ان يؤجل ويحمد وقال بعضهم الرجل يقاتل ليؤجر ويحمد فلم يرد عليه صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية* فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا* فانزلها الله عز وجل جوابا لقول السائل اذا سأل عمن اراد الله واراد حمد المخلوقين وروى القاسم بن مخيمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايقبل الله عزوجل عملا فيه مثقال حبة من خردل من رياء وقال عمر رضى الله عنه لمعاذ بن جبل ورآه يبكى ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر سمعته يقول ان ادنى الرياء شرك وحديث يروى ان ايسر الرياء شرك وقال ابن ابى مغيث او غيره سعيد بن المسيب قال احمد نا يصطنع المعروف يحب ان يؤجر ويحمد فقال له ابن المسيب اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عز وجل عملا فاخلصه وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفى فى سبيل الله اريد وجه الله عزوجل ومحمدة المؤمنين قال لاشئ لك حتى سأله ثلاث مرات كل ذلك يقول له لاشئ لك ثم قال له فى الثالثة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل لى عملا فاشرك فيه معى شريكا تركت نصيبى لشريكى وذكر الله عزوجل قول من رضى عنه من المؤمنين لا نريد منكم جزاء ولاشكورا فنفوا عن قلوبهم ان يريدوا الله عزوجل وخلقه وقال الضحاك لا يقول احدكم هذا لله ولوجهك ولا يقول هذا لله وللرحم فان الله عز وجل لاشريك له وضرب عمر رضى الله عنه رجلا بالدرة ثم قال له اقتص قال لابل ادعها لله ولك فقال عمر ماصنعت شيئا اما ان تدعها لى فاعرف ذلك واما ان تدعها لله وحده فقال تركتها لله وحده قال فنعم اذا فدلت هذه الآثار على ان اعظم الرياء ارادة العباد بطاعة الله وان ادناه ارادة المخلوقين وارادة

Marfat.com

ثواب الله عز وجل فتعالى الله عما يشركون (والآيات) القرآنية (والاحاديث) النبوية (فى ذم الرياء) بنوعيه الاعلى والادنى (كثيرة جدا لاحاجة) لنا (الى ذكرها جميعا) اى جميعها فالتنوين عوض عن المضاف اليه (ههنا) اى فى هذا الكتاب (وفيما ذكرنا) فى هذا المحل من ذلك (كفاية) اى مايكفى (المسلم العاقل) المقبل على آخرته واصلاح حاله (بل العاقل) بمجرده (يهتدى) اى يتوصل (اليه) اى الى ذم الرياء تأكيدا للذم الوارد فى الشرع وتأييدا له (بقليل التفات) اى نظر وتأمل منه فى ذم الرياء (اذ) اى لان (معنى الرياء) فى الشرع (جعل) العبد المكلف (عبادة الله) تعالى الواجبة عليه والمندوبة له فعلا وتركا (الموضوعة) شرعا (لتعظيمه) اى الله تعالى (والتقرب اليه) سبحانه (وسيلة) مفعول الجعل اى موصلة (الى غيرهما) اى غير التعظيم والتقرب من الاغراض النفسانية والحظوظ الشهوانية (وفيه) اى فى ذلك الجعل المذكور (قلب الموضوع) فى الشرع لعبادة الله تعالى (وعكس المشروع) اى المبين فى ملة الاسلام (وتلبيس) اى تغطية وايهام على الغير (باعلام الناس انه يقصد بالعبادة) التى يفعلها (تعظيم الله) تعالى (والقربة اليه) سبحانه (مع انه) فى حقيقة الامر (ليس) حاله (كذلك بل) انما (يقصد بها) اى بعبادة الله تعالى (التقرب اليهم) اى الى الناس (والتحبب اليهم) اى ليحبوه ويعظموه وينال منهم غرضه من الدنيا والجاه والرياسة (ولو) ان الناس (علموا نيته) اى قصده من عبادة الله تعالى (لمقتوه) اى ابغضوه ونفروا منه (وهجروه) وربما علموا بذلك فى زماننا هذا فى بعض الاشخاص ممن يواظب على العبادة والطاعة بقصدهم ويمقتونه ويهجرونه او البعض منهم ولا يعلم السبب فى ذلك ونحن نجد الآن فى بلادنا دمشق الشام بار الرجل الصالح الولى يقدم علينا وهو ظاهر الصلاح حسن السيرة والسريرة فربما يخرج للقائه غالب الناس ممن يعتقد الصالحين والاولياء ويعظمونه ويتبركون به ويقبلون عليه ويهدون اليه الهدايا العظيمة ويحتفلون به فى مدة قليلة او كثيرة فيرى نفسه على خلاف ما كان عليه من قبل ذلك اذ غالب القادمين لم يكونوا من اهل النعم ولا ممن تبسط فى المعيشة فيعجبه اقبال الناس عليه واحتفالهم به فيركن الى ذلك ويميل قلبه فيفسد عليه حاله الذى كان فيه ويتبدل حسن نيته وقصده بضد ذلك فتتركه الناس ويعرضون عنه لرؤيتهم اياه بخلاف حالته الاولى وعلى النقيض من صلاح قلبه اما باحساس يلقيه الله تعالى فى قلوبهم او برؤية بعض العلامات فى الظاهر فربما يغضب على الناس ويقول اهل هذه البلاد لا حقيقة عندهم ولا تمام مودة فيهم ولا يحفظون العهد لاحد وربما قال ذلك غيرة لما رآه من اعراضهم عنه بعد اقبالهم الكثير عليه وليس الامر كذلك وانما لو راجع ذلك الرجل نفسه وانصف اوجد قلبه تغير فغير الله تعالى عليه قلوب الناس وهذه محنة شديدة للقادمين على بلادنا من الصالحين وفتنة كبيرة لهم وكم رأينا من صالح فسد حاله

Marfat.com

فى اقل من قليل بالسبب المذكور ومن ذلك ماهوواقع الآن من علماء زماننا انهم يتعاون العلم الظاهر ويبالغون فى ادراك ابحاثه وتحقيق مسائله وتحصيل كتبه ثم يسافرون الى بلاد السلطان يقصدون بذلك تحصيل الوظائف واخذ المدارس وربما يعاكس الله تعالى عليهم الامور فلا يوصلهم الى اغراضهم من ذلك فيذمون حاشية السلطان ويقدحون فى ولاة الامور ويقولون عنهم انهم لا يحبون العلماء ولا يعظمون الصلحاء ويقولون لا يروج فى هذا الزمان الا الدرهم والدينار وان العلم غير معتبر والدين محتقروهم فى حقيقة الامر انما طردوهم ولم يعتبروهم لسوء ما جاؤا به من قصد غير وجه الله تعالى بعلومهم التى هى من اشرف العبادات واكمل الطاعات وربما صرحوا بذلك فقالوا اننا ما تغربنا وتركنا اوطاننا وسافرنا الى بلاد الغير الا لقصد اخذ الوظيفة الفلانية والمدرسة الفلانية بعلمنا ونحن العلماء والمحققون ولم يعتبرونا ولا التفتوا الينا وحرمونا من قصدنا ومرادنا ونحن لاى شئ تعلمنا العلم فالتجارة اولى بنا حينئذ وجزى الله تعالى كل خير لمن كان سببا لحرمان امثال هؤلاء العلماء صورة الفسقة حقيقة الذين جعلوا علومهم مصيدة للحكام وشبكة لاقتناص الحلال والحرام ولا اثاب الله تعالى من سعى لهم فى اعطاء وظيفة او تولية او مدرسة وسلطهم على اضلال الامة بتعليم الناس علوم القال والقيل من غير عمل ولا نية صالحة وتعليم الناس بحالهم وافهامهم الغرور والتكبر والحسد والبغض والحقد والتعصب وتأسيس الغفلة فى قلوب العوام وتأكيدها وازالة الخشوع من القلوب ورؤية الغير حقيرا ذليلا بسبب ما هم فيه من الحيل المسومة والبيوت المزخرفة والخدم والحشم وهذا فى زماننا كثير فى كل بلاد وربما تعودت طلبتهم وتلامذتهم السير على سيرهم ليصلوا الى ما وصلوهم اليه فتسلسل فسادهم فى الجيل بعد الجيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (والله) سبحانه وتعالى (عالم بها) اى بنيتهم وقصدهم (فهو) سبحانه (بالمقت) اى البغض والغضب لذلك المرائى (اولى) من مقت الناس العالمين بذلك باعلام الله تعالى لهم ببعض العلامات وان كان الذى ينبغى للناس حمل مثل هؤلاء على المحامل الحسنة وعدم مقتهم ولكن لما كثر منهم عدم حمل الناس الا على السوء وعدم التأويل لفهم سوء من قول احد وفعله سلط الله تعالى عليهم الناس يعاملونهم بجنس ما هم فيه مما يعاملون الناس به والامر كله لله (وفيه) اى فى الجعل المذكور الذى هو معنى الرياء (استهانة) اى تحقير واذلال وازدراء (بالله) تعالى حيث لم يجدوا الله تعالى اهلا لاخلاص العبادة له سبحانه دون قصد غيره بها فكأنما غيره يدفع او ضرر مع ايمانهم بان النافع الضار هو الله تعالى وحده (العياذ بالله تعالى منها) اى من تلك الاستهانة المذكورة (واقل ما فى الرياء) من القبائح (انه صورة تلبيس) وتزوير على الناس (وعبادة لغير الله) تعالى بمنزلة الشرك معه سبحانه فى الالوهية (فهذا) المعنى المذكور (كاف فى التحريم) اى لو لم يكن فى الرياء غيره لكان يكفى

Marfat.com

فى ثبوت حرمة الرياء فان التلبس من المؤمن على غيره فيح جدا وناهيك بقبح الشرك بالله تعالى وخباثته شرعا وعقلا (فلذا حرم) اى الرياء (كله) اى بجميع انواعه (وان تفاوت آحاده) اى وقع الفرق بين اقسامه (فى غلظة التحريم وخفته) اى التحريم على ما سبق فى المبحث الخامس فى بيان احكام الرياء (فغائلة الرياء) اى مفسدته وضرره (استحقاق العذاب الاليم) اى الموجع فى الآخرة من الله تعالى ولم يقطع بالعذاب وانما قال استحقاقه لاحتمال العفو عنه فان اصحاب الكبائر عذابهم غير مقطوع بوقوعه عند اهل السنة وانما هم مرجون الى امر الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ما عدا الكفر كما قال تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وقد سبق هذا فى فصل الاعتقاد (وابطال العمل) فى الدنيا (او نقصه اجره) اى ثوابه على ما تقدم بيانه فى المبحث الخامس (واما سبب الاخلاص الذى هو ضد الرياء) اى المعنى الموصل الى حصوله (فالايمان) بالله تعالى انه هو الخالق الرازق المحيى المميت النافع الضار وحده لا شريك له (ووجوبه) اى الايمان او الاخلاص فان اعتقاد الوجوب سبب حصول الاخلاص حيث انه لا محيص للمكلف عنه فى كل عمل (وتوقف قبول كل عمل عليه) اى على الاخلاص عند الله تعالى لانه التقوى القلبية كما قال الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين (واما فوائده) اى الاخلاص فمنها موافقة كيفية امر الله تعالى له فى جميع العبادات (فقد قال الله تعالى وما امروا) اى المكلفون من بنى آدم (الا ليعبدوا الله) فى جميع انواع عبادا تهم التى كلفوا بها فى الشرع (مخلصين) فى تلك العبادات (له) سبحانه وتعالى وحده لا لغيره (الدين) اى الانقياد والامتثال بان يكون انقيادهم له تعالى وامتثالهم لامره ونهيه من اجله سبحانه وتعالى لا من اجله ومن اجل غيره او من اجل غيره فقط وان كان نفس العبادة له تعالى لا لغيره ومنها ان الانقياد الخالص والامتثال المقصود منه وجه الله تعالى لا غير فى كل عبادة فعلية او تركية كالصلاة وترك شرب الخمر لا يكون الا لله تعالى وحده دون غيره كما قال تعالى (الا لله) اى لا لغيره (الدين) اى الانقياد فى كل طاعة (الخالص) من شائبة قصد الغير ومنها حصول رضوان الله تعالى (حب حك) يعنى روى ابن حبان والحاكم باسنادهما (عن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الدنيا) اى مات (على الاخلاص) فى جميع اعماله الظاهرة والباطنة (لله) تعالى (وحده لا شريك له واقام الصلاة) اى اتى بها مستقيمة بجميع كمالاتها (وآتى الزكاة) على وجه الاخلاص فى ذلك كله وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر دون الصوم والحج وغيرهما من العبادات مع دخول ذلك فى مقتضى ذكر الاخلاص اذ لا اخلاص الا فى عمل اهتماما بالصلاة المتكررة فى كل يوم وليلة وبالزكاة التى هى مالية محضة فتشق على النفوس اكثر من الحج اذ يمكن فى الحج قضاء غرض نفسانى كالتجارة والنزهة فيخف على النفس

Marfat.com

دون الزكاة فانها ثقيلة وان فسر الاخلاص بالايمان اقتضى نفى شركة الغير فى العبادات ايضا (فارقها) اى الدنيا يعنى مات (والله تعالى عنه راض) ومن رضى الله عنه عفى عنه وادخله الجنة (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال حين بعث) بالبناء للمفعول اى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم حاكما (الى) بلاد (اليمن يارسول الله اوصنى) اى اذكر لى وصية احفظها عنك واعمل بها (قال) له النبى صلى الله عليه وسلم (اخلص دينك) اى انقيادك وامتثالك لاوامر الله تعالى ونواهيه فلا تعمل عملا الا لوجه الله تعالى لا لغيره (يكفيك) فى حصول الزلفى لديه سبحانه ورفع درجتك عنده (العمل القليل) ولا تحتاج مع ذلك الاخلاص الى كثرة عمل (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ثوبان) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طوبى) بالضم فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا تقل طوبيك بالياء وطوبى اسم شجرة فى الجنة كذا فى الصحاح وفى الاتقان للاسيوطى اخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال طوبى اسم الجنة بالحبشية واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال بالهندية (للمخلصين) فى طاعة الله تعالى (أولئك مصابيح) جمع مصباح وهو شعلة القنديل (الهدى) ضد الضلال وهم العلماء العاملون بعلومهم يهدون الامة باقوالهم وافعالهم الى رضوان الله تعالى وغير المخلصين بخلاف ذلك فهم دعاة الضلال يوصلون الامة باقوالهم وافعالهم الى غضب الله تعالى وسخطه لعدم عملهم بعلمهم فتراهم يعلمون الحق ولا يعملونه به ويعلمون الحرام ويفعلونه ويدعون الناس الى الاقتداء بهم والى اتباع آرائهم المستخلصة من عصارات الافكار الدنسة بمخالفة امر الله تعالى ونهيه فهم الائمة الضالون المضلون فالويل كل الويل على من وافقهم والو فى امر مشروع فانهم لا يفعلونه على وجهه المشروع لعدم الاخلاص والكمال كل الكمال لمن وافق العلماء العاملين المخلصين فانهم انوار الله تعالى فى ارضه لنفع خلقه (يتجلى) اى ينكشف (عنهم كل فتنة) اى محنة وبلية (ظلماء) اى مظلمة فكلما اظلمت ليالى الفتن والمحن فى الناس اشرقت انوارهم وتلألأت شموسهم واقمارهم حفظوا الله تعالى فى ارخاء فحفظهم فى الشدة وكانوا له مراقبين على كل حال فالعناية الالهية تحفهم وتشملهم وغيرهم ممن لم يعمل بعلمه من علماء القيل والقال تستهويهم الفتن وتوقعهم فى الشكوك والاوهام وتستولى عليهم المحن والبلايا فلا تتسع لها صدورهم فيبقون فى الهموم والغموم والتسخط على الله تعالى والغضب من الله تعالى عليهم والمكالبة على الدنيا والتحاسد فيها والتباغض والغرور والغفلة وكل خلق سوء فهم اضر الناس على الامة (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ابى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا) فى حقيقتها

Marfat.com

قولان للمتكلمين احدهما ماعلى الارض مع الهواء والجو والثاني كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووي هو الاظهر ذكره العيني في شرح البخاري ولعل المراد بالدنيا هنا جوف فلك القمر فقط مع العناصر الأربعة الارض والماء والهواء والنار بقرينة قوله بعده مافيها (ملعونة) اى مطرودة عن مشابهة الله تعالى وكذلك كل شئ لقوله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ فتدخل الآخرة كذلك ولكن لما كانت الآخرة غير ساترة اوجه الله تعالى الذى كل شئ هالك الاهو لم تكن ملعونة والدنيا سترت وجه الحق تعالى بها وبما فيها فهى ملعونة هى ومافيها ثم قال عليه السلام (ملعون مافيها) اى ماعلى وجه الارض وفى الماء والهواء والنار من المواليد لعدم مشابهة شئ منها لله تعالى فهى مبعودة عنه تعالى لاسترساله وايقاع القاصرين فى الشرك مع الله تعالى والتشبيه له والتجسيم والحكم عليه سبحانه بما هو حكم عليها من نسبة المكان والزمان والجهات والصور والكيفيات كل ذلك صدر من طرف الدنيا فى حق اهل الغفلة عنه سبحانه وتعالى وكيف لاتكون الدنيا ملعونة ملعون مافيها وما القى الناس فى الكفر والشرك والضلال والزيغ والمعاصى والمخالفات والبدع الا الدنيا ومافيها مما تولد منها (الاما) اى الشئ الذى (ابتغى) بالبناء للمفعول اى طلب وقصد (به) اى بسببه او بمصاحبته (وجه الله) تعالى القديم الذى قال سبحانه كل شئ هالك الاوجهه فان كل شئ طلب به وقصد تحقيق معرفة الوجه الالهى فانه وان كان من جملة الدنيا ولكنه غير ملعون لعدم ايصاله الى شئ من المفاسد المذكورة وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه شرح الوصية اليوسفية واعلم ان الدنيا نعمت مطية المؤمن العارف عليها يبلغ الخير كله وبها ينجو من الشر كله وهى من جملة مااختبر الله تعالى بها عباده المدعين فمن تعشق بوجه الحق منها فيه وقبلها على حد ماأعلمناه فقد فاز فوزا عظيما فازبه خاصة اهل الله ومن تعشق بها من غير رؤية ذلك الوجه خيف عليه ان يترك معها وكذلك الكون كله اذاعرض عليك الدنيا والآخرة ومحموده ومذمومه فمامن صورة تظهر فى العالم محسوسة اومتخيلة بالخيال المتصل والمنفصل اومعلومة الاولها روح هو حياة تلك الصورة وذلك الروح هو المعبر عنه بوجه الحق منها وليس الغرض الاالعلم بذلك الوجه دنيا وآخرة وحسا وعلما وخيالا وقال الكلاباذى فى شرح الآثار عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاماكان منها لله عزوجل يجوز ان يكون معنى الدنيا فى هذا الحديث ملاذ النفوس وشهواتها وجمع حطامها وزهرتها وماذكر الله عزوجل فى قوله * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث * وحب البقاء فيها فتكون هذه الاشياء هى الملعونة اذكانت للنفوس وشهواتها ولذة الطبع

Marfat.com

والتلهى بهـا والشغل فيها والحب لهـا ولم تكن لله تعالى ولافيـه لان الدنيا فى الحقيقة هى الحياة الاولى التى يليهـا الموت والفناء والآخرة هى الحياة البـاقية التى ليس لها زوال ولافناء فيجوز ان يكون معنى قوله الدنيـا ملعونة اى متروكة مرفوضة ومافيها اى ما فى الحياة الاولى من هـذه الشهوات والملاذ والحطـام وماذكر فى الحديث معلون اى متروك يجب تركها ورفضها والاعراض عنها فان الله تعالى على هذا حث واليه ندب وفيه رغب وعنها زهد فقال *انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء *وقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو وقال فلاتغرنكم الحياة الدنيا وقال ليباوكم ايكم احسن عملا *روى عن ابن عباس ايكم احسن للدنيا تركا وعنهـا اعراضا الاماكان منها لله وهو ماكان عدة للطـاعة لله وعونا على اقامة ماامر الله به ويجوز ان يكون معـنى متروكة اى هى متروكة الانبيـاء والاولياء والافاضل من الناس فانهم تركوها ورفضوها واعرضوا عنهـا فقد قال النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم ان لهم الدنيا ولنـا الآخرة ومالنا والدنيا ومامثلى ومثل الدنيـا الامثل راكب نزل تحت شجرة ثم سار وتركها (هق حك) يعنى روى البيهقى والحاكم باسنادهما

(عن ابى ذر) الغفارى (رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم قال قد افلح) اى اصاب الفلاح وهو الفوز والنجاة والبقاء فى الخير (من اخلص قلبه) اى فرغه عن كل مافى الدنيا والآخرة (الايمان) بالله تعالى اى التصديق به والاذعان والانقيـاد اليه بالكلية (وجعل قلبه) بالتكلف اولا حتى يزول التكلف ويبقى ذلك سهلا عليه (سليمـا) من الحسد والحقد والبغض والغرور والغفـلة والامن من الله تعالى واليأس من رحمته وظن السوء به اوباحد من الناس (و) جعل (لسانه صادقا) فلا يحدث بكذب اصلا (و) جعل (نفسه مطمئنة) اى ساكنة غير مضطربة بوعد الله تعالى وبجزيل ثوابه من غير شك عندها ولاتردد فى حكم من احكام الله تعالى اصلا (و) جعل (خليقته) اى طبيعته وعادته (مستقيمة) على صراط الله المستقيم من غير اعوجاج ولاميل مع الهوى اصلا (و) جعل (اذنه مستمعة) للقول الحق من كل من قاله كائنا من كان كماروى عن على رضى الله عنه انه كان يقول انا نعرف الرجال بالحق لانعرف الحق بالرجال ومن كلام بعضهم اسمع لمـا قال ولا تسمع لمن قال (و) جعل (عينه ناظرة) الى آيات الله تعـالى التى فى الآفاق وفى الانفس لاتنظر الانظر الاعتبار فى كل شئ (فاما الاذن فقمع) بكسر القـاف وفتح الميم وهو الذى يصب فيه الدهن ويجوز فيه كسر القاف وسكون الميم ذكره الفارابى فى ديوان الادب وقال ابن فارس فى المجمل القمع معروف يقال قمع وقمع وفى الحديث ويل لاقماع القول وهم الذى يستمعون القول ولايعون فتكون آذانهم كالاقماع التى لايبقى فيها شئ انتهى فمعنى كون الاذن قمعا انها فارغة تقبل ارتعى كل شئ يلقى اليهـا من الغير من شر

Marfat.com

اوخير (والعين مقرة) اى معترفة مصرحة (بما يوعى القلب) اى يحفظ ويجمع من الخير والشر (وقد افلح) اى فاز بالسعادة الابدية والدولة السرمدية (من جعل قلبه واعيا) اى حافظا مراقبا لجناب الحق تعالى (ففائدة الاخلاص) المستفادة من هذه الاخبار امور (رضاء الله تعالى) عن العبد المخلص (وقبول العمل) منه (والنجاة) من كل هول (والفلاح) اى الفوز (يوم القيامة) وكذلك الحماية من الشيطان فى الدنيا كما قال تعالى حاكيا عنه *لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين* وغير ذلك من الفوائد العظيمة والنتايج الجسيمة (فاذا تمهد) اى تقرر وتحرر لك (هذا) الكلام فى بيان اسباب الرياء وغوائله واسباب ضده الذى هو الاخلاص وفوائده (فعلاج) اى مداواة مرض (الرياء) يكون (على ضربين) اى قسمين القسم الاول (قطع عروقه) اى الرياء كناية عن ازالة اطرافه وجوانبه (واستيصال) اى استقصاء (اصوله) بالقطع بحيث لا يبقى له اصل ولا فرع بالكلية (وذلك) القطع والاستيصال يكون (بازالة اسبابه) اى الرياء المذكورة فيما تقدم (وتحصيل ضده) وهو الاخلاص (وصن اسبابه) ى اسباب الرياء المتقدم ذكرها (حب الدنيا) فان من احب شيئا سعى فى اسباب تحصيله فاذا وجد عمل العبادة من جملة اسباب تحصيله توصل بذلك الى تحصيله (و) حب (اللذة) اى الشهوة (العاجلة) بحيث يستملكه الميل اليها فلا يجد له محيصا عن التوجه الى اسباب تحصيلها (وترجيحها) اى الدنيا (على الآخرة) من جهة انها حاضرة والآخرة غائبة والنفس مشغوفة بحب العاجل (فهذا) الصنيع من العبد المكلف (غاية الحماقة) اى قلة العقل (ونهاية البلادة) اى الغفلة وعدم انشاط (فان الدنيا كدرة) من الكدر ضد الصفا وذلك لما هو ممزوج فيها من الخير والشر والنفع والضر والالم واللذة والفرح والحزن والعز والذل والموت والحياة الى غير ذلك مما يعترى الخلق ولا يبقى وكل واحد من هذه المتقابلات يكدر صفو الآخر حتى يزيله ويرفعه ثم يزول هو بضده من اول حياة العبد الى مماته سواء كان العبد ملكا او غيره غنيا او فقيرا كبيرا او صغيرا (سريعة الزوال) اى الانقضاء والاضمحلال فليس فيها شئ يبقى اصلا (والآخرة صافية) فاهل الجنة فى نعيم فقط لا يكدرهم شئ ولا يمتزج عليهم حالهم بضده. واهل النار فى عذاب دائم لا يشوبه نعيم اصلا فلا مزج عليهم ايضا (باقية) لا زوال لنعيمها ولا لعذابها (والخلق) المكلفون وغيرهم (كلهم عاجزون) عن التأثير فى كل شئ (لا يقدرون على) التأثير فى (شئ) اصلا وان كانت افعالهم الاختيارية منسوبة اليهم شرعا فهى كنسبة اعضائهم اليهم (ولا يملكون) لانفسهم ولا لغيرهم (نفعا ولا ضرا) بل النافع الضار هو الله تعالى وحده بهم وبغيرهم لهم ولغيرهم (فعليك ايها العاقل) اى الواجب عليك (ان تقنع) اى تكتفى (بعلم الله) تعالى (عبادتك) اى اطلاعه عليها (وتطلب) مع ذلك

Marfat.com

(عـلم غيره) تعالى بهـا من سائر المخلوقين فانه لافائدة لذلك فان المخلوق لاينفع ولايضر والله تعالى هو النافع الضار والعاقل لايطلب الاعلم النافع الضار واطلاعه عليه دون علم العاجز الحقير الذى لاقدرة له على نفع ولاضر فان اطلاعه لايجدى شيئا قال الله تعالى (اليس الله بكاف عبده) ايجادا وامدادا ولايحسن بالمولى ايكال عبده الى غيره مالم يتكل العبد بنفسه فيكون مغضبا لمولاه متعرضا اطرده وهو العبد الآبق عن باب مولاه (و) عليك ايها العاقل ايضا (ان تذكر وتكرر على قلبك) بتأمل وتفهم (غوائل الرياء) اى آفاته ومفاسده (وفوائد الاخلاص المذكورتين) اى الغوائل والفوائد (والعـلاج) اى المداواة للرياء (العملى) اى المنسوب الى العمل فى مقابلة ماذكر من العلاج القلبى بمجاهدة النفس فى استحضار المعانى المذكورة (اخفاء العمل) بحيث لايراه احد (واغلاق الباب) كباب خلوته او بيته حتى ينقطع عن مخالطة الناس بالكلية فلايمكن احدا التوصل الى الاجتماع به (الامالزم اظهاره) كالصلاة مع الجماعة وحضور الجمعة والعيدين والحج ونحو ذلك (والضرب) اى القسم (الثانى) من علاج الرياء (دفع مايخطر) فى باله (من الرياء فى الحال) قبل ان يشيع الخاطر فى النفس فيصعب عليه رفعه باستحكامه (ودفع مايمرض منه) اى من خاطر الرياء (فى اثناء العبادة) كالصلاة ونحوها (فعليك) ايها العاقل (فى اول كل عبادة) اى طاعة لله تعالى امتثالا كانت او اجتنابا (ان تفتش قلبك) لتكون فى تلك العبادة على حالة حسنة (وتخرج عنه) اى عن قلبك (خواطر الرياء) بالكلية (وتقرره) اى القلب بمعنى تثبته من القرار وهو الثبات (على الاخلاص) لله تعالى فى تلك العبادة (وتعزم عليه) اى على الاخلاص من غير تردد منك فيه من اول تلك العبادة (الى ان تتم) اى تفرغ تلك العبادة وفى كتاب الاشباه والنظائر قال ومن الغريب مافى المجتبى ولابد من نية العبادة وهى التذلل والخضوع على ابلغ الوجوه ونية الطاعة وهى فعل ماارادالله تعالى منه ونية القربة وهى طلب الثواب بالمشقة فى فعلها وينوى انه يفعلها مصلحة له فى دينه بان تكون اقرب الى ماوجب عنده من الفعل واداء الامانة وابعد عما حرم عليه من الظلم وكفران النعمة ثم هذه النيات من اول الصلاة الى آخرها خصوصا عند الانتقال من ركن الى ركن ولابد من نية العبادة فى كل ركن والنفل كالفرض فيها الافى وجه وهو ان ينوى فى النوافل انها لطف فى الفرائض وتسهيل لها انتهى وهذه النيات هى الاخلاص من اول العبادة الى آخرها (لكن الشيطان) المقارن لك (لايتركك) بلا وسواس يفسد به عليك عملك لانه عدو مبين (بل يعارضك) كلما قصدت خواطر الاخلاص (بخطرات الرياء) فى قلبك (وهى) اى خواطر الرياء (ثلاثة) خواطر (مرتبة) واحدا بعد واحد على الترتيب المذكور هنا الخاطر الاول (العلم) اى علمك (باطلاع الخلق على العمل) الذى تعمله (اورجاؤه)

Marfat.com

اى رجاؤك اطلاع الخلق عليك (ثم) الخاطر الثانى (الرغبة) اى رغبتك (فى حمدهم) اى مدحهم لك (و) فى (حصول المنزلة) العالية لك (عندهم) بحيث يشيرون اليك بالانامل ويراجعونك فى مهماتهم (ثم) الخاطر الثالث (قبول النفس) اى نفسك (له) اى للرياء بسبب مافيه من لذة اطلاع الخلق والمدح وحصول المنزلة (والركون) اى الاعتماد بالقلب (اليه) بحيث لايكاد يفارقه ولاينفك عنه (وعقد) اى ربط (الضمير) اى القلب (على تحقيقه) اى اثبات حقيقته فى النفس (وعليك) ياايها العاقل (ردكل منها) اى من هذه الخواطر الثلاثة (اما) ردالخاطر (الاول فبأن قال) من خطرله هذا الخاطر الاول (ما) يعنى اى شئ (لك وللخلق) يعنى اى نفع يحصل لك منهم واى ضرر يندفع عنك بهم والنافع والضار هو الله تعالى وحده (علموا) اى الخلق بما انت فيه من الطاعة لله تعالى (اولم يعلموا) بذلك (ان الله) تعالى (عالم بحالك) كيف ما كنت وهو الخالق لكل شئ لاخالق سواه (فاى فائدة) تحصل لك (فى علم غيره) بحالك وكل احد غيره سبحانه عاجز لايقدر على شئ وهو تعالى القادر على كل شئ (واما) ردالخاطر (الثانى فبتذكر آفات) اى مفاسد (الرياء) المتقدم ذكرها (و) تذكر (تعرضه) اى تعرض العبد بسبب ذلك (لمقت) اى بغض (الله تعالى) له (فيثير) اى يهيج ذلك التذكر فى قلب العبد (كراهية للرياء) اى نفرة منه (فى مقابلة الرغبة) منه فيه (تدعو) تلك الكراهية (الى الاباء) اى الامتناع منه (فى مقابلة القبول) له وهو الخاطر الثالث فيندفع الخاطر الثالث بما اندفع به الخاطر الثانى (والنفس) من عادتها (لامحالة) انها دائما (تطاوع اقوى) الشيئين (المتقابلين) فى الخير والشر فمتى تقوى عندها خاطر الخير اطاعته اوتقوى خاطر الشر اطاعته (فلابد من خواطر الرياء) الثلثة المذكورة (من ثلاثة امور) كل امر فى مقابلة خاطر (المعرفة) بان الله تعالى عالم بحاله فى مقابلة العلم باطلاع الخلق (والكراهية) لمدحهم فى مقابلة الرغبة فى ذلك (والاباء) عن قبول الرياء فى مقابلة قبول النفس له (وقد يشرع العبد) المؤمن (فى) فعل (العبادة على عزم الاخلاص) لله تعالى من غير قصد شئ مما سواه (ثم يرد) على قلبه (خاطر الرياء فيقبله) ورودا (بغتة) اى على حين غفلة (ولاحضره) فى ذلك الوقت (واحد من وجود رد) الثلاثة المذكورة (بسبب امتلاء القلب) قبل ذلك (بحب الحمد) من الناس له (وخوف الذم) منهم (واستيلاء الحرص) فى حب الدنيا (عليه فتعزب) اى تبعد وتغيب حينئذ (عن القلب آفات) اى مفاسد (الرياء) المتقدم ذكرها (فينساها) ولايتذكر شيئا منها حتى يكون رادعا له عن الرياء (فلم تظهر) منه (الكراهية) للرياء التى هى احد اسباب الردع المذكورة (لانها) اى الكراهية (ثمرة المعرفة) بان الله تعالى عالم بحاله فهو مكتف بعلم الله وحده (وقد يتذكر) آفات الرياء (فيعلم ان) الخاطر (الذى خطرله) بسبب حب الحمد وخوف الذم واستيلاء

Marfat.com

الحرص عليه هو (خاطر الرياء وانه) اى خاطر الرياء (يعرضه) بالتشديد اى يجعله عرضة اى معروضا (ليسخط فعله) تعالى وغضبه (ولكن لايحصل) له (الكراهية) للرياء ايضا (لشدة شهوته) لشئ من الدنيا (فيغلب هواه عقله) اى يصير هواه غالبا على عقله (ولايقدر على ترك لذة الحال) اى الحاضرة فى ذلك الوقت (فيستلذ بالشهوة) التى عرضت له فى وقته ذلك وهى لذة محرمة (فيسوف) اى يمطل بالتوبة منها ولا يقلع عنها فى الحال من استحكام سلطانها على قلبه (او يتشاغل عن الفكر فى ذلك) اى فى شئ من آفات الرياء (لشدة) استيلاء (الشهوة) عليه فيدخل الرياء فى اعماله فى كل ذلك وهو لايشعر به (فكم من عالم) بكثير من العلوم مشهور بها عند الخاص والعام لم يكن مهذب النفس بالرياضة الشرعية سالكا مسالك السادة الائمة الصوفية المتصفين بالاخلاق المحمدية المتباعدين عن الاخلاق الشيطانية والبهيمية يحضره) اى يخطر له فى نفسه (كلام) فيقوله فى مجلس علمه بين الناس او على كرسى وعظه ويكون (لايدعو الى قوله) اى قول ذلك الرجل فى ذلك الموضع (الا الرياء) ليقال عنه انه عالم محقق او عامل بعلمه او صالح زاهد متعفف او نحو ذلك (وهو يعلم ذلك) اى ان قصده الرياء بقوله (ولكنه يستمر عليه) مصرا مستكبرا فى نفسه عن تركه (ولايكرهه) اصلا كما قال الشيخ العارف الكامل ابو الحسن الشاذلى قدس الله سره من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر انتهى ولاشك ان الرياء من جملة الكبائر فاى عالم من العلماء مات ولم يتوغل فى علوم الصوفية بحيث يعرفها ويسلك فيها بنفسه على منهج الاستقامة مات وهو مصر على الكبائر من رياء وحسد وتكبر وعجب ومكر وخديعة وغير ذلك (فتكون الحجة) اى حجة الله تعالى يوم القيامة (عليه) اى على ذلك العالم (اوكد) من الحجة على الجاهل (اذ) اى لانه (قبل داعى الرياء) اى خاطر الرياء الذى خطر له ولم يكرهه (مع علمه به) اى بانه خاطر رياء (و) علمه (بغائلته) اى مفسدته ومايترتب عليه من القبائح (وقد تحضر) فى نفس العبد (المعرفة) بان الله تعالى عالم بحاله كيف كان (والكراهية) له ايضا (معا) فى وقت واحد بحيث يتخيلهما (ولكن لايحصل) له (الاباء) اى الامتناع عن خاطر الرياء (بل يقبل داعى الرياء) ولايمنعه من قبول معرفته به وكراهيته له (ويعمل به) الاعمال التى هى فى الظاهر طاعات الله تعالى وعباداته (لتكون الكراهية) للرياء (ضعيفة) لاقوة فيها (بالاضافة) وفى نسخة بالنسبة (الى قوة الشهوة) الغالبة عليه شئ من امور الدنيا (و) لقوة (الرغبة) الداعية له الى الاسترسال مع هوى نفسه كما هو الغالب فى زماننا على اكثر علماء الوقت المتصدرين لافادة الطلبة فضلا عن غيرهم الامن حفظه الله تعالى بتهذيب نفسه بآداب الصوفية اهل العلم النافع والعمل الرافع (وهذا) العبد الذى هذا وصفه (ايضا لاينتفع) فى دينه (بكراهيته) للرياء (اذ)

Marfat.com

اى لان (الغرض منها) اى من الكراهية للرياء (صرفه) اى العبد اوالرياء (من الفعل) اى فعل الرياء اوفعل الطاعة (فاذا) بالتنوين اى فحينئذ حيث كان الامر كذلك (لافائدة) لاحد (الافى اجتماع) الامور (الثلاثة) المتقدم ذكرها فى رد خواطر الرياء وهى المعرفة بعلم الله تعالى به والكراهية للرياء والاباء اى الامتناع منه (فاذا اجتمعت هذه) الامور (الثلاثة) فى احد من الناس (فقد برئ من الرياء) ومتى تخلف واحد منها فقد بقى الرياء ولا يزول فلا يكون لما وجد منها فائدة اصلا (ومجرد خطور) خاطر (الرياء) فى قلب العبد (وميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته) اى مخاصمته ومدافعته (اياه) بحيث كلما خطر له دفعه وازاله فيخطر له كذلك وهكذا يبقى فى منازعته وتحت ترداده من غير قبوله (لايضر) ذلك العبد اصلا (اذالم يكن منه قبول) له (وركون) اى اعتماد عليه (بالاختيار) اى القصد منه والارادة (اذليس فى وسع) اى ليس فى قدرة (العبد) المكلف (منع الشيطان) الموكل به (عن زغاته) بالغين المعجمة اى القاء الوساوس اليه (ولا) فى وسعه (قمع) اى قهر واذلال (الطبع) اى الطبيعة وهى السجية التى جبل عليها الانسان من الاخلاق التى لازالة له (حتى) يترتب على ذلك المنع والقمع انه (لايميل الى الشهوات ولاينزع) بالعين المهملة اى يشتاق من نزع نزوعا اشتاق (اليها) اى الى الشهوات (وانما غايته) اى العبد المكلف (ان يقابل شهوته) الثائرة فيه (بكراهية) منه لها (واباء) اى امتناع عنها بمقدار طاقته (وعدم اجابة) لها (استفادها) اى الكراهية والاباء وعدم الاجابة (من علم الدين) المحمدى الذى هو عالم به (فاذا فعل) العبد (ذلك) الفعل المذكور الذى هو كناية عن هذه الامور الثلاثة (فهو) الفعل الذى هو (الغاية) اى غاية مايمكنه (فى اداء ماكلف) اى كلفه الله تعالى (به ثم اذا فرغ) ذلك العبد من عمله الذى خلصه من الرياء واكمله طاعة لله تعالى (فعليه) بعد ذلك (ان لايتحدث به) عند احد من الناس (ولايظهره) لاحد اصلا (الااذا امن) على نفسه (من) لحوق (الرياء) له (وقصد) بالتحدث والاظهار (اقتداء الغير) من الناس (به فى) موضع (مظنة) اى مظنة الاقتداء به بان كان عالما كبيرا اوزاهدا شهيرا من رآه قلده واقتدى به او كان السامع له والرائى ممن يقتدى بغيره ويتابع غيره فى الصلاح والدين (و) مع ذلك (يكون) فى حال التحدث والاظهار (وجلا) اى محترزا متحذرا (من عمله) ذلك ان يكون سببا لهلاكه فى الآخرة بين يدى الله تعالى (خائفا ان يدخله) اى عمله (من الرياء الخفى) الذى سبق بيانه (ما) اى نوعا منه (لم يقف عليه) اى لم يعرفه (فيكون) عمله ذلك (مردودا) عليه غير مقبول منه (ممقوتا) اى مبغوضا بسببه (لله سبحانه وتعالى) والعياذ بالله من ذلك (ويكون) ايضا (هذا الخوف) المذكور (فى دوام) اى مدة وجود (عمله)

Marfat.com

ذلك (و بعده) اى بعد عمله ذلك (لافى ابتداء العمل) فقط ثم زال ذلك الخوف عنه فى وقت العمل وبعده (بل ينبغى) للعبد المكلف (ان يكون متيقنا) اى قاطعا جازما (فى الابتداء) اى فى ابتداء عمله (انه مخلص) لله تعالى فى ذلك العمل (ما يريد بعمله الا وجه الله تعالى) اى الا التقرب اليه سبحانه بعمله حتى ينكشف له وجه الله تعالى الى كل شئ فيزول الشئ الهالك من عين بصيرته ويظهر له وجه الحق تعالى فيشهد الله تعالى فى كل شئ من حكم قوله تعالى *كل شئ هالك الا وجهه *وقوله سبحانه *فاينما تولوا فثم وجه الله وهو اخلاص الصوفية المشتق لهم هذا الاسم من اهل الصفة الذين هم الانصار حيث اخبر تعالى عنهم بقوله *يريدون وجهه *وعاتب نبيه عليه السلام فى حقهم بقوله سبحانه * ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه* الآية (حتى توجد) منه (النية) المطلوبة فى الطاعة والعبادة (اذ) اى لان (هى) اى النية معناها (العزم) اى القصد الجازم على ايقاع الفعل (المصمم) اى القاطع (الباعث) اى الموصل الى وجود الفعل (فلا يجتمع) النية المذكورة (مع الشك) اى التردد فى الفعل (والاحتمال) اى امكان وجود الفعل وعدم وجوده فلابد من الايقان بالطاعة وانه يعملها لوجه الله تعالى (فاذا شرع) فى الطاعة (على اليقين) من الاخلاص فيها (ومضت) عليه (لحظة) من الزمان (يمكن فيها) ان تعرض له (الغفلة) عن الاخلاص (والنسيان) له (جاء الخوف) عليه فى تلك اللحظة (من شائبة) اى مخالطة (خفية) غير ظاهرة له (من الرياء والعجب) فتفسد عليه اخلاصه فى عمله (واما اولوية) اى كون الاولى فى حق العبد المكلف (غلبة الخوف) من الله تعالى ان يكون فى عمله رياء (على الرجاء) منه تعالى بعدم الرياء (او العكس) هو الاولى بغلبة الرجاء على الخوف (فقد اختلف اقوال المشايخ) من العلماء (فيها) اى فى الاولوية من ذلك المذكور حتى (قال بعضهم ينبغى ان يغلب) بالتشديد اى يجعل غالبا (الرجاء) على الخوف (لانه) اى العبد المكلف الداخل فى العبادة (استيقن) اى تحقق يقينا (انه دخل) فى عبادته (باخلاص) لله تعالى فى ذلك (و) لكنه (شك) اى تردد بعد ذلك (فى زواله) اى فى زوال الاخلاص (فن) جملة (قواعد الشرع) كما ذكرها فى كتاب الاشباه والنظائر وغيره (ان اليقين لا يزول بالشك) والشك لا يرفع حكم اليقين والاخلاص عند يقين فلا يزول بالشك فيه فالرجاء غالب على الخوف اذ هو مقتضى امر متيقن به وهو الاخلاص و الخوف مقتضاه امر مشكوك فيه وهو الرياء (فبذلك) اى بسبب التيقن بالاخلاص (تعظم لذاته) اى العبد المكلف (فى المناجاة) بينه وبين الله تعالى (و) فى (الطاعات) التى يفعلها لله تعالى (وخوفه) اى العبد يعنى الخوف الحاصل عنده (لاجل ذلك الشك) فى لحوق الرياء له (جدير) اى اولى واحق (بان يكفر) اى يستزاح (خاطر الرياء

Marfat.com

ان كان) ذلك الخاطر (قد سبق منه وهو غافل عنه) لا يشعر به وفى الرعاية لابى الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى لا يجوز ان يدخل فى العمل ولا يدرى ما يريد فعليه ان يكون متيقنا به فد اراد الله عزوجل بذلك العمل والا لم يدخله فاذا علم انه قد اخلص واراد الله عزوجل دخل فى العمل على ذلك فاذا مضى عليه من الاوقات ولو كطرف العين مما يمكن المخلوق فيه النسيان والسهو فالخوف اولى به لانه لا يدرى لعله قد خطرت بقلبه خطرة رياء او عجب او كبر او غيره فقبلها وهو ناس لاذكر انها رياء فيكون مشفقا خائفا فاذا كان شاكا فى عمله فكيف يرجو على الشك ويؤمل الرضى من الله عزوجل اما الشك فى انه لا يدرى دخل العمل بالاخلاص ام لا فلا يجوز فى ذلك الشك اذ قد علم انه قد دخل وقد اراد الله عزوجل وحده واما الشك خوفا من ان يكون قد احصى الله عزوجل عليه قبول خطرة نسيها هو ولم يفطن لها فنعم والخوف على عمله والوجل والاشفاق من اجل ذلك والرجاء والخوف على العمل ان يكون عمله لله او لغير الله ويستوى بان فاعله فى الله عزوجل ضعيف فكيف ينعم بطاعة الله ويجد حلاوتها بل الامل والرجاء اغلب واكثر لانه قد استيقن انه قد دخله بالاخلاص لله عزوجل ولم يستيقن انه رأى بشئ منه فالاخلاص عنده يقين والرياء هو منه فى شك فخوفه ان كان خالطه رياء كان ذلك الخوف مما يرجو به ان يصفيه الله عزوجل له لاشفاقه على ما لا يعلم فبذلك يعظم رجاؤه وان لم يكن خالطه رياء فذلك زيادة على عمله وعبادة منه وكلما اشفق ازداد يقينا بالطاعة واملا فى الله عزوجل اذ يقن انه دخله بالاخلاص وختمه بالاشفاق والوجل من علم الله تعالى فبذلك يعظم رجاؤه وامله ونعم بطاعة ربه عزوجل (والمنقول عن اكثر المشايخ) من الصوفية وغيرهم ان الاولى (غلبة الخوف) على العبد ان يكون مقصرا فى اعماله وارى له فيها (حتى نقل عن) السيدة العارفة بالله تعالى (رابعة) العدوية رضى الله عنها (حين قيل لها بم) اى بأى شئ واصلها ما الاستفهامية دخل عليها حرف الجر فحذفت الفها كقوله تعالى بم يرجع المرسلون وقوله عم يتساءلون (ترتجين) اى باى سبب يحصل لك الرجاء من الله تعالى (انها قالت) فى الجواب (بايامى) اى قنوطى من الانتفاع بشئ (من جل) اى اعظم (عملى) فيأسى من الانتفاع باعظم اعمالى سبب لرجائى من الله تعالى ان ينفعنى اكمل الانتفاع مع انها رضى الله عنها كانت تقول ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة فى جنتك وانما عبدتك تقربا الى وجهك الكريم فعملها هذا الذى كانت تخلص فيه كانت تخاف ان يكون قد داخله الرياء فكانت تيأس من الانتفاع به فى الآخرة ويعظم بذلك رجاؤها فى الله تعالى وقال المصنف لهذا الكتاب كتاب الطريقة المحمدية رحمه الله تعالى (والذى عندى من العلم) فى هذه المسئلة ان (اختلاف ذلك) اى اولوية ترجيح الخوف او الرجاء معتبر (باختلاف الاشخاص) واختلاف (الاحوال) ايضا

Marfat.com

(فان المبتدى) من السالكين (و) كل (من فيه) اى فى نفسه (بقيـة من آثار العجب) باعماله (والا من) من لحوق المكرية (و الغرور) بما يفعله من الطاعات اعتمادا عليها (و البطالة) اى ترك الاشتغال بخدمة مولاه (ينبغى لهما) اى للمبتدى ولمن فيه تلك البقيـة المذكورة (غلبة الخوف) على قلبه ان يكون الرياء فى عمله وانه غير مقبول عند الله تعالى (و) ينبغى (لغيرهما) اى غير من ذكر وهو العارف المنتهى ومن لا بقية عنده من الاخلاق الذميمة (غلبة الرجاء) من الله تعالى ان يكون خلا عمله من الرياء وقبل عند الله تعالى (او المساواة) بين الخوف والرجاء فى ذلك (والعلم عند الله) تعالى فيما هو الاولى من غير قطع بشئ من ذلك ومن غلبة الخوف ما نقل عن حضرة الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره لما سئل عن الكرامات قال اى كرامة اعظم من انى مع هذه الذنوب الكثيرة امشى على وجـه الارض انتهى والخلق (الثانى عشر من) الاخلاق الستين المذمومـة التى هى (آفات القلب) ومفاسده (الكبر) بكسر الكاف وسكون الموحدة وهو العظمة والتجبر (وفيه) اى فى الكبر (خمسة مباحث) ستأتى مفصلة ان شاء الله تعالى

﴿ المبحث الاول ﴾

من المباحث الخمسة (فى تفسيره) الكبر (و) تفسير (ضـده) وضد الكبر التواضع وكسر النفس (ومناسبهما) اى مناسب الكبر وضده الذى هو التوضع (وحكمهما) اى حكم الكبر وضده والمناسب لهما اما (الكبر) فمنه (هو الاسترواح) اى طلب الراحة وتحصيل النشـاط (واركون) اى الاعتماد والميـل (الى رؤية النفس) فى مرتبة (فوق) مرتبـة الشخص (المتكبر عليه فلا بد له) اى للكبر (منـه) اى من المتكبر عليـه حتى يسمى كبرا (بخلاف العجب) فانه لا يحتـاج الى من يعجب عليه حتى يسمى عجبا بل متى اعجبته نفسه كان عجبا (ولكبر حرام) بالاجماع (ورذيلة عظيمة) اى نقيصة وخصلة دنية (من العباد) المخلوقين واما الكبر من الله الخالق فهو صفة كمال فهو الخالق البارئ المتكبر (وضده) اى ضد الكبر (الضعة) بمعنى التواضع (وهى) اى الضعة (الركون الى رؤية النفس) اى نفسه فى مرتبة (دون) مرتبة (غيره) من الناس (وهى فضيلة) مثاب عليها عند الله تعالى (عظيمة) حيث كانت صادرة (من المخلوق واظهار الكبر) من النفس على الغير سواء كان ذلك الكبر (موجودا) فى النفس حقيقة وقد اظهره منهـا (او معدوما) اى ليس موجودا فى النفس ولكنه اظهره منها وسواء كان ذلك الكبر (حقا) بان كان من الله تعالى او من العبد على المتكبرين (او) كان (باطلا) وسواء كان (بقول) صريح او اشارة (او فعـل) فهو (تكبر) اى تفعل ومعناه تكلف الكبر وفى الله تعالى الاتصاف به من الازل (والاستكبار يختص بالبـاطل فلذا) اى لكونه يختص بالباطل (لا يوصف الله تعالى به) وانما يوصف به

Marfat.com

المخلوق لان تكبره تعالى بحق دون ماعداه (بخلاف التكبر) فان الله تعالى يوصف به على معنى المتصف بالكبرياء قال النجم الغزى فى حسن التنبه المتكبر هو الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته ولا يرى الكبرياء الا لنفسه فاذا كانت الرؤية صادقة كان التكبر حقا ولا يتصور ذلك على الاطلاق لغير الله تعالى وان كانت الرؤية كاذبة كان التكبر باطلا وهو التكبر المذموم (والتكبر) من المخلوق (حرام) لانه عظيم الآفات عنه تنشعب اكثر البليات يستوجب به من الله تعالى سرعة العقوبة والغضب لان الكبر لا يحق الا لله عز وجل ولا يليق ولا يصلح لمن دونه اذ كل شئ سواه عبد مملوك وهو الملك الآله القادر فعظم عند الله تعالى الكبر ذنبا اذ كان لا يليق بغيره واذا فعل العبد ما لا يليق الا بالمولى سبحانه اشتد غضب المولى تعالى عليه كذا فى رعاية المحاسبى (الاعلى المتكبر) من الناس (فانه قد ورد فيه) اى فى التكبر على المتكبر (انه صدقة) من الانسان على المتكبر ليكشف له عن قبيح صنعه و يعامله من جنس عمله وفى حسن التنبه للنجم الغزى قال وقد يكون التكبر من العبد بقصد تنبيه المتكبر عليه لا بقصد رفعة الناس فيكون محمودا كالتكبر على الجهلاء والاغنياء قال يحيى بن معاذ الرازى التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع (والا) التكبر على المشركين (عند القتال) بنصر كلمة الله تعالى واعزاز الملة الاسلامية (و) الا التكبر (عند الصدقة) على الفقراء زكاة كانت اوغيرها اظهار اللاستغناء عما احتاجت اليه الفقراء حتى لا يظهر للفقراء بقاء تعلق القلب منه بما دفع اليهم من المال (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول فاما الخيلاء) اى التبختر فى المشى والتكبر والتعاظم (التى يحب الله تعالى) اى الخصلة التى يحبها الله تعالى (فاختيال الرجل نفسه) اى اعجابه بها وهزه المنكبين فى مشيته (عند القتال) مع اهل الحرب (واختياله عند) اداء (الصدقة) الى الفقراء قال المصنف رحمه الله تعالى (ولعل المراد بالاختيال) اى التكبر (عند) اداء (الصدقة اظهار الغناء) من المعطى للفقراء (و) اظهار (عدم الالتفات) منه (لى) ما اعطاهم من (المال و) اظهار (استصغاره) اى المال (واستقلاله) اى رؤيته حقيرا قليلا (ليقصده) اى المال او المعطى (الفقراء) ويرغبون فى تناوله (بنشاط) منهم (وامن) يحصل لهم (من المن) اى من المعطى لهم عليهم وهو تعداد النعمة والتذكير بها (و) من (الاذى) من المعطى لهم بتوبيخهم على تناول الصدقة والاحتياج اليها والاهانة والاذلال بسبب ذلك (والا التكبر) الحاصل (بالرايات) اى بسبب الرياء (باسباب الدنيا) وامتعتها اى باظهار ذلك للناس فقط (بدون الكبر) فى النفس (فانه ليس بحرام وان كان مذموما) لانه نوع من التكبر (وقدمر) فى الكلام على الرياء (وسيجئ ان شاء الله) قريبا فى اقسام الكبر والتكبر (واظهار الضعة) اى انخفاض الجانب والتذلل للناس (بما دون مرتبته قليلا) حيث هو اعلى رتبة

Marfat.com

من حالته تلك التى اظهرها (لو ضع محمود) فى الشرع (وان) كان اظهار الضعة بمادون مرتبته (كثيرا) بان ترك الاحتشام اصلا وهو من اهل الاحتشام (فتملق) اى فــذلك تملق (مذموم) شرعا لان فيه اذلال النفس واهانتهــا بلافائدة دينية (الافى طلب العلم) اذا تملق لشيخه الذى يتعلم منه العلم النافع للعمل به مع الاخلاص فيه (عدى) يعنى روى ابن عدى باسناده (عن معاذ) بن جبل (و) عن (ابى امامة رضى الله عنهما مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ليس) معدودا (من اخلاق المؤمن التملق) وهو كثرة التواضع والمبالغة فيه (الافى طلب العلم) فانه مطلوب من المؤمن لينال غرضه من العلم كما قيل لاينــال العلم مستحيى ولامتكبر (وفى) كتاب (تعليم المتعلم التملق مذموم) من كل احد مع كل احد (الافى طلب العلم فانه ينبغى) لطالب العلم (ان يتملق لاستــاذه) الذى يتعلم منه (و) لجميع (شركائه) عند ذلك الاستــاذ وهم المتعلمون فلا يتكبر على احد منهم (ليستفيد منهم) ماهو بصدد تحصيله من العلم لانه قد يكون منهم عند ذلك الاستــاذ من هو اسبق منهم اوافهم منه ولا يتكبر فيمقتوه فيحرم الفائدة (انتهى) ما نقله من تعليم المتعلم (وان كثر) ذلك التملق منه (فتذلل) من الذل وهو الاهانة والحقارة بسببه فهو (حرام) عليه فعله (الا لضرورة) دعته الى ذلك بان خاف من ظالم اوسارق اوداعر ونحو ذلك فتملق له وتذلل بين يديه لكف اذاه عنه فهو جائز (وهو) اى التذلل للمخلوق هو الخلق (الثالث عشر من) الاخلاق الستين المذمومة التى هى (آفات القلب) ومثال ذلك (كالعالم) من علماء المسلمين (اذا دخل عليه) رجل (اسكاف) اى صنعته عمل النعال (فتحى) اى تحول ذلك العالم (له) اى لاجل دخول ذلك الاسكاف عليه (عن مجلسه) الذى كان جالســا فيه تعظيماله (واجلسه) اى العالم لذلك الاسكاف (فيه) اى فى موضعه (ثم تقدم) ذلك العــالم (وسوى) اى وضــع مستويا (له) اى للاسكاف (نعله) الذى يمشى به (وعدا) اى اسرع ذلك العــالم (الى باب الدار) اى داره (خلفه) اى خلف ذلك الاسكاف ليشيعه ويوانسه ويوادعه وليس لذلك الاسكاف مزية من علم ولاصــلاح ولازهد ولاخصلة عظيمة من خصال الدين (فقد تخاسس) ذلك العالم اى فعل ما فيه الخسة فى النفس والدناءة فى الهمة والنقصان فى المروءة (وتذلل) باهانة نفسه مع المهان وتحقيرها مع الحقير (وانما تواضعه) اى العالم (له) اى للاسكاف انمــا يكون (بالقيام) لاجله (و) اظهار (البشر) عند لقائه والاقبال عليه (والرفق) به (فى) وقت (السؤال) اى سؤاله حاجته من ذلك العالم (واجابة دعوته) حتى لايرده خائبا منها (والسعى) اى المبادرة والمسارعة (فى) قضاء (حاجته وان لايرى نفسه خيرا منه) لان الامور بخواتيمها ولايدرى احد بماذا يختم الله تعالى له فرب عالم يختم له بسوء ورب جاهل يختم له بخير ولاتدرى نفس ماذا تكسب غدا (ولايحقره) اى لاينظر اليه بعين الاحتقار لكون ذلك

Marfat.com

اسكافا وكونه هو عالما (ولا يستصغره) و يستعظم هو نفسه بالنسبة اليه (ومنه) اى من التذلل المذموم (السؤال) اى الطلب من الناس (لمن له) فى ملكه (قوت يومه) اى مقدار ما يقيته فى ذلك اليوم ويكفيه وفيه اشارة بذكر القوت الى انه لا يشترط ان يكون له مقدار ما يريد من شهوات نفسه وانما الشرط ان يكون عنده ما يدفع به الهلاك و يقيم بنيته من القوت من اى طعام كان (لنفسه) اى السؤال لاجل نفسه وكذلك لاجل عياله اذا لم يكن قادرا على الاكتساب واما لو قدر عليه فلا يسأل ولو لم يكن له قوت يومه (وسيجئ) بيان هذه المسئلة (ان شاء الله تعالى فى آفات اللسان ومن) جملة (السؤل) الذى هو من التذلل (اهداء قليل) من الهدية (لاخذ) شئ (كثير) من الهدية فى مقابلة ذلك (كما يفعل) بالبناء للمفعول اى يفعله الناس (فى دعوة) اى ضيافة (العروس و) دعوة اى ضيافة (الختان) الاولاد فان العادة جرت فى بعض البلاد باهداء شئ قليل والمقصود منه دفع شئ كثير عوض عنه من مال المهدى له (ولكن يريد اتخاذ غنم أو نحل) فلعل العادة فى ذلك جرت فى بعض القرى بعمل ضيافة و اهداء شئ اليه (قيل) اى قال بعض المفسرين (فيه) اى فى هذا الاهداء المذكور والاستهداء (نزل قوله تعالى) نهيا عن ذلك (و لا تمنن) باهداء شئ لاحد او عمل ضيافة له (تستكثر) بذلك ما يقابله من العوض (ومنه) اى من التذلل (الذهاب الى الضيافة) اى ضيافة كانت (و) الى (وصية الميت) اى ما اوصى به ان يتخذ بعدموته للفقراء وغيرهم (بلا دعوة) اى طلب منهم لك الى الحضور وهو التطفل بلا استيذان (د) يعنى روى ابو داود باسناده (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعى) بالبناء للمفعول اى دعاه احد لضيافة العرس (فلم يجب) بان يأتى الى حيث دعى (فقد عصى الله) تعالى (و) عصى (رسوله) صلى الله عليه وسلم ايضا لان ضيافة العرس تعمل لاظهار الفرح بمقتضى احلال الله تعالى ما حرمه من الفروج قال فى شرعة الاسلام وشرحها ومن حقوق الاسلام القديمة اجابة الدعوة حتى قال بعضهم انها واجبة وفى الحديث من لم يجب بضم حرف المضارعة وكسر الجيم الدعوة فقد عصى الله تعالى ورسوله فهى سنة مؤكدة قريبة من الواجب اذا كانت الدعوة دعوة نكاح وقيل هى واجبة وغيرها مستحبة اذا كانت موافقة لما تسمع آنفا ثم ذكر بعد ذلك انه لا يجيب الى طعام البخيل وفى الحديث طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء اى مرض ولا الى طعام صنع رياء وسمعة ولا الى مائدة يدار عليها الخمر او بعدها ولا الى طعام الفاسق فلا يرد احد دعوة اخيه حذرا عن العصيان او ترك الاستحباب والافضل ان يجيب اذا كانت وليمة يدعى فيها الغنى والفقير لان النبى عليه السلام قال لو دعيت الى كراع لاجبت واو اهدى الى ذراع لقبلت (ومن دخل) الى بيت الضيافة (على غير دعوة دخل سارقا) فما أكله حرام لانه بلا اذن صاحب الضيافة (وخرج

Marfat.com

مغيرا) اى غاصبا اسم فاعل من الاغارة فمن يعطيه شيئا كأنه يعطى السارق ولمغيروا ما اعطاء اهل الدعوة بعضهم بعضا فبنى على العادة ولا بأس به كذا فى شرح الشرعة (ومنه) اى من التذال (الاختلاف) اى كثرة التردد و الذهاب (الى) مجالس (القضاة والامراء) جمع قاض وامير فالقاضى حاكم الشرع والامير حاكم السياسة (والعمال) اى عمال القضاة والامراء وهم النواب فى المناصب الدينية والدنيوية (والاغنياء) كالتجار ونحوهم (طمعا) اى لاجل الطمع (لما فى ايديهم) من الاموال (بلا ضرورة) داعية الى ذلك التردد والذهاب اليهم (ومنه) اى من التذال (السجود) الى حد الارض (والركوع) خفض الظهر مع الرأس مقدار ركوع الصلاة (والانحناء) الانخفاض القليل بالظهر والرأس (للاكبراء) جمع كبير وهو صاحب الجاه والرياسة (عند الملاقاة) اى الاجتماع بهم (و) عند (السلام) عليهم (و) عند (رده) اى رد السلام اذا سلموا هم عليه وفى الاشباه والنظائر ان سجد للسلطان ان كان قصده التحية والتعظيم دون الصلاة لا يكفر اصله امر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وسجود اخوة يوسف عليه السلام واوا كره على السجود للملك بالقتل فان امروه به على وجه العبادة فالافضل الصبر كمن اكره على الكفر وان كان للتحية فالافضل السجود انتهى ومعلوم ان من لقى احدا من الاكابر فحنى له رأسه او ظهره ولو بالغ فى ذلك فراده التحية والتعظيم دون العبادة له فلا يكفر بهذا الصنيع وحال المسلم مشعر بذلك على كل حال واما العبادة فلا يقصدها الا كافر اصلى فى الغالب ولكن التملق الموصل الى هذ المقدار من التذال مذموم ولهذا جعله المصنف رحمه الله تعالى من التذال الحرام ولم يجعله كفرا واذا كان الاكابر يتضررون بترك ذلك لهم ممن يلقاهم على وجه التحية والتعظيم فربما يصلون الى مضرة من تركه لهم عند لقائهم ويتأذى التارك من قبلهم بنوع من الاذى جازفعله كما قال الشيخ احمد بن حجر المكى فى فتاواه والانحناء البالغ حد الركوع لا يفعل لاحد كالسجود ولا بأس بما نقص من حد الركوع لمن يكرم من اهل الاسلام واذا تأذى مسلم بترك القيام فالاولى ان يقام له فان تأذيه بذلك مؤد الى العداوة والبغضاء وكذلك التلقيب بالايسر به عن الالقاب والاصل فى ندب القيام لاهل الفضل قوله صلى الله عليه وسلم حين قدم سيد الانصار سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم والخطاب للانصار او للكل وقد صنف النووى رحمه الله تعالى جزأ فيه وذكر الاحاديث الواردة فيه واحكامها وما يتعلق بها قال ابن عبد السلام وغيره وقد صار تركه فى هذه الازمنة مؤديا الى التباغض والتقاطع والتحاسد فينبغى ان يفعل لهذا المحذور وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله فهواى القيام للاخوان لا يؤمر به بعينه بل يكون تركه صار وسيلة الى هذه المفاسد فى هذا الوقت ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا الان تركه صار اهانة واحتقارا

Marfat.com

لمن اعتيد القيام له ولله تعالى احكام تحدث عند حدوث اسباب لم تكن موجودة في الصدر الاول وعلى القيام ومحبته للتعاظم والكبر حمل قوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار اعاذنا الله من ذلك (و) كذلك (القيام) اى الوقوف (بين يدى الظلمة) فانه من جملة التذلل الحرام فلا يجوز الا لضرورة دعته الى ذلك كخوفه منهم ان لم يفعل ذلك بين يديهم (و) كذلك (تقبيل ايديهم و) تقبيل (ثيابهم) من جملة التذلل الحرام فلا يباح لمن لم يخف من ايذائهم ان يفعل ذلك معهم (وليس منه) اى من التذلل (مباشرة) الانسان (اعمال البيت) اى بيته وان كان له خدمة يخدمونه (وحاجاته) اى البيت (ككنس البيت وطبخ الطعام وحمل المتاع) بيده (من السوق الى البيت ولبس الخشن) من الثياب (والخلق) اى البالى المتقطع منها (و) الثوب (المرقع والمشي حافيا) بلا نعلين (ولعق الاصابع) بعد الاكل (و) لعق (القصعة واكل ما سقط على الارض من الطعام) كفتات المائدة (والتقاط دقاق الخبز ونحوه) من دقاق بقية الاطعمة (من) وسط (السفرة) المبسوطة على الارض لوضع الطعام عليها اومن جوانبها (و) من فوق (الحصير) والبساط (والارض ومجالسة المساكين ومخالطتهم) قال ابن رجب رحمه الله تعالى في رسالة شرح حديث اختصام الملاء الاعلى وحب المساكين قد وصى به النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد من اصحابه قال ابوذر وصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب المساكين وان ادنو منهم خرجه الامام احمد وخرج الترمذي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ياعائشة احبى المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة وروى ان داود عليه السلام كان يجالس المساكين ويقول يارب مسكين بين مساكين ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين كتب سفيان الثورى الى بعض اخوانه عليك بحب الفقراء والمساكين والدنو منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه حب المساكين (و) معاطاة (انواع الكسب) بنفسه (من البيع والشراء واجارة نفسه للاعمال المباحة) يخدم فيها (كرعى الغنم وسقى البستان والكرم وعمل الطين والبناء) في البيوت ونحوها (وحمل الحطب) للناس بالاجرة (على ظهره) اوظهر دابته اوالاحتطاب من اشجار البادية ثم بيع ذلك في السوق (فان كل ذلك وامثاله تواضع) محمود في الشرع وليس بتذلل مذموم وقد (فعله الانبياء عليهم السلام و) فعله (الاولياء) ايضا (رحمهم الله تعالى واكثره) اى اكثر التواضع في مثل ذلك (صدر عن سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اجمعين وصحابته المكرمين رضوان الله عليهم اجمعين) وفي كتاب الشرعة فقد كان ادريس عليه السلام خياطا يخيط الثياب وكان داوود عليه السلام يعمل الدروع من الحديد وكان الخليل ابراهيم عليه السلام يحرث ويحرث له وكان يتجر في اللبن ايضا واول من نسج ثوابا ابونا آدم عليه السلام وكان عيسى عليه السلام يخصف النعل ويرقعه وكان نوح عليه السلام نجارا وصالح عليه السلام

Marfat.com

كان ينسج الاكسية بيده وكان رعى الغنم من دأب الانبياء عليهم السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم لاهل مكة على قراريط قبل الوحى وفى الرعاية للمحاسبى وقال النبى صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل العنز والعق اصابعى واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتى فليس منى وفى الحديث انه من حمل لاهله الفاكهة والشئ فقد برئ من الكبر والحديث عن ابى سنان انه قال له رجل مات حتى احمل عنك اللحم فقال لا ثم قرأ ان الله لا يحب المستكبرين وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير عن ابن القيم ان النبى صلى الله عليه وسلم باع واشترى وشراؤه اكثر وآجر واستأجر وايجاره اكثر وضارب وشارك ووكل وتوكل وتوكيله اكثر واهدى واهدى له ووهب واتهب واستدان واستعار وضمن عاما وخاصا ووقف وشفع فقبل تارة ورد اخرى فلم يغضب ولا عتب وحلف واستحلف ومضى فى يمينه تارة وكفر اخرى ومازح وورى ولم يقل الا حقا وهو صلى الله عليه وسلم القدوة والاسوة (والتجنب) اى الاحتراز والتباعد (منه) اى من التواضع المذكور (والتأنف) اى التنزه (عنه) والترفع (كبر من اخلاق الجبارين) مذموم شرعا واما اذا لم تجر عادته بذلك وكان يستوحش من مباشرة شئ منه لا لمعنى التكبر عنه فى نفسه وانما لحياء يلحقه منه ومشقة فهو فى فسحة من تركه وليس هو فى حقه من اخلاق الجبارين حينئذ (ولكن كثيرا من الناس بجهلهم) اى بسبب جهلهم حسن المباشرة لتلك الاشياء (يعكسون الامر) فيرون مباشرتها هى الحال المذموم ومن يتعاطاها بنفسه فهو بينهم الملوم اصلحنا الله واياهم ووفقنا لما هو المطلوب منا من الاعمال والعلوم ﴿المبحث الثانى﴾ من المباحث الخمسة (فى اقسام الكبر) الذى هو صفة مذمومة (و) اقسام (التكبر الذى هو اظهار تلك الصفة المذمومة للغير (وآفاتهما) اى مفاسدهما ومايترتب على وجودهما فى الانسان (فنه) اى من هذا المبحث (يعرف العلاج) اى مداواة الكبر والتكبر (الجملى) الذى هو على وجه الاجمال دون التفصيل (قد عرفت) فى المبحث الاول (انه لا بد للكبر والتكبر من) احد (متكبر) بصفة اسم المفعول (عليه) فهو وصف اضافى (وهو) اى المتكبر عليه (اما الله تعالى وهو افحش انواع الكبر) ان يتكبر الانسان على ربه (مثل نمرود) المدعى الالوهية من دون الله تعالى وقد ارسل الله تعالى اليه ابراهيم الخليل عليه السلام فكذبه وهم باحراقه حتى انجاه الله تعالى منه (حيث حدث نفسه) من كمال تكبره على الله تعالى (ان يقاتل رب السماء عز وجل) فاتخذ النسور وطاربها فى جو السماء فكان اذا رمى السهم نحو السماء يعود اليه مخضبا بالدم فظن انه قتل رب السماء جهلا منه وعنادا وكفرا حتى ارسل الله تعالى اليه البعوضة فهلك بها (ومثل فرعون) المدعى الربوبية من دون الله تعالى (حيث قال انا ربكم الاعلى) وقد ارسل الله تبارك وتعالى اليه موسى وهارون عليهما السلام فكذبهما حتى اغرقه الله تعالى مع قومه فى البحر

Marfat.com

(وامارسوله) محمد (عليه الصلاة والسلام) وقد تكبر عليه جبارون كثيرون (كبعض الكفرة) من قومه (حيث قالوا) فى حقه كما قصه الله تعالى علينا (اهذا الذى بعث الله رسولا) على وجه الاستحقار له والتكبر عليه وقالوا ايضا (لولا نزل هذا القران) الذى قد سمعنا به من عندر به (على رجل من القريتين) مكة والطائف (عظيم) غيرهذا النبى استحقارا له عليه السلام واستصغارا لشأنه تكبرا منهم عليه قال الواحدى يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف (واما سائر الخلق) اى المخلوقات فالمتكبرون والمتكبر عليهم منهم كثيرون رجالا ونساء (وغائلة) اى آفة ومفسدة (الكبر والتكبر منازعة العبد المملوك العاجز الضعيف الذى لا يقدر على شئ) مما كسب مطلقا (لله) فى مقابلة العبد (لمالك) فى مقابلة المملوك (القهار القادر) فى مقابلة العاجز (القوى) فى مقابلة الضعيف (على كل شئ) فى مقابلة الذى لا يقدر على شئ (فى صفة) متعلق بالمنازعة (لا تليق) تلك الصفة (الا بجلاله تعالى) وهى صفة الكبر والتكبر (والتأدية) معطوف على منازعة العبد اى الايصال (الى مخالفته تعالى فى اوامره) سبحانه (ونواهيه) التى كلف بها عباده (كابليس) اللعين حين امر بالسجود لآدم عليه السلام فابى واستكبر وجحد فضيلة آدم عليه (قال اسجد لمن خلقت طينا) وقال ايضا (انا خير منه خلقتنى من نار) وخلقته من طين وظن لعنه الله ان النار لارتفاعها ولطافتها وسرعة حركتها افضل من الماء والتراب وما علم ان الله تعالى فضل الماء والتراب وحكم بان الطهارة لا تكون الا بهما بالماء اولا واذا لم يوجد فبالتراب فبذلك تحصل الطهارة من الاحداث والاخباث (فاذا سمع) المتكبر (الحق من المتكبر عليه استنكف) اى انف وامتنع واستكبر (من قبوله) لان قبوله منه يقتضى ضد ما هو فاعله من التكبر فيدعوه الى الاعتراف بفضيلته عليه والتكبر مقتضى نفى تلك الفضيلة (وتشمر اى تهيأ واستعد (لجحده) اى انكاره وابطاله (ويكفيك) ايها العبد المصنف (فيه) اى فى حق المتكبر (قوله تعالى سأصرف) اى بعد تحقق التكبر منهم (عن) شهود (آياتى) جمع آية وهى العلامة الواضحة الدالة على الله تعالى او عن معانى آيات القرآنية (الذين يتكبرون) اى يظهرون الكبر على بعضهم بعضا فلا يقبلون الحق من بعضهم بعضا (فى الارض) من بنى آدم وغيرهم كالجن والشياطين (بغير الحق) بل بالباطل الذى فى نفوسهم وهو الجهل والغرور وحظ النفس والحسد والبغض والحقد ونحو ذلك واما اذا تكبروا بالحق الذى عندهم على من لم يقبله منهم من المغرورين فهو تكبر على متكبر فهو صدقة كما مر وقال تعالى (كذلك يطبع الله) اى يختم ويربط فلا يكاد يغير الله بعده سبحانه (على كل قلب متكبر جبار) من الجبر بمعنى القهر فاذا ختم سبحانه وتعالى على القلب يطبقه فلا يكاد ينفتح لموعظة واعظ ولا تلج فيه العبرة والنصيحة ولا يرعوى للحق ولا يعرف الصواب من الخطأ وقال تعالى عن ابليس اللعين

Marfat.com

(ابى) اى امتنع من السجود لآدم عليه السلام (واستكبر) اى تكبر بالباطل (وكان من) جملة (الكافرين) يعنى روى ابوداود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء) وهو الرفعة فى الشرف (ردائى) اسم لما يوضع على الظهر والكتفين والصدر (والعظمة) اى الهيبة والجلال (ازارى) اسم لما يكون من السرة الى ماتحت الركبة والسر فى هذا ان الكبرياء ضد التواضع ووصف الكبرياء ساتر للرب سبحانه وتعالى وحاجب له عن علم عبده به سترا وحجبا من قبل العبد لا من قبل الرب سبحانه لانه تعالى لايستر شئ ولايحجبه شئ من كمال عظمته والله تعالى منه مايمكن ان يعرف وهو مقدار استعداد العباد فى تجليه على كل شئ ومنه مالايمكن ان يعرف وهو ادراك كنه ذاته وكنه صفاته جل وعلا فالكبرياء ساتر له سبحانه جميعه عن علم عبده كما يستر الرداء لابسه على التنزيه المطلق فى حقه تعالى ليستر مايمكن ان يعرف منه تعالى ومالايمكن ان يعرف والعظمة ساترة لما لايمكن ان يعرف منه سبحانه فكأنه محل العورة وماستر محل العورة من الانسان يسمى ازارا فاذا ارتفع حجاب الكبرياء عن العبد وهو تكبر العبد على الرب بدعواه وجود نفسه مع وجود ربه مع ان وجوده فى وجود ربه عدم صرف لانه الوجود المخلوق بمعنى المفروض المقدر ووجود ربه هو الوجود الخالق بمعنى الفارض المقدر ودعواه الصفات والاسماء مع صفات ربه واسمائه مع ان صفاته واسماءه فى صفات ربه واسمائه عدم صرف كذلك ودعواه الافعال كذلك فاذ تواضع العبد للرب زال مالم يكن من بصيرة العبد وهو وجود العبد واضمحلت صفاته واسماؤه فظهر له وجود الرب سبحانه وتعالى وظهرت صفاته تعالى واسماؤه فارتفع رداء الكبرياء عن الله تعالى بسبب تواضع العبد لله تعالى وبقى ازار العظمة لايرتفع الا للوارث الواحد المحمدى الجامع وهو صاحب مقام الذات الراجع الى البقاء بعد الفناء فالكبرياء رداء ساتر للظهور فى عالم الملاء الاعلى والعظمة ازار ساتر للظهور فى عالم الملأ الاسفل وهو محل النتاج ومستقر الجنة والنار (فمن نازعنى) اى خاصمنى وجادلنى (فى) دعوى (واحد منهما) اى الكبرياء او العظمة (قذفته فى النار ولاابالى) بما فعلته معه فهو فى نار البعد والطرد عن شهوده تعالى فى الدنيا ونار العقوبة فى الآخرة (م ت) يعنى روى مسلم والترمذى باسنادهما (عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة) اى هذا القدر اليسير (من كبر) عن قبول الحق الواجب قبوله فهو وعيد للكافر لعدم قبوله الايمان بان يجد شيئا مما يجب الايمان به اى شئ كان او المراد تكبر الفاسق بنفسه على ابناء جنسه فكونه لايدخل الجنة يعنى مع السابقين الاولين بدون العذاب فى النار او المراد من تكبر متشبها بالله تعالى وهو معنى المنازعة لله تعالى فى ذلك فيكفر بذلك لدعواه الالوهية فلايدخل الجنة (فقال رجل) من الصحابة رضى الله عنهم ممن كان حاضرا (ان الرجل) منا (يحب ان يكون ثوبه حسنا) اى،

Marfat.com

من الثياب (ونعله حسنا) اى من احسن النعال وتقديره فهل ذلك من الكبر (قال) صلى الله عليه وسلم (ان الله جميل) اى موصوف بالجمال المطلق (يحب الجمال) فى كل شئ فاذا احب الرجل ان تكون جميع اموره حسنة كان متخلقا بخلق من اخلاق الله تعالى وهو امر ممدوح لا مذموم واستعمل الحسن فى الرجل والجمال فى الله للفرق بينهما فان الحسن بالعرض والجمال بالذات وكل حسن له جمال دون العكس فما بالعرض الظاهر يراه الرجل فيحبه وما بالذات الباطن يراه الله تعالى فيحبه وكل شئ له جمال بالذات فالله يحبه ولهذا اوجده ودبره وقد يكون له حسن بالعرض الظاهر فيحبه الرجل ايضا وقد لا يكون له حسن فلا يحبه الرجل ثم قال صلى الله عليه وسلم (الكبر بطر الحق) ضد الباطل او الرب سبحانه والبطر محركة قلة احتمال النعمة والطغيان فيها وكراهة الشئ من غير ان يستحق الكراهة وبطر الحق ان يتكبر عليه فلا يقبله كذا فى مختصر القاموس (وغمط الناس) بالغين المعجمة والطاء المهملة وفعله غمط كضرب وسمع استحقرهم وغمط العافية لم يشكرها والنعمة بطرها وحقرها كما فى مختصر لقاموس (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن ثوبان رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو برئ من الكبر) فى ظاهره وباطنه (و) من (الغلول) اى الخيانة يقال غل واغل خان اوخاص بالفئ (و) من (الدين) بفتح الدال المهملة القرض وفى شرح الجامع الصغير للمناوى الدين بفتح الدال المشددة قال ابن العربى الدين عبارة عن كل معين يثبت فى ذمة الغير للغير مؤجل اوحال (دخل الجنة) اما براءته من الكبر ومن الغلول فلانهما حرامان عليه واما براءته من الدين فلخلوص ذمته من حقوق العباد فان نفسه تحبس عن دخول الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات وقد اخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن ابى نعيم فى المعرفة عن مالك بن يخامر القضاعى عن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدين شين الدين فالاول بالفتح والثانى بالكسر يعنى يعيب الدين وينقصه واخرج الاسيوطى ايضا عن الحاكم فى المستدرك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين راية الله فى الارض فاذا اراد ان يذل عبدا وضعها فى عنقه وفى شرح المناوى قال وذلك بايقاعه فى الاستدانة اى اخذه الدين ويترتب عليها الذل والهوان ولهذا تكرر فى عدة احاديث استعاذة المصطفى صلى الله عليه وسلم منه فان قيل اذا كان الدين كذلك فكيف استدان المصطفى صلى الله عليه وسلم قيل انما تداين فى ضرورة ولا خلاف فى عدم ذمه للضرورة فان قيل لا ضرورة لان الله تعالى خيره ان تكون بطحاء مكة له ذهبا اجيب بانه خيره فاختار الاقلال والقنع وما عدل عنه زهدا فيه لا يرجع اليه فالضرورة لازمة واخرج الاسيوطى ايضا عن البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدين دينان فمن مات وهو ينوى قضاءه فانا وليه ومن مات

Marfat.com

ولا ينوى قضاء فذلك الذى يؤخذ من حسناته ليس يومئذ دينار ولا درهم ومن هذا ما نقله في البزازية اوائل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الاداء لا يؤاخذ به يوم القيامة لانه لم يتحقق المطل واخرج السيوطى ايضا عن الديلمى في مسند الفردوس عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدين هم بالليل ومذلة بالنهار واخرج ايضا في مسند الفردوس عن عائشة قال عليه السلام الدين ينقص من الدين والحسب يعنى شرح المناوى قال فانه ربما جر الى التسخط بالقضاء او الى الاحتيال بتحصيل شئ من غير حله ليرضى به رب الدين الطالب له ونحو ذلك كله حط من الديانة ومن الحسب بالتحريك اى انه مزر به وهذا وما قبله مسوق للتنفير من الاستدانة والزجر عن مفارقة ما يؤدى اليها وقال المناوى ايضا والقصد بهذه الاخبار الاعلام بان الدين مكروه لما فيه من تعريض النفس للمذلة فان دعت اليه ضرورة فلا كراهة بل قد يجب ولا لوم على فاعله واما بالنسبة الى معطيه فمندوب لانه من الاعانة على الخير (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان في النار توابيت) جمع تابوت واصله تابوه ولغة الانصار بالهاء كذا في مختصر القاموس وفى صحاح الجوهرى التابوت اصله تابوه مثل ترقوة وهو فعلوه فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء قال القاسم بن معن لم تختلف لغة قريش والانصار في شئ من القرآن الا في التابوت فلغة قريش بالتاء ولغة الانصار بالهاء (يجعل) بالبناء للمفعول والجاعل هو الله سبحانه وتعالى حقيقة وملائكة العذاب مجازا (فيه) اى في كل واحد من تلك التوابيت (المتكبرون) اى كل واحد من المتكبرين يجعل في واحد من تلك التوابيت (فيقفل عليهم) كل تابوت منها فيكونون في غم لتوابيت زيادة على غم جهنم (طب) يعنى روى الطبرانى رحمه الله باسناده (عن عبد الله بن سلام انه مر بالسوق وعليه) اى على ظهره (حزمة حطب) يحملها الى بيته (فقيل له) اى قال له بعض من رآه (ما حملك على هذا) الفعل اى يلجئك اليه ويضطرك له (و) الحال انه قد اغناك الله تعالى عن هذا الفعل (قال) في الجواب (اردت ان ادفع) بهذا الفعل (الكبر) عن نفسى (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من الكبر) لفسقه بارتكابه ذلك فيحرمه الله تعالى دخول الجنة مع السابقين الاولين (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيامة) يعنى نظر رحمة ولطف وانعام واحسان والا فلا يغيب عن نظر الله تعالى احد مطلقا (ولا يزكيهم) اى لا يمدحهم ولا يثنى عليهم بصالح الاعمال بين الخلائق يوم الحشر او لا يطهرهم من اوساخ ذنوبهم ومآثمهم (ولهم) عنده (عذاب اليم) اى مؤلم موجع لاول

Marfat.com

(شيخ) اى كبير فى السن ومع ذلك هو (زان) اى يفعل الزنا مع كبر سنه وضعف شهوته وقلة رغبة طبيعته فى جماع النساء بالنسبة الى الشاب القوى الشهوة الزائد الرغبة فى جماع النساء فان الشاب اخف اثما فى الزنا بالنسبة الى الشيخ المذكور كما قال السبتى رحمه الله تعالى من قصيدته النونية

﴿ هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها * ماعذر أشيب يسهو به شيطان ﴾

(و) الثانى (ملك) اى سلطان كلامه نافذ فى رعيته على كل حال ومع ذلك هو (كذاب) اى كثير الكذب يخبر عن الامر على خلاف ماهو عليه فان احد الرعية ذا كذب ربما كان الحامل له على ذلك رغبته فى امر اوتوصله الى غرض فذنبه فى ذلك اخف من ذنب من هو موفر الدواعى حاصل قادر على جميع اغراضه (و) الثالث (عائل) اى فقير صاحب عيال محتاج الى التواضع بين الناس ليحبه الناس فيحسنون اليه ويحظى عندهم ومع ذلك هو (مستكبر) اى متكبر عليهم (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن طارق رضى الله عنه انه خرج عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه) اى سافر (الى) بلاد (الشام) وكان فى زمان خلافته رضى الله عنه وطارق معد قال طارق (ومعنا ابو عبيدة) ابن الجراح احد العشرة المبشرة بالجنة (فأتوا) فى طريقهم بقرب الشام (الى مخاضة) من الماء والطين (وعمر) رضى الله عنه (على ناقة له فنزل) عن ناقته (وخلع خفيه) من رجليه (فوضعهما على عاتقه واخذ بزمام ناقته فخاض) فى تلك المخاضة حتى قطعها (وقال) له (ابو عبيدة رضى الله عنه يا امير المؤمنين انت تفعل هذا) يعنى مرورك فى المخاضة حافيا وخفك على عاتقك وزمام ناقتك بيدك مع انك امير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (مايسرنى) ان مايفرحنى هذا الصنع منك (ان اهل البلد) اى بلد الشام وكانت يومئذ مع الكفار قبل فتحها (استشرفوك) اى اشرفوا عليك من حصونهم وقصورهم وهم يرونك على هذه الحالة (فقال له) عمر رضى الله عنه (اوه) لخير وحيث وان يعنى مثلثة الهاء مع سكون الواو ويجوز فيها ايضا آه واوه بكسر الهاء والواو المشددة واو بحذف الهاء واو بفتح المشددة واوه بضم الواو وآه بكسر الهاء منونة واو بكسر الواو منونة وغير منونة كلمة تقال عند الشكاية اوالتوجع كذا فى مختصر القاموس (لم يقل ذا) اى هذا الكلام الذى قلته احد (غيرك) من الاصحاب (يا ابا عبيدة جعلته) اى هذا الكلام الذى قلته لى (نكالا) اى عقوبة وعبرة والنكال اسم لكل عقوبة تنكل الناظر من فعل ماجعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع واصله من النكل وهو القيد وجمعه يكون انكالا كذا فى تفسير البغوى (لامة محمد) عليه السلام (اناكا) من قبل مانحن فيه الآن (اذل قوم) بسبب الكفر وعبادة الاصنام وتعاطى المفاسد فى الجاهلية (فاعزنا الله تعالى بالاسلام) ولاعز اعز

Marfat.com

من عز الاسلام (فهما) اى فكلما (طلب العز بغير ما اعزنا الله) تعالى (به اذلنا الله) تعالى اخبار اودعاء (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن عمر بن شعيب عن ابيه) شعيب (عن جده ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحشر المتكبرون) اى يحشرهم الله تعالى بمعنى يجمعهم فى ارض المحشر (يوم القيامة امثال الذر) اى على مقادير الذر وهى الصغار من النمل (فى صور الرجال) وكذلك فى صور النساء ايضا فى مقابلة ماصغروا الناس فى الدنيا بتكبرهم عليهم (يغشاهم) اى يشملهم ويغطيهم (الذل) اى المهانة والحقارة (من كل مكان) يتوجهون اليه (يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس) بضم الباء وفتح اللام كذا فى القاموس (يعلوهم نار الانيار) اى نار النيران كذا فى النهاية لابن الاثير وفى القاموس النار تجمع على انيار (يسقون) بالبناء للمفعول (من عصارة اهل النار طينة الخبال) كسحاب صديد اهل النار والسم القاتل والهلاك والعناء والتعب (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن محمد بن زياد انه قال كان ابو هريرة رضى الله عنه يستخلف) بابناء للمفعول اى يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا (على المدينة) فى غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم (فيأتى بحزمة الحطب) الى بيته يحملها (على ظهره فيشق السوق) اى يمربها بين الناس وهم يفسحون له يمينا وشمالا (وهو يقول) عن نفسه (جاء الامير) يعلمهم بمكانته بينهم ليتنحى له ذو حاجة فيقضيها له بسرعة فيمضى فى مهماته من امور الناس اونحو ذلك (وفى رواية) اخرى يقول لهم (طرقوا) اى خلوا الطريق فلا تضيقوه وافسحوا فيه (الامير) عن نفسه (حتى ينظر الناس اليه) عند تلك المقالة متعجبين من صدور تلك الحالة (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم) يعنى من الامم الماضية (يجر ازاره) على الارض (من الخيلاء) اى التكبر (خسف به) اى خسف الله تعالى به فى الارض من سوء عمله ذلك (فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة) قال ابن شميل اى يتحرك فيها اى فى الارض والجلجلة حركة مع صوت اى يسوخ فيها حين يخسف به ذكره الهروى فى الغريبين (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن جبير بن مطعم انه قال يقولون) اى الناس (فى) بالتشديد اى مجموع فى ذاتى (التيه) بالكسر الصلف والتكبر تاه يتيه تكبر فهو تايه وتيهان (و) الحال انى (قد ركبت الحمار) وما انفت من ركوبه (ولبست الشملة) وهى كساء يؤتزر به كذا فى المجمل (وحلبت الشاة) بيدى من غير استنابة احد فى ذلك (و) الحال انه (قد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فعل هذا) الفعل بان اتى بهذه الامور الثلاثة (فليس فيه من الكبر شئ) حيث فعل ما يفعله ادنى الناس ولم يترفع عن شئ من ذلك والشملة مخذة من الصوف كما ورد

Marfat.com

فى حديث الجامع الصغير من رواية ابى نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برآءة من الكبر لبس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز وقال المناوى فى شرح هذا الحديث ولفظ رواية البيهقى لباس الصوف يعنى بقصد صالح لاظهارا للتزهد وايهاما لمزيد التعبد ومجالسة فقراء المؤمنين بقصد ايناسهم والتواضع معهم ونحو ركوب الحمار وركوب برذون حقير واعتقال العنز وفى رواية البعير يعنى اعتقاله ليحلب لبنه والمراد ارفعل هذه الاشياء بنية صالحة تبعد صاحبها عن التكبر ﴿المبحث الثالث﴾ من المباحث الخمسة (فى اسباب) وجود (الكبر) فى النفس (والتكبر) الذى هو اظهاره للغير (اعنى) اى اقصد بالاسباب (ما) اى الامر الذى يحصل (به الكبر والتكبرو) فى (العلاج) اى المداواة للكبر والتكبر (التفصيلى) نعت للعلاج (وهى) اى الاسباب المذكورة (سبعة) اسباب للكبر والتكبر وانما هى اسباب (باعتبار الجهل) لغالب فى الانسان (المقارن) بصيغة اسم المفعول نعت للجهل يعنى الجهل الذى قارنه الانسان (بها) اى بتلك الاسباب (لانها) اى تلك الاسباب (فى انفسها اسباب) بلا جهل قرنه الانسان بها (تامة) غير محتاجة فى السببية الى غيرها (وعلل موجبة) للكبر والتكبر من غير انضمام شئ آخر اليها (فسببيتها) اى تلك الاسباب المذكورة (فى الحقيقة) اى فى باطن الامر (راجعة الى الجهل) فقط لاالى تلك الاسباب التى قرن الانسان بها جهله (فعلاجها) اى مداواة تلك الاسباب المذكورة (ازالة) اى الجهل (وتبيينه) اى علاج اسباب الكبر والتكبر قريبا (ان شاء الله تعالى) السبب (الاول) للكبر والتكبر (العلم) مطلقا سواء كان بالمعقولات او بالمنقولات (وهو اعظم الاسباب) الداعية للكبر والتكبر والمراد ماعدا العلم النافع وهو المقرون بالعمل الصالح مع الاخلاص فانه ليس من اسباب الكبر والتكبر بل من اسباب الضعة والتواضع وهو الممدوح شرعا الذى ينصرف اليه اسم العلم عند الاطلاق والفضيلة الواردة فى الآيات والاحاديث انما هى له اى للعلم النافع دون الاول المذموم فانه العلم المضر الذى استعاذ منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انى اعوذ بك من علم لاينفع وهو حجة على صاحبه ولو لم يورثه الاالكبر والتكبر لكفاه ذما فى الشرع وهو حرام تعلمه من جهة انه موصل الى الحرام الذى هو الكبر والتكبر والعلم المطلوب تعلمه شرعا هو العلم النافع لاغير (واشدها) اى الاسباب (واصعبها) على النفوس (علاجا) اى مداواة (لان قدر العلم) من حيث هو مع قطع النظر عن متعلقه (عظيم عند الله) تعالى كما قال تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون * وقال تعالى * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (وعند الناس) ايضا فان جاه العلم مشهور بينهم ورياسة قائمة على كل حال (وقد سمعت) فى الفصل الثانى من الباب

Marfat.com

الثانى (ماورد) من الآيات والاحاديث (فى فضله) اى العلم (و) فى (الحث) اى الحض والامر بازعاج (على تعلمه وكونه فرضا) على العين اوالكفاية كما سبق تفصيله (فلامجال لقلعه) اى العلم (من اصله) اى لايسع الانسان ان ينهى عنه مطلقا بل ينهى عن الوصول به الى الكبر والتكبر (و) لامجال للحث على (ترك تعلمه) لان فائدته عظيمة فى معرفة القيام بخدمة الرب سبحانه ان ساعده التوفيق بخلق القدرة على الطاعة وعلى التجنب عن المخالفة وان صحبه الخذلان والعياذ بالله تعالى كان صاحبه من اشقى الخلق وقال المحاسبى فى كتاب الرعاية العلم كما قال وهب كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فتزداد المرة مرارة وتزداد الحلوة حلاوة ويكثر ماؤها بالحلاوة ويكثر ماء المرة بالمرارة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا الان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل جاهلا وهو يخاف من الله عزوجل ويعلم ان حجة الله تعالى له لازمة وان كان جاهلا فاذا حفظ العلم وفهمه ازداد خوفا ووجعا كما قال ابو الدرداء رضى الله عنه من ازداد علما ازداد وجعا فاذا ازداد وجعا عظم الحجة عليه لما علمه الله عزوجل ازداد ذلا وتواضعا واشفاقا وخوفا واذا كانت همته وهواه الدنيا والتعظم ازداد بالعلم كبرا وانفا وحقرية لمن دونه فازداد على من هو مثله ومن فوقه كبرا وانفا وحبا للغلبة (فانما علاجه) اى العلم الذى هو اعظم اسباب الكبر والتكبر (بمعرفتين) لشيئين عظيمين احدهما (معرفة ان فضله) اى العلم (انما هو) اى ذلك الفضل (بمقارنة النية الصالحة) فى ابتداء تعلمه بان لايقصد بتعلمه تحصيل الوظائف والمدارس ولا اقبال الناس عليه وسوق الدنيا اليه ولا تحصيل المعيشة به والا كان يأكل بدينه ولا ان يمدح بالعلم وينتشر ذكره به وانما يقصد بذلك التقرب الى الله تعالى وتخليص نفسه من غائلة الجهل ومضرة الهوى ومفسدة الشيطان وغرور الدنيا (و) فضله ايضا بالمواظبة على (العمل به) مع الاخلاص وان لم يعمل به مخلصا فلا فضيلة لعلمه بل هو اخس من الجاهل واحقر منه (و) بارغبة فى (نشره) اى العلم بتعليمه للمتعلمين ولفاقته للسائلين (لله) تعالى (بلا طمع) منه فى حصول (نفع) له (من الناس) ولادفع ضرر عنه بذلك (و) لاطمع (اخذ مال) من احد (عليه) اى على العلم ونشره وتعليمه (والا) اى وان لم يكن الامر كذلك (فينقلب) العلم وبالا (عليه) ولايكون له نفعا (فيصير) بسببه حينئذ (اخس) اى احقر (مرتبة من الجاهل) الذى لايعلم شيئا (واشد عذابا منه) يوم القيامة لاقتحامه المعاصى عن علم بها والجاهل يقتحمها عن جهل فانتهاك العالم لحرمات الله تعالى اذا عصاه سبحانه ابلغ من انتهاك الجاهل لها (على القول

Marfat.com

الاصح) فان عذاب العالم على المعصية اشد من عذاب الجاهل كما ان ثوابه على الطاعة اعظم من ثواب الجاهل (فكيف يليق) بالعالم لذى علمه بنقاب وبالا عليه لفساد نيته وخبث طويته وسوء حالته فيوجب له زيادة العذاب على المعصية اكثر من عذاب الجاهل عليها (ان يتكبر به) اى بعلمه ذلك الذى هو به خاسر لا كاسب (عليه) اى على الجاهل (ويدل على هذا) المعنى (ما خرج) بالتشديد اى اسند (ت) يعنى الترمذى (عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما) اى علم كان من علوم المعقول او المنقول (لغير الله) تعالى اى لاجل التوصل به الى غيره سبحانه (او) تعلمه لاجل الله تعالى ثم (اراد به غير الله) تعالى بعد ذلك (فليتبوأ مقعده) اى موضع قعوده (من النار) اى نار الآخرة بوأه الله تعالى منزلا اى الزمه اياه واسكنه اياه وتبوأ من الجنة حيث نشاء اى تتخذ منها منازل ومنه الحديث فليتبوأ مقعده من النار اى ليتزل منزله منها ذكره الهروى فى الغريبين واما قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله فقد ذكر ابن عطاء الله فى لطائف المنن قال وقد تجاريت الكلام انا وبعض من يشتغل بالعلم فى انه ينبغى اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله فقلت له الذى يقرء العلم لله هو الذى اذا قلت له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده وربما غر العاقل من طلبة العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس فى قول هذا القائل مايستروح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القائل عن امر من به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن فى المعا اعيا علاجه وضاق منه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا تستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين انفسهم الى التهلكة كما قيل * لبس المغرر محمودا وان سلما (د) يعنى روى ابو داود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما) عقليا اونقليا من شان ذلك العلم انه (يبتغى) بالبناء للمفعول اى يطلب (به) اى بذلك العلم (وجه الله) تعالى بان كان علما موصلا الى معرفة الله تعالى من العلوم الشرعية الذاتية والمادية (لا يتعلمه) ذلك المتعلم له (الا ليصيب) اى يدرك (به غرضا) اى مقصدا وحظا نفسانيا (فى) الحياة (الدنيا) يعنى كانت نيته ذلك فى حال تعلمه (لم يجد عرف) بفتح العين المهملة وسكون الراء (الجنه يوم القيامة) حين تجد عرفها المخلصون (يعنى) بعرفها (ريحها) وفى المجمل العرف الارج الطيب وفى مختصر القاموس العرف الريح طيبة اومنتنة واكثر استعماله فى الطيب (طك) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الكبير باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

علماء هذه الامة رجلان) اى تنقسم العلماء كلهم الذين هم موجودون فى هذه الملة الاسلامية الى يوم القيامة الى قسمين القسم الاول (رجل آتاه الله) تعالى (علما فبذله) اى دفعه (للناس) بان علمه لهم ونصحهم به (ولم يأخذ عليه) اى على ذلك العلم شيئا منهم (طمعا) اى من جهة الطمع فى اموالهم وما تملكه ايديهم بان كان مخلصا لوجه الله تعالى فى تعليمه لهم ووعظهم وتذكيرهم فاراهد وا اليه شيئا عن طيب نفس منهم قبله ولا يرده عليهم وان لم يصبه منهم شئ لا يعتب عليهم ولا يطلب منهم شيئا اصلا (ولم يشتر به) اى بذلك العلم (ثمنا) شريت المتاع اشريه اذا اخذته بثمن واعطيته ثمن فهو من الاضداد وانما ساغ ان يكون الشراء من الاضداد لان المتبايعين تبايعا الثمن والمثمن وكل من العوضين مبيع من جانب ومشترى من جانب كذا فى المصباح المنير والمعنى هنا ولم يبعه بثمن من اثمان الدنيا واموالها بل طلب بذلك الجزاء من الله تعالى يوم القيامة (فذلك) الرجل هو الذى (يستغفر) اى يطلب المغفرة من الله تعالى (له) من جميع ذنوبه التى يفعلها (حيتان) جمع حوت قال فى المصباح الحوت العظيم من السمك وهو مذكر وفى التنزيل * فالتقمه الحوت * والجمع حيتان وفى مختصر القاموس الحوت السمك وجمعه احوات وفى الصحاح الحوت السمكة والجمع الحيتان انتهى فقد اطلق فى السمك والسمكة ولم يقل العظيم ولا العظيمة فيشمل الكبير والصغير من السمك وفى المجمل كما فى المصباح من التقييد بالعظيم والمناسب هنا فى الحديث الاطلاق (البحر) وفى معناه حيتان النهر ايضا والحوض ولعل ذكر البحر للجرى على الغالب فى وجود الحيتان (ودواب البر) وهو خلاف البحر وهى انواع الوحوش (والطير فى جو السماء) وهو ما بينها وبين الارض والطير جمع طائر مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور واطيار وقال ابو عبيد وقطرب ويقع الطير على الواحد والجمع وقال ابن الانبارى الطير جماعة وتأنيثها اكثر من التذكير ولا يقال للواحد طير بل طائر وقل ما يقال للانثى طائرة كذا فى المصباح وفى حديث الجامع الصغير للاسيوطى من رواية ابن عبد البر فى العلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وان طالب العلم يستغفر له كل شى حتى الحيتان فى البحر قال المناوى فى شرحه لهذا الحديث عن الحليمى يحتمل ان معنى استغفارهم له ان يكتب الله له بعدد كل من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته ان صلاح العالم منوط بالعالم اذ بالعلم يدرى ان الطير لا يؤذى ولا يقتل الا لاكله ولا يذبح ما لا يؤكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا ظمأ ولا يجلس فى حر ولا برد لا يطيقه وان اقرار نيسان البحر فى الماء اذا لم تكن اليها حاجة واجب وانه لا يجوز التلهى باخراجها من الماء والنظر الى اضطرابها بالبر من غير قصد اكلها واذا صيدت للاكل يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز ضربها بعصى او حجر الى غير ذلك

Marfat.com

(و) القسم الثانى (رجل آتاه الله) سبحانه (علما فبخل به عن عباد الله) تعالى الطالبين له منه ولم يبذله لاحد من الناس بل كتمه فى وقت الحاجة اليه (واخذ عليه) من الناس شيئا من المال (طمعا) اى على وجه الطمع لاعلى وجه العفة كما سبق (وشرى) اى باع (به ثمنا) بان دفعه واخذ المال من الناس فى مقابلته ولم يجعله لوجه الله تعالى (فذلك) الرجل هو الذى (يلجم) بالبناء للمفعول اى يلجمه الله تعالى (يوم القيامة بلجام من نار) اللجام للفرس قيل عربى وقيل معرب والجمع بلجم مثل كتاب وكتب والجمت الفرس الجاما جعلت اللجام فى فيه كذا فى المصباح (وينادى مناد) يوم القيامة على رؤس الخلائق زيادة فضيحة له والمنادى ملك من ملائكة الله تعالى (هذا) الرجل (الذى آتاه) تعالى (علما فبخل به عن عباده) اى الله تعالى ولم يسمح به لهم لابتقرير ولابتحرير (واخذ عليه) المال (طمعا) فى الدنيا (وشرى به ثمنا) قليلا بمقابلته بالدنيا وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى فى لطائف المنن اما علم يكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهات والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه * ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا فى تكثير العقوبة لديه ولايغرنك ان يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من يتعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة اى الغائط بملعقة من ياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم فمكث اربعين سنة اوخمسين سنة يتعلم العلم ولايعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود بالطهارة وجود الصلاة (وذلك) اى الالجام المذكور يوم القيامة ومنادات المنادى من حين الشروع فى حسابه (حتى يفرغ من الحساب) الذى يحاسبه الله تعالى اياه ويحتمل ان يكون المعنى حتى يفرغ الله تعالى من حساب الخلائق كلهم (خ م) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن اسامة بن زيد) رضى الله عنه (انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق) اندلق السيف من غمده خرج من غير ان يسل واندلق السيل اقبل بقوة كذا فى المصباح (اقتاب بطنه) الاقتاب الامعاء واحدها قتب وقد يؤنث الواحد بالهاء فيقال قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى كما فى المصباح (فيدور بها) اى فى النار (كما يدور الحمار فى الرحا)

Marfat.com

اى حول الطاحون ليديرها بقوة دورانه (فيجتمع اليه اهل النار) المعذبون فيها (فيقولون) له (يافلان) ويذكرون اسمه (ما) يعنى اى امر (لك) اى اصابك من الامور العظيمة حتى تفعل هكذا (الم تكن تأمر) الناس (بالمعروف وتنهى) الناس (عن المنكر) فى الحياة الدنيا وتقدير فكيف وقعت فى منكر او سلك الى هذا الحال (فيقول) لهم (بلى كنت آمر بالمعروف) للناس (ولا آتيه) اى لا افعل انا المعروف الذى آمر به (وانهى) الغير (عن المنكر وآتيه) اى افعل المنكر الذى كنت انهى غيرى عنه (وزاد) على ذلك (فى رواية مسلم قال) يعنى اسامة بن زيد رضى الله عنه راوى هذا الحديث (واتى سمعته) اى النبى (عليه الصلاة والسلام يقول مررت) فى (ليلة اسرى) اى اسرى الله تعالى (بى باقوام) من امتى (تقرض اى تقطع شفاههم) جمع شفة وهى غطاء الفم (بمقاريض) جمع مقراض بكسر الميم من القرض وهو القطع (من نار) فى جهنم (قلت من هؤلاء) اى الذين اراهم كذلك (يا جبريل قال خطباء) جمع خطيب يقال خطيب القوم لمن كان هو المتكلم عليهم والمراد علماء (امتك الذين يقولون) للناس (مالا يفعلون) هم بانفسهم من الاحكام والمواعظ (طب نعم) يعنى روى الطبرانى وابو نعيم باسنادهما (عن انس ابن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الزبانية) من زبنت الشئ زبنا اذا دفعته فانا زبون وقيل للمشترى زبون لانه يدفع غيره عن اخذ المبيع ومنه الزبانية لانهم يدفعون اهل النار اليها كذا فى المصباح (اسرع) اى اكثر مسارعة (الى) اخذ (فسقة) جمع فاسق وهو المصر على فعل الحرام من (القراء) جمع قارئ وهو الذى يقرأ القرآن (منهم) اى من الزبانية انفسهم (الى) اخذ (عبدة) جمع عابد كطلبة جمع طالب (الاوثان) اى الاصنام (فيقولون) اى فسقة القراء (يبدأ) بالبناء للمفعول (بنا قبل) اخذ (عبدة الاوثان) وهم كفار ونحن مسلمون ونقرأ القرآن (فيقال لهم) تغليظ الجناية عليكم بسبب انكم علمتم الحق وما عملتم به وعباد الاصنام لم يعلموا الحق (وليس) ذنب (من يعلم كمن) اى كالذى اذنب وهو (لا يعلم) فان من لا يعلم ذنبه اخف من ذنب من يعلم قال الله تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء) بالشريعة المحمدية اعتقادا وعملا (امناء) جمع امين (الرسل) اى رسل الله عليهم الصلاة والسلام (على) نصح (العباد) اى عباد الله تعالى (مالم يخالطوا) اى فى مدة عدم مخالطتهم (السلطان) اى من له سلطنة على الناس ملك او امير او وزير ونحوهم والقضاة والنواب والمفتون فى زماننا هذا فى معنى السلطان لمشاركتهم الامراء وحكام السياسة فى احوال العامة (و) مالم يدخلوا فى) امور (الدنيا فاذا دخلوا فى) امور (الدنيا) وتنازعوا مع الناس فى تناول الدرهم والدينار زيادة على قدر الحاجة (وخالطوا السلطان) وكذلك كل حاكم

Marfat.com

كما ذكرنا (فقد خانوا الرسل) عليهم السلام الذين آمنوهم على نصح عباد الله تعالى واذا خانوا الرسل فقد خانوا الله تعالى المرسل للرسل الذى آمن الرسل عليهم السلام على نصح عباده فآمنوا هم العلماء على ذلك (فاعتزلوهم) يا ايها المكلفون ولا تخالطوهم لئلا يعلموكم الخيانة فى الدين التى هى وصفهم وتسرى حالتهم فيكم فاذا تعلمتم العلم منهم كنتم مثلهم علماء خائنين للرسل فى اماناتهم ولهذا ترى غالب الطلبة الذين يقرأون العلم على العلماء الذين هذا الوصف المذكور وصفهم احوالهم كاحوالهم واقوالهم كاقوالهم وهم مضمرون فى نفوسهم اذا تعلموا العلم ان يكونوا كمثالهم فى مخالطة السلطان ومداهنة حكام الزمان وجمع الدنيا من اى وجه كان ولا كمال فى عيونهم الا لهذه الحالة فهى مناهم فى سائر الاحيان فانصح نفسك يا ايها المكلف واياك والقراءة على احد منهم واعتزلهم كما مرك نبيك بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تشتغل بقراءة العلم الا على العلماء العاملين اهل الورع والدين وان كانوا اقل علما من الاولين فان البركة فى علومهم والنفع فيها لكافة المسلمين (ز) يعنى روى البزار باسناده (عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال تعرضت او تصديت) الشك من الراوى (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى قصدت اسأله (وهو يطوف بالبيت) فى مكة المشرفة (فقلت له يا رسول الله اى الناس شر) اى اكثرهم شرا (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم) يعنى يا الله (غفرا) اى اغفرلنا ولمن سأل هذا السؤال غفرا حيث كان السؤال يتضمن التجسس عن الناس وذكر مساويهم وسوء الظن بهم ونسبة الشر اليهم وان لم يكن السؤال عن احد بعينه منهم (سل عن الخير) اى اكثر الناس خيرا (ولا تسل عن الشر) ثم قال صلى الله عليه السلام فى جوابه بعد تعليمه كيفية السؤال الحسن وانما اجابه لان فى سؤاله فوائد مهمة ومقاصد جمة وفى حسن التنبه للنجم الغزى رحمه الله تعالى قال حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه كان الناس يسئلون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقنى وفى رواية عنه فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير (شرار الناس) فى كل زمان (شرار العلماء) اى الشرار من العلماء فان العلماء بهم صلاح الناس وارشاد شرارهم الى التقوى والدين وازالة الفساد منهم فاذا فسدت العلماء المصلحون للناس كانوا شرار الناس كما ان الملح الذى به اصلاح الاطعمة اذا فسد فسدت الاطعمة بفساده وكان فساده اشر فساد لان فساد الاطعمة ينصلح بالملح واما الملح فلا ينصلح فساده اصلا (طص هق) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الصغير والبيهقى باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة) فى نار جهنم (عالم) بالشريعة المحمدية (لم ينفعه علمه) بان كان لا يعمل به ولا تخشع له جوارحه فتحرك الاقبال على الآخرة

Marfat.com

ولايستحى من الله تعالى ان يصف الدواء النافع لعباده وهو بينهم مريض مدنف (حدهق) يعنى روى الامام احمد بن حنبل والبيهقى باسنادهما (عن منصور بن زاذان انه قال نبئت) بالبناء للمفعول اى انبأنى بمعنى اخبرنى بعض من ينقل ذلك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان مثل هذا لايعلم الا بالوحى وهو مخصوص بالانبياء عليهم السلام (ان بعض من يلقى) بالبناء للمفعول اى يلقيه الله تعالى (فى النار) يوم القيامة (يتأذى اهل النار) اى يصيبهم اذى (بريحه) المنتن الذى يفوح منه (فيقال له) والقائل بعض اهل النار (ويلك) من الويل وهو حلول الشر وتفجيع يقال ويله وويلك وويلى فى الندبة وويل كلمة عذاب وواد فى جهنم او بئر او باب كذا فى مختصر القاموس (ما) يعنى اى شئ (كنت تعمل) فى الحياة الدنيا حتى استوجبت هذا العذاب الذى يصيبنا منه ضرر (اما يكفينا ما) اى الذى (نحن فيه) من العذاب (حتى ابتلينا) اى ابتلانا الله تعالى (بك وبنتن ريحك) يفوح علينا فنجد منه الالم الشديد زيادة على عذابنا (فيقول) لهم (كنت) فى الحياة الدنيا (عالما) اعلم الناس العلوم الشرعية ولا اعمل انا بذلك الذى اعلمه للغير (فلم ينتفع بعلمى) شيئا (هق حب) يعنى روى البيهقى وابن حبان باسنادهما (عن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال لايكون المرء) اى الرجل بفتح الميم وضمها لغة فان لم تأت بالالف واللام قلت امرء وامرأن والجمع رجال من غير لفظه والانثى امرأة بهمزة وصل وفيها لغة اخرى مرأة وزان تمرة ويجوز نقل حركة هذه الهمزة الى الراء فتحذف فتبقى مره وزان سنة كذا فى المصباح (عالما) اى لايسمى بهذا الاسم فى اصطلاح الشرع حيث ورد اسم العالم اوذو العلم فى الكتاب والسنة كما كان ذلك معروفا فى الصدر الاول (حتى يكون) ذلك العالم (بعلمه عاملا) وان لم يكن عاملا بعلمه فهو جاهل لاعالم لغلبة احكام الهوى والنفس عليه ولهذا اسم العالم الوارد فى الآيات والاحاديث المقتضى للمدح والثناء لايشمل ابليس اللعين مع انه كثير العلم بجميع الشرايع والاديان بل بالمذاهب والخلافات كما صرح بذلك الشعراوى فى بعض كتبه لعدم عمله بشئ من ذلك اصلا لكفره بالله تعالى فكذلك لايشمل كل عالم غير عامل بعلمه (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون) اى يوجد (فى آخر الزمان عباد) بالتشديد جمع عابد وهو الذى يفعل عبادة الله تعالى اى امتثال امره واجتناب نهيه (جهال) جمع جاهل من الجهل ضد العلم يعنى يعبدون الله تعالى على زعمهم ذلك من غير علم بالعبادة فلا يعلمون الاوامر الالهية ولا النواهى ويزعمون انهم يعملون على مقتضى ذلك من غير علم به فيبتدعون ماليس فى الدين من الزيادة والنقصان استحسانا بعقولهم وهم يظنون ان ذلك

Marfat.com

شرع الله تعالى وانهم لايحتاجون الى التعلم فيضلون انفسهم وغيرهم (وعلماء) جمع عالم وهو العارف باحكام الله تعالى اعتقادا وعملا (فساق) اى بر تكبون المحرمات و يصرون على المعاصى والمخالفات ولايعملون بمقتضى علمهم المشتمل على بيان الفرائض والواجبات والمحللات والمحرمات على طبق الآيات البينات والاحاديث النبويات واقوال الأئمة الثقات (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما) وكان ذلك العلم (مما) اى من اى نوع من العلوم (ينفع الله) تعالى (به) عباده (فى امر الدين) المحمدى كعلم التوحيد اوالفقه اونحو ذلك بخلاف العلوم التى لانفع بها فى الدين كالقدر الزائد على الحاجة من علوم العربية (الجم) اى الجمه الله تعالى (يوم القيامة بلجام من نار) بان يدخل فى فمه ذلك اللجام ليتعذب به فى موضع جنايته وهو فمه ومنعه من النطق عقوبة له من الله تعالى على كتمانه الحق فى محل الاحتياج اليه (ز ط) يعنى روى البزار والطبرانى فى المعجم الاوسط (عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر الاسلام) اى سوف يشتهر ويتضح وينتشر هذا الدين المحمدى فى اقطار الارض من الطول الى العرض ويغلب على سائر الاديان وفى المصباح ظهر الشئ يظهر ظهورا برز بعد الخفاء ومنه يقال ظهر فى رأى اذا علمت مالم يكن علمته ظهرت عليه اطلعت وظهرت على الحائط علوت ومنه قيل ظهر على عدوه اذا غلبه (حتى يختلف) اى يتردد (التجار) فيأتون ويذهبون ومنه قوله تعالى *وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة *اى يجئ هذا فى اثر هذا (فى البحر) فيسافرون باموالهم ويؤثرون السفر فيه على السفر فى البر من كثرة الامن بظهور الاسلام وانتصارا هله واخماد الكفار حتى يصيروا ذمة للمسلمين فلايقدرون ان يخيفوا طريق البحر (وحتى يخوض) اى يدخل يقال خاض فى الامر دخل فيه (الخيل) معروفة وهى مؤنثة ولاواحد لها من لفظها والجمع خيول قال بعضهم و يطلق الخيل على العراب وعلى البراذين وعلى الفرسان وسميت خيلا لاختيالها وهو اعجابها بنفسها مرحا ومنه يقال اختال الرجل وبه خيلاء وهو الكبر والاعجاب كذا فى المصباح (فى سبيل) اى طريق (الله) تعالى يعنى فى مرضاته سبحانه والمعنى يكثر تردد الخيل والفرسان فى غمرات الحروب لكثرة الجهاد فى اعداء الله تعالى وهو سبب كثرة الامن المذكور (ثم يظهر) اى يتبين بعد الخفاء او يغلب بعد الذل والحقارة وهو اخبار عن تحول الحال الاول فى الاسلام الى ضده وقد اتى بثم الدالة على الترتيب والتراخى فى المدة للاشارة الى تأخر الحال الثانى عن الاول فى الزمان (قوم) اى جماعة (يقرؤن القرآن) و يبالغون فى تجويد حروفه وتصحيح كلماته شاردين عن معانيه المقصودة وعن العمل باحكامه والاتعاظ بمواعظه والانتباه لحكمه

Marfat.com

واسراره الكثيرة المعدودة ولهذا (يقولون) من كثرة جهلهم بالحق وآداب الدين وتكبرهم على المسلمين (من اقرأ) اى احسن قراءة للقرآن العظيم (منا) يريدون بذلك الازراء على الناس والتهكم بمن لم يتقن قراءة القرآن مثل ما اتقنوا هم وهذه الحالة التى اتقنوها هم وصرفوا فى تحصيلها غالب اوقاتهم ليست بامر مفروض عليهم وقد وقعوا بسببه فى احتقار المسلمين وسوء الظنون فيهم فان الواجب على القارئ ان يتعلم من علم التجويد للقرآن المجيد مقدار ما يمتنع به من اللحن الجلى المخل بالمعنى المفسد للمبنى واما ما زاد على ذلك من الترقيق والتفخيم والمدود والادغام فهو امر مستحب كما صرح بذلك الشيخ على القارئ الحنفى المكى فى شرح منظومة ابن الجزرى فى علم التجويد حيث قال القرآن وصل الينا من الاله متواترا من اللوح المحفوظ على لسان جبريل عليه السلام وبيان النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم وتعلم التابعين ثم اتباعهم منهم وهلم جرا الى مشايخنا رحمهم الله تعالى متواترا هكذا بوصف التنزيل المشتمل على التجويد والتحسين وتبيين مخارج الحروف وصفاتها وسائر متعلقاتها التى هى معتبرة فى لغة العرب الذى نزل القرآن العظيم بلسانهم لقوله تعالى *وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه * فينبغى ان يراعى جميع قواعدهم وجوبا فيما يغير المبنى ويفسد المعنى واستحبابا فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق جال الاداء وانما قلنا بالاستحباب فى هذا النوع لان اللحن الخفى لا يعرفه الا مهرة القراء من تكرير الرآآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات فى غير محلها وترقيق الرآآت فى غير موضعها لا يتصور ان يكون فرض عين يترتب العقاب على فاعله لما فيه من حرج عظيم وقد قال تعالى *وما جعل عليكم فى الدين من حرج *وقال تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها *وقال الشيخ جلال الدين الاسيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن التحقيق وهو اعطاء كل حرف حقه من اشباع المد وتحقيق الهمزة واتمام الحركات واعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها واخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحقه من الوقف بلا قصر ولا اختلاس ولا اسكان محرك ولا ادغامه وهو يكون برياضة الالسن وتقويم الالفاظ ويستحب الاخذ به على المتعلمين من غير ان يتجاوز فيه الى حد الافراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الرآآت وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة فى الكيفيات كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ فى ذلك اما علمت ان ما فوق البياض برص وما فوق الجعودة قطط وما فوق القراءة *ليس بقراءة انتهى ولا يغرنك قول ابن الجزرى فى منظومته اذ واجب عليهم محتم الى آخره فان على القارئ رحمه الله تعالى يقول فى شرحه ثم الوجوب الشرعى ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والعرفى ما لا بد منه فى فعله ولا يستحسن تركه فيجب حمل كلام المصنف يعنى ابن الجزرى رحمه الله تعالى على المعنى الاصطلاحى وهو لا ينافى

Marfat.com

الوجوب الشرعى فى بعض الصور ولايجوز حمله على المعنى الشرعى لان معرفة جميع ما فى هـذه المقدمة ليس من هذا القبيل الا اذا حمل على وجوب الكفاية ولايفرك ايضا قول ابن الجزرى* والاخذ بالتجويد حتم لازم* قال على القارئ فى شرحه فالاظهر ان المراد بالحتم هنا ايضا الوجوب الاصطلاحى المشتمل على بعض افراد من الوجوب الشرعى لا الجمع بين الحقيقة والمجاز او استعمال المعنيين بالاشتراك كما ذهب اليه الشراح يعنى لمقدمة ابن الجزرى من الشافعية فان اللحن على نوعين جلى وخفى فالجلى خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى والاعراب كرفع المجرور ونصبه ونحوهما سواء تغير المعنى به ام لا والخفى خطأ يخل بالعرف كترك الاخفاء والاقلاب والاظهار والادغام والغنة وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وامثال ذلك ولاشك ان هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه خوف العقاب والتهديد واما تخصيص الوجوب بقراءة الفاتحة كما ذكره بعض الشراح يعنى لكلام ابن الجزرى فليس مما يناسب المرام فى هذا المقام وقال ابن الجزرى* من لم يجود القرآن آثم * قال على القارئ فى شرحه اى من لم يصحح كما فى نسخة صحيحة بان يقرأه قراءة مخلة بالمعنى او الاعراب كما صرح به الشيخ زكريا خلافا لما اخذه بعض الشراح يعنى للجزرية منهم ان المصنف على وجه العموم الشامل للحن الخفى فانه لايصح كما لايخفى وفى شرح على القارئ المذكور كلام آخر فى مواضع منه صريحة بما ذكر وفى كتاب لطائف الاشارات فى علم القراآت للامام القسطلانى رحمه الله تعالى قال اعلم ان طلب حفظ القرآن العظيم وسرعة سرده والاجتهاد فى تحرير النطق بلفظه والبحث عن مخارج حروفه وصفاتها والرغبة فى تحسين الصوت به وان كان مطلوبا حسنا ولكن فوقه ماهو اهم منه وتم واولى وهو فهم معانيه والتفكر فيه والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده وقد روينا فى فضائل القرآن لابى عبيد القاسم ابن سلام عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة فى قوله تعالى* لذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته * قال يتبعونه حق اتباعه وعن الشعبى فى قوله تعالى * فنبذوه وراء ظهورهم * قال انما نه كان بين ايديهم ولكنهم نبذوا العمل به قال الغزالى اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وجب سدلها على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها قال وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله تعالى فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تكشف له المعانى واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثم قال وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب

Marfat.com

الاتعاظ والتأثر والانزجار والاتعاظ فاللسان يرتل والعقل ينزجر والقلب يتعظ وقال حذيفة رضى الله عنه ان اقرأ الناس النافق الذى لايدع واوا ولا الفا يلفت بلسانه كما تلفت البقرة الخلاء بلسانها لايجاوز ترقوته وقال صاحب الغريبين فى الحديث هلك المتنطعون هم المتعمقون الغالون الذين يتكلمون باقصى حلوقهم مأخوذ من النطع كعنب وهو الغار الاعلى من الفم قال وفى حديث حذيفة من اقرأ الناس منافق لايدع منه واوا ولاالفا يلفت بلسانه كما تلفت البقرة بلسانها الخلاء اى يلويه يقال لفته وفتله اى لواه والخلاء الرطب من الكلاء وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه قال روى الامام احمد بن حنبل والطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر والبيهقى عن عبدالله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر منافقى امتى قراؤها وروى الغيربانى عن عمر رضى الله عنه قال ان اخوف ما اخاف عليكم ثلاثة منافق يقرأ القرآن لايخطئ فيه واواولا الفا يجادل الناس انه اعلم منهم ليضلهم عن الهدى وزلة عالم واتمة مضلون ويقولون ايضا (من) يعنى اى انسان (اعلم) اى اكثر علما (منامن) يعنى اى انسان (افقه) اى اكثر فقها اى فهما فى الدين (منا) وهذا القول منهم اما بصريح اللسان اوهم مضمرون له فى نفوسهم ولهذا تراهم لايثبتون لاحد غيرهم فضيلة وكلما ذكرت فضيلة لاحد من الناس اخذوا فى ردها وذم ذلك الرجل وذكر عيوبه ليبطلوا ان يكون له فضيلة فى العلم فيشاركهم فى فضيلتهم وهم مرادهم الانفراد بذلك وحدهم بلامشاركة احدلهم فى ذلك (اولئك منكم) اى مسلمون ليسوا من اليهود ولامن النصارى (من هذه الامة) اى ليسوا من الامم الماضية (واولئك هم وقود) بالفتح وهو الحطب (النار) اى نارجهنم (طب) يعنى روى الطبرانى (عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما انه) اى ابن عمر (قال لااعلمه) اى هذا الحديث (الاعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال من) يعنى اى انسان (قال انى عالم) وصرح بنسبة العلم اليه باسانه (فهو جاهل) لايعلم ماالعلم فهو يحفظ بعض المسائل فيظن انه صار عالما بها والعلم هوالنور الذى يقذفه الله تعالى فى القلب فيكشف العبدبه عن كل شئ ولايخفى عليه بسببه امر من الامور مطلقا و يكشف به عن نفسه فيراها جاهلة قاصرة عاجزة مذنبة حقيرة فلايدعى لنفسه علما وانما العلم عندالله كماقال تعالى* والله يعلم وانتم لاتعلمون وفى الحديث المؤمن ينظر بنورالله وقال المصنف رحمه الله تعالى (ولاارى عالما منصفا) يعنى من علماء زمانه (اذانظر وتأمل فى احواله) اى احوال نفسه (واعماله) التى يعملها فى اليوم والليلة (يحكم لنفسه انها بريئة) اى مبرئة (من هذه الآفات) اى المفاسد المذكورة فى هذه الاحاديث والاخبار المأثورة (بل الظن) الغالب عندنا (ان يحكم) ذلك العالم (عليها) اى على نفسه (بها) اى بهذه الآفات (او) يحكم على نفسه

Marfat.com

(بعضها) اى بعض تلك الآفات (فتكبره) اى ذلك العالم على غيره حينئذ (بالعلم) الذى يعلمه (جهل) منه (محض) اى خالص (وثانى المعرفتين) فى علاج العلم الذى هو اعظم اسباب الكبر والتكبر ان يعرف الانسان (ان الكبر) فى النفس الصادر (من العباد) المخلوقين على بعضهم بعضا (حرام) بالاجماع (وانه) اى الكبر (لا يليق الا بالله تعالى) لانه سبحانه هو الكبير الحقيق الذى لا يشبه كبره كبر شئ محسوس ولا معقول فليس من قبيل الاجسام ولا من قبيل الاعراض (وانه) اى الكبر (صفة) قديمة (مختصة به) اى بالله (تعالى) لا يشاركه فيه غيره اصلا (ولو سلم) بالبناء للمفعول (ان العالم) الذى يتكبر بعلمه على غيره (برئ من الآفات) اى المفاسد (المذكورة) للعلم فى الاحاديث والاخبار السابقة (وان لعلمه) الذى يتكبر به (فضلا) اى مزية ورفعة على علم غيره (فعلمه) انما (يورث) له (خشية) اى خوف اجلال لا خوف عقوبة (من الله تعالى) فكيف يمكنه ان يتكبر به على غيره (قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) به سبحانه وهم العارفون المحققون كما سبق بيانه (و) يورث (تواضعا) اى انخفاضا لعباد الله تعالى (لا) يورث (جرأة) اى سلطة (على الله تعالى) مع عدم حياء منه سبحانه (و) لا يورث (امنا) بلا خوف (منه) تعالى ان يسلبه ما اعطاه كما قال سبحانه *فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (و) لا يورث (كبرا على عباده) اى عباد الله تعالى (وعجبا) اى اعجابا عليهم (فلذا) اى فليكون الامر كذلك (صار الانبياء عليهم الصلاة والسلام متواضعين) لعباد الله تعالى غير متكبرين عليهم (خاشعين) لله تعالى من غير جراءة عليه سبحانه ولا امن مكره وعلمهم به تعالى اورثهم الخشية منه والهيبة له والعظمة عندهم لجلاله (لم يكن) اى لم يوجد (فيهم كبر) على احد من عباد الله تعالى (ولا عجب) اى ترفع وتكبر يقال اعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول اذا ترفع وتكبر كذا فى المصباح المنير (لحق العبد) المخلوق (ان لا يتكبر على احد) من العبيد المخلوقين مثله لانهم كلهم عبيد مولى واحد وهو خالق لهم (فان نظر) العبد (الى جاهل يقول هذا عصى الله تعالى بجهل) منه (وانا عصيته) سبحانه وتعالى (بعلم فهذا) الجاهل (اعذر) اى اكثر عذرا (منى) فهو افضل منى واكرم على الله تعالى *كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم* ولم يقل تعالى ان اكرمكم عند الله اعلمكم (وان نظر الى عالم) من علماء المسلمين (يقول) هو فى نفسه (هذا علم) من علوم الدين المحمدى وآلاته الشرعية (مالم اعلم) انا (فكيف اكون) انا (مثله) فى العلم فضلا عن الزيادة عليه (وان نظر الى) احد (اكبر منه سنا) اى عمرا (يقول) فى نفسه (انه اطاع الله تعالى قبلى) فقد سبقنى بالايمان والعمل الصالح وان نظر الى) انسان (صغير) يعنى اصغر منه فى السن (يقول انى عصيت الله تعالى قبله)

﴿ فهو ﴾

Marfat.com

فهو اعلى منى حيث لم تصدر منه المعصية فى وقت صدورها منى (وان نظر الى مساويه) اى الى احد يساويه (منا) اى عمرا (يقول) فى نفسه (انا اعلم بحالى) من غيرى (ولا اعلم حاله) اى حال هذا المساوى لى فى السن (والمعلوم اولى بالتحقير) على المعاصى التى صدرت منه (من المجهول) الذى لا نعلم معاصيه ومما يناسب هذا ماذكره المحاسبى فى الرعاية قال اعلم ان الناس عندك فرقتان فرقة مستورة لا تعرف منها سوءا ولا جرما فتلك الفرقة افضل منك عندك اذا لم يتبين منها مكروها والفرقة الثانية مختلفون فى ذلك فمنهم من هو عندك مهتوك فى ذنب او ذنبين او اكثر من ذلك الا انه اول فيما يتبين لك من نفسك من الذنوب فى طول عمرك فهؤلاء ايضا افضل منك عندك اذ كنت تعرف من نفسك اكثر مما تعرف منهم وفرقة قد ظهر لك منها الذنوب اكثر واعظم مما ظهر لك من نفسك فاما الكثرة فلا تقدر ان تحصيها من غيرك كما تعرفها من نفسك لانك خال بنفسك فى كل حال فى عمرك كله ولا تقدر ان تصحب غيرك فى طول عمرك فلا تفارقه كما لا تقدر ان تفارق نفسك ولا تطلع على سرائره وضميره كاطلاعك على سرائر نفسك وضميرها فذنوبك عندك اكثر من ذنوب غيرك واما العظم فقد يظهر لك من غيرك كالقتل والسرقة والزنا وغيره من غيرك فقد يكون بعض من ظهر لك ذلك منه ليس عنده من المعرفة والعلم ما عندك فالحجة عليك اعظم منها عليه والحساب عليك فى سؤال القيام بالعلم اشد فانت تخاف على نفسك العذاب على قدر تضييعك مع العلم والمعرفة فتنفى عنك الكبر بذلك وقد يكون بعض من ظهر لك ذلك منه له من العلم مالك واكثر وقد ظهر لك منه من الذنوب اعظم مما اتيت فهو لله جل جلاله اعظم عصيانا منك فالذى عليك فيه ان تعرف نعمة الله عزوجل عليك اذ عصمك من مثل عمله وتغضب عليه لله عزوجل وتجانبه وتحقره غضبا لربك ولا تنس الخوف على نفسك حتى ترى انك ناج وانه هالك دونك وانت لا تدرى بما يختم لك ولا بما يختم له وانما وكلت بالخوف على نفسك من ذنبك ولم توكل بالخوف عليه من ذنبه الا من طريق الاشفاق عليه فاما ما ندبت اليه ووجب عليك فهو ان تخاف الله عزوجل وترهبه وتتوب اليه وتخاف ان لا يقبل منك صالح عملك لما سلف من ذنوبك ولما تخاف ان يكون قد دخل عليك فى عملك من الآفات التى تفسده وان تخاف من سوء عواقب الخاتمة وسابق العلم فيك فانما امرت ووجب الخوف على نفسك لانك المأخوذ بذنبك لا بذنب غيرك الا تسمع الله عزوجل يقول ولا تزر وازرة وزر اخرى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ولا تكسب كل نفس الا عليها فانت لا تدرى لعل الله عزوجل ان يكون قد غضب عليك وانت عنده شغل من الخوف على غيرك ولا تدرى بما يختم لك وكم من قد رأيته راحما لغيره من المسرفين على نفسهم قد رجع الى المعاصى وتاب المرحوم عنده ورجع هو حتى مات على شر احواله ومات الآخر على الطاعة والتشمير لان الله عزوجل قد غيب علم عواقب

Marfat.com

الامور واعمال العباد عنهم فلايدرى احد منهم الاالرسل الذين بين لهم فلايدرى العبد على مايموت وباى حال يختم له بها فالخوف على نفسك اولى بك من الخوف على غيرك واذانظرت الى الغير بعين الازدراء والحقرية وقدغلب على قلبك انك الناجى وانك خير منه على كل حال لاتذكر ماسلف من ذنوبك ولا بمايختم لك فحينئذ تجمع بين غضب الله عزوجل والكبر اوانفت ان تقبل منه حقا اوتؤدى اليه حقا اوجبه الله عزوجل له عليك وقدقطع قلبك عليه بالهلاك وغلب عليه النجاة لك فحينئذ قد تكبرت عليه فاعجبت بنفسك وقدروى عن وهب بن منبه انه قال ما تم عقل امرئ حتى تكون فيه عشر خصال فعد تسع خصال حتى بلغ العاشرة فقال والعاشرة وما العاشرة التى سادبها مجده وعلابها ذكره انه يرى الناس كلهم خيرا منه وانه شر منهم حالا فقال يرى ولم يقطع ثم فسر ذلك فقال وانما الناس عنده فرقتان اورجلان ففرقة هى افضل منه وارفع وفرقة هى شر منه وادنى فهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ثم قال واعل برهذا باطن فذلك خيرله لايدرى لعل عنده خلقا كريما بينه وبين ربه عزوجل يشكره له فيرحمه به فيتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ثم قال ويرى الظاهر فذلك شر لى فلا يأمن ان لايكون سلم فيما اظهر من الطاعة ان يكون قد دخلها من الآفات مايحبطها ثم قال فحينئذ كمل العقل وساد اهل زمانه (وان نظر) ذلك العبد الصالح (الى) رجل (مبتدع) اى مرتكب بدعة فى العمل اوفى الاعتقاد كالقدرى والجبرى والمعتزلى (او) الى رجل (كافر) يهودى اونصرانى لايتكبر بنفسه على احد منهما اصلا (ويقول) فى نفسه (ما) يعنى اى شئ (يدريني) من ادراه اذا اعلمه (لعله) اى ذلك المبتدع اوالكافر (يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن) من البدعة والكفر فلا يتكبر على واحد منهما مع البغض لهما والغضب عليهما لله تعالى لالحظ النفس وفى كتاب رعاية المحاسبى قد تبين لى كيف اجانب الكبر على اهل المعاصى من المسلمين فاخبرنى من اثق به عن اهل البدع الذين يتدينون بغير السنة ويضلون العباد عن الله عزوجل اعداء سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم همتهم اطفاء نورها واحياء الضلالة ومذلة اهل الحق واعزاز اهل الكذب والافتراء بالتأويل على الله عزوجل وعلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اهل البدع يجب عليك البغض لهم والمجانبة الا من وجب عليك حق تؤديه اليه فتؤديه اليه وقلبك له مبغض ومنه نافر كائنا من كان الا ان قلبك لاينسى ماورطت فى رقبتك من الذنوب وماتقدم فيك من علم علام الغيوب بالشقاء اوالسعادة اوسوء الخاتمة وتعلم مع ذلك ان الله عزوجل قدفضلك عليهم بما عصمك منه من التدين باديانهم غير غافل حتى تقطع انك خير منهم فى الآخرة ترى انك ناج وهم اهالكون

﴿وقد﴾

Marfat.com

وقد غيب الله عزوجل عنك العلم فيك وفيهم من ترى منهم على اى حال يموت وعلى اى حال تموت ولعله لايغفرلك ولاله فتدخلان النار جميعا فان كان عاقبة امرك دخول النار فعندك شغل عن استصغاره والظن فى نفسك انك خير منه فاذا دنت لله عزوجل ببغضه ومخالفته وعلمت مامن الله عزوجل به عليك مماعصمك مما تدين به ولم يغفل قلبك حتى يغلب عليه انك ناج وهو هالك فقد تكبرت فى نفسك فاغتررت برأيك فان قلت ان اهل البدع وان كانوا ضلالا فانهم معتقدون للتوحيد ولكن ارأيت من لاشك فيه انه عدو لله عزوجل كافر به ان مات على كفره فهو فى النار لايرحمه الله عزوجل ابدا فلايمتنع قلبى من ان اعلم انى خير منه وانه هالك لامحالة وانه ليس عنده من الخير مما يرضى الله عزوجل به مثقال خردلة قال هو كما ذكرت الا ان يمن الله عزوجل عليه بالتوبة قبل الموت فان من عليه بذلك فالله احق بالتفضل عليه والافهو الظالم الخاسر فاما لكبر على احد من الناس فلايجوز لك فانت لاعلم لك لعله ان يموت اعبد اهل زمانه وتموت انت اكفر اهل زمانك فكن لذلك متخوفا ومما يدلك على ذلك ان الله عزوجل ابتعث نبيه صلى الله عليه وسلم فاجابه اول مادعا الى توحيده قوم وتأخر عن الاجابة آخرون فكان ممن اجابه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعلى وبلال وغيرهم وعمر وغيره كفار فقد كان من اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم مثل عمرو بن عتبه وبلال وغيره ينظرون الى عمرو يعرفون انه ضال كافر ولايدرون بما يختم له فوهب الله عزوجل له الاسلام حتى فاق كل من اسلم قبله الا ابابكر وحده فلم يكونوا يعلمون مايكرمه الله عزوجل به وكانوا مؤمنين وكان هو كافرا ثم اسلم ففضلهم وكذلك غيره ممن تقدم اسلامه وتأخر اسلام آخر بعده الى عصرنا هذا فقد ارتد قوم اسلموا على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلوا كفارا يوم قتال اهل الردة واسلم من كان كافرا وهم مؤمنون فحسن اسلامهم ثم قتلوا مؤمنين شهداء فاذا كنت متخوفا على نفسك الخاتمة والعاقبة لايغلب على قلبك نجاتها البتة وانك لعلك ميت على كفره فقد نفيت الكبر ولم تغتر ولم تأمن على نفسك من التغيير والزوال اللذين يورثانك العذاب والعقاب ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (وان نظر) ذلك العبد الصالح (الى كلب او) الى (خنزير او) الى (حية او) الى (عقرب اونحوها) من جميع المؤذيات (يقول) فى نفسه (هذا لم يعص الله تعالى فلا عتاب) اى لاملامة فى الآخرة عليه (ولا عقاب عليه) فيها ايضا (و) اما (انا) فقد (عصيته) اى عصيت الله تعالى (فانا مستحق لهما) اى للعتاب وللعقاب من الله تعالى فهذه الاشياء خير منى وذكر القشيرى فى رسالته فى ترجمة حمدون القصار انه قال من ظن ان نفسه خير من نفس فرعون فقد اظهر الكبر والحاصل انه ينبغى للعبد الصالح ان لايرى نفسه خيرا من غيره اى غير كان كما ذكر (فيكون) بسبب ذلك (مصروفى

Marfat.com

الهم) اى الهمة (الى) تهذيب (نفسه مشغول القلب) فى جمع اوقاته (بعيبه لخوفه لعاقبته) ان تكون شرا (عن عيب غيره) من الناس فلا يتفرغ من نفسه حتى يصرف همته الى اصلاح غيره ، و يشغل قلبه بعيوب الناس (فان قلت) سؤال نشأ من عدم التكبر على المبتدع والكافر كما سبق (فكيف ابغض المبتدع) فى الدين المحمدى (والكافر) بغضا كائنا (فى الله تعالى) اى فى سبيله لا فى سبيل النفس والغرض العاجل والهوى (وقد امرت) بالبناء للمفعول اى امر نى الله تعالى (به) اى بالبغض المذكور كما قال تعالى * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله * الآية وقال تعالى * يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة * الآية (وكيف انهاهما) اى المبتدع والكافر (عن المنكر) الذى هما مرتكبان له وهو البدعة فى الدين والكفر بالله تعالى ورسله (مع) مصاحبة (رؤية نفسى دونهما) حتى لا اكون متكبرا عليهما (قلت) فى الجواب عن ذلك (تبغض) ايها المكلف المبتدع والكافر (وتنهى) كل واحد منهما عن منكره (لمولاك) اى لاجل امر ربك (اذ) اى لانه (امرك) مولاك وهو الله تعالى (بهما) اى بالبغض والنهى لهما (لا لنفسك) اى لا لاجل غرض نفسك وارتفاعها عليهما بسبب اتباعها للسنة وايمانها بالله تعالى ورسله (و) الحال انك (انت فيهما) اى فى وقت البغض والنهى المذكورين (لا ترى نفسك ناجيا) من الهلاك عند الله تعالى لانك لا تدعى ما عنده تعالى من احوالك المستقبلة (و) ترى (صاحبك) المبتدع او الكافر الذى تبغضه وتنهاه (هالكا) عند ربه لعدم علمك باحواله المستقبلة (بل يكون خوفك على نفسك بما) اى بسبب الذى (علم الله تعالى من خفايا ذنوبك) التى لا تعلمها انت وهو العالم بها سبحانه (اكثر من خوفك عليهما) اى على المبتدع والكافر (مع الجهل) عندك (بالخاتمة) اى خاتمة امرك وخاتمة امرهما ايضا فربما كانت خاتمتك على الشقاء وخاتمتهما على السعادة وانت لا تدرى بذلك (فتكون) انت فى حال بغضهما ونهيهما (كغلام) اى عبد (ملك) اى سلطان (امره) ذلك الملك (بمراقبة) اى حفظ (ولده) اى ولد الملك (و) امره باظهار (الغضب عليه وضربه) اى الولد (مهما اساء) اى فعل السوء (فيغضب) ذلك الغلام (عليه) اى على ولد الملك (و يضربه عند) فعل ذلك لولد (الاساءة امتثالا) اى على وجه الامتثال (لامر مولاه) الذى هو ذلك الملك (وتقربا) من الغلام (له) اى لذلك الملك (به) اى بالامتثال المذكور (بلا تكبر) من الغلام (عليه) اى على ولد الملك (بل هو) اى الغلام (متواضع له) اى لولد الملك (يرى قدره) اى قدر ولد الملك (عند مولاه) الذى هو ذلك الملك (فوق قدر نفسه فكذلك) انت يا ايها العبد الصالح يجب (عليك ان تنظر

Marfat.com

الى المبتدع و) الى (الكافر وتقول) فى نفسك (ربما كان قدره) اى قدر كل واحد منهما (عند الله تعالى اعظم) من قدرى (لما سبق) فى علم الله تعالى وتقديره وقضائه (لهما) اى للمبتدع والكافر (من حسن العاقبة) بالموت على الطاعه الالهية والسنة النبوية (فى) سابق (الازل ولما سبق لى من سوء العاقبة) والعياذ بالله تعالى (فيه) اى فى الازل (وانا غافل عنه) اى عن سوء العاقبة (فتغضب) على المبتدع والكافر (وتنهى) كل واحد منهما عن منكره (لحكم الامر) الالهى لك بذلك (محبة) اى على وجه المحبة (لمولاك) سبحانه وتعالى الذى لايسئل عما يفعل (اذ) اى لانه (جرى) اى وقع وصدر من المبتدع والكافر (مايكرهه) سبحانه وتعالى (مع) وجود (التواضع) منك (لمن يجوز ان يكون اقرب) الى الله تعالى (منك عنده فى الآخرة) وهو المبتدع والكافر (و) السبب (الثانى) للكبر والتكبر (العبادة) لله تعالى (والورع) وهو الاحتراز عن الشبهات وفضول الحلال (فان) الرجل (العابد) لله تعالى (الورع) فى احواله ظاهرا و باطنا (قد يتكبر) فى نفسه (على) الرجل (الفاسق) وهو تارك العبادة والمرتكب للحرام (بل) قد يتكبر ايضا (على من لايعمل مثل عمله من النوافل) الزائدة (و) من (الاحتراز عن) تعاطى (الشبهات) وهى ماشبه الحرام وليس بحرام (و) الاحتراز عن (فضول الحلال) وان كان عابدا ورعا ولكن دون عبادته وورعه (وهذا) التكبر (ايضا من الجهل) الغالب على الانسان اذ قد يكون العمل القليل افضل من الكثير باعتبار العامل كما ورد فى الحديث ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة من جاهل بالله اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير فقد يكون الذى عمله قليل اعلم بالله منه فثوابه على عمله القليل خير من ثواب الاول على عمله الكثير (فعلاجه) اى علاج هذا التكبر بالعبادة والورع (ايضا) اى مثل علاج السبب الاول الذى هو العلم كما مر (معرفتان) الاولى (معرفة ان فضل العبادة والورع انما يكون باستجماعهما) اى العبادة والورع (الشرائط) التى ذكرها الفقهاء فى صحة العبادة وذكرت للورع فى كتب العلماء للفرق بين الورع والوسوسة (و) استجماع (الاركان) المذكورة للعبادة فى كتب الفقه وللورع فى كتب الغزالى وغيرها (ومجانبتهما) اى مباعدة العبادة والورع (المفسدات) للعبادة مما ذكره الفقهاء وللورع مما يخرجه الى الوسوسة قال الامام العينى فى شرح صحيح البخارى عند حديث الحلال بين واما مايخرج الى باب الوسوسة من تجويز الامر البعيد فهذا ليس من الشبهات والمطلوب اجتنابها يعنى فى باب الورع وقد ذكر العلماء له امثله قالوا هو ما يقتضيه تجويز امر بعيد كترك النكاح من نساء بلد كثير خوفا ان يكون له فيها محرم وترك استعمال ماء فى فلاة لجواز عروض النجاسة او غسل ثوب مخافة

Marfat.com

لحوق نجاسة عليه لم يشاهدها الى غير ذلك مما يشبهه فهذا ليس من الورع وقال القرطبي بل الورع فى مثل هذا وسوسة شيطانية اذ ليس فيه من معنى الشبهة شئ وسبب الوقوع فى ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية وسيأتى بيان الوسوسة فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (و) مجانبتهما ايضا (المكروهات) التحريمية والتنزيهية المذكورة فى الفقه (ومفارقتهما) اى العبادة والورع (النية الصادقة) لله تعالى من غير باعث دنيوى يبعث على فعلهما (والاخلاص) وهو تخليصهما من غرض نفسانى دنيوى اواخروى (والتقوى) فى فعلهما اى الاحتراز عن الخطرات النفسانية والتوقى من ايقاعهما على وجه الشهوة الخفية او الجلية (وصونهما) اى حفظ العبادة والورع عن) جميع (المحبطات) للثواب (والمبطلات) للصحة على حسب ماهو مفصل فى علم الفقه مما يبطل كل عبادة (وحصول هذه) الامور (بأسرها) اى جميعها فى العبادة والورع (من امثالنا) المقصرين الذين كلما رادت همتهم ان تلحق بالسابقين فى عباداتهم وورعهم اقعدتها فتورات اهل الكسل المخالطين لنا وربطتها عن المسير على سير الاوائل عادات اهل الزمان التى تدعو اليها هم اهل الدنيا بالصريح والكناية ولقد كنت فى بداية الامر منقطعا عن الامثال من كثرة الاشتغال بالعبادة والزهد فقال لى يوما بعض المغرورين بالعلم فى بلادنا ماهذه المكابدة على العبادة الادليل على وجود الزيغ والبدع فان اهل السنة والجماعة متوسطون فى العمل واراد بذلك تثبيطى عما انا فيه وكان بعضهم يعيب على حالتى ويقول لى صنيع الرهبان كثرة العبادة وانا منحمل جميع ذلك حتى من الله تعالى بالتوفيق (متعسرة) لايكاد يمضى فيها الا الموفق (بل متعذرة) من كثرة الموانع من الناس (لاسيما الاخلاص) لله تعالى وحده فى العبادة والورع بلا غرض دنيوى ولا اخروى (والتقوى) فى الظاهر والباطن (فلذا) اى لتعسر ذلك وتعذره (قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم) اى لاتمدحوها بانها ازكى من غيرها اى اشرف واطهر (هو) سبحانه وتعالى (اعلم) منكم بل لا علم لكم انتم اصلا الا بما علمكم كما يريد تعالى (بمن اتقى) ظاهرا وباطنا التقوى المشروعة حال كون الله تعالى (مشيرا) للمكلفين (بان تزكية) اى مدح (النفس) بالنفس (انما تكون بالتقوى) كما قال تعالى * ان اكرمكم عند الله اتقاكم (وانها) اى التقوى (لايعلم كنهها وحقيقتها) الموجودة فى العبد (الا الله تعالى) والعبد لاعلم له بكنه مافيه وحقيقته وانما يظن ان وجدت فيه وان لم توجدوا هل اليقين بالله اشتغلوا بما يقينهم به عن حالتهم التى هم فيها فهم يعلمون كنه نفوسهم وحقيقتها ولا يعلمون احوالها السنية الموصلة لهم الى معرفة كنهها وحقيقتها فلا يرون احوالها ليتكبروا بها (والمعرفة الثانية مثل ما) اى المعرفة الثانية التى (سبقت) فى سبب العلم (فتذكرها) وهى ان يعرف العبد الكبر من العباد حرام وانه لايليق الا بالله تعالى وانه صفة

﴿ مختصة ﴾

Marfat.com

مختصة به تعالى الى آخر ما تقدم ذكره وهنا علاجان آخران للتكبر بالعلم والعبادة الاول علمه بمعصيته اذا فعل ذلك والثانى علمه بالنصوص المقبحة لذلك الفعل وبيانه ماذكر فى الرعاية للمحاسبي قال يعترض للعامل اذا كان عالما اولم يكن عالما انه يحتقر من دونه ممن لا يعمل مثل عمله كان اعلم منه او اجهل منه ان كان اجهل منه قال فى نفسه مضيع جاهل وان كان اعلم منه قال فى نفسه الحجة عليه عظيمة وهو مضيع للعمل فيحتقر من دونه فى العمل وينظر اليهم بعين الازدراء ويتعظم عليهم وينقبض عنهم ليبدؤه بالسلام ولا يبدأهم ويبروه ولا يبرهم ويزوروه ولا يزورهم ويعودوه ولا يعودهم يريدان يأخذ بفضله عليهم وبتهرهم ويستخدم من خالطه منهم ويسخره ويأنف ان وعظوه لانه فوقهم فى العمل وهم مضيعون مفرطون فان بدأ احد منهم بالسلام اورد عليه اوقاومه اوداخله اواجابه الى دعوته رأى انه قد صنع اليهم معروفا وانه قد فعل بهم ما لا يستحقونه عنده عن مثله ولكن يفعل ذلك عنده افضله عليهم فقد تفضل عليهم بذلك عند نفسه وينظر اليهم بالاستصغار والى نفسه بالتعظيم ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه بل لا يكاد اذا رآهم او ذكرهم ان يذكر الخوف على نفسه ولا يذكر الا الخوف عليهم يرى انهم هالكون كأنه قد اتاه من الله تعالى الامان بانه لا يعذبه وذلك هو الهلاك منه الا ترى الى قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم يرويه عنه ابو هريرة وصدق صلى الله عليه وسلم لانه متكبر مزدر بخلق الله مفتر بالله عزوجل امن غير خائف فاخرجه كبره وحقريته الى هذه الاخلاق المذمومة عند الله تعالى وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالرجل من الشر ان يحقر اخاه المسلم لان الحقر يته لهم اخرجته الى هذا كله فاذا نظر اليهم بالاستصغار وخاف عليهم اكثر هما ولم يخف على نفسه الا اقلها ورجا لنفسه اكثر مما يرجوا لهم ونظروا اليه بالتعظيم والى انفسهم بالاستصغار وخافوا على انفسهم اكثر مما يخافون عليه بل يظنون انه ناج وانهم هالكون ورجواله اكثر مما يرجون لهم كانوا هم لله عزوجل اعبد واطوع فيه منه فيهم فقد تعرض للمقت من الله عزوجل وحبط الاجر فى الآخرة وان يسلبه الله عزوجل ماتكبر به عليهم من العمل وقد تعرضوا هم للرحمة من الله عزوجل بتواضعهم وحبهم له واستصغارهم انفسهم وتعظيمهم له لانه يأنف من مجالستهم والكينونة معهم وهم يتقربون الى الله عزوجل بقربه والدنو منه ولو لا حب الله عزوجل وتعظيمه ما احبوه ولا عظموه فقد عظموه واحبوه لحب الله عزوجل ورجاء القربة من الله عزوجل به فقد تعرضوا للرحمة والمغفرة وان ينقلهم الله عزوجل الى مقامد فى العبادة والاشها - وتعرض هو لحبط عمله وان ينقله الله عزوجل الى شر الاحوال اذ تكبر بما من الله عزوجل به عليه من العمل وحقر عباده وانف منهم واغتر بالله عزوجل وجعل الخوف منه عليهم ونسى نفسه ان يكون عليها اشفق واخوف ولا يؤمن

Marfat.com

ذلك عليه كما روى ان رجلا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرنا لك فقال انى ارى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسألك بالله حدثت نفسك انه ليس فى القوم افضل منك فقال اللهم نعم فيرى كأنه الناجى من بينهم لفضله عليهم مشمرا ينفض عنهم كأنه يمن عليهم بعمله كما قال الحارث بن جرير الزبيرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طلق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله فى المسلمين مثل هذا ولو كان لله عز وجل رضى هذ من احد ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال عز وجل *فبما رحمة الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك* ووصف اولياءه الذين يحبهم ويحبونه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فلا قدر عند الله تعالى لمن تكبر على عباده عابدا كان او عالما ومن العباد قوم ضلال قد جمعوا مع الضلال الكبر لا يرون احدا يقول بالحق على الله عز وجل غيرهم وانه لا مهتد فى الارض غيرهم جهلا بالله عز وجل واغترارا وتكبرا على عباده كما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم وحناجرهم وفى حديث آخر يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة واولئك هم وقود النار (و) السبب (الثالث) للكبر والتكبر (النسب) واحد الانساب وانتسب الى ابيه اى اعتزى (والحسب) بالتحريك مايعده الانسان من مفاخر آبائه ويقال حسبه دينه ويقال ماله والرجل حسيب وقد حسب بالضم حسابة مثل خطب خطابة قال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان فى الرجل وان لم يكن له آباء لهم شرف قال والشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء كذا فى الصحاح وفى المصباح المنير والحسب بفتحتين مايعد من المآثر وهو مصدر حسب وزان شرف شرفا وكرم كرما وقال الازهرى الحسب الشرف الثابت له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه انتهى ومما يشهد لقول ابن السكيت المذكور قول الشاعر

* ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن * له حسب كان اللئيم المذمما *

فجعل الحسب فعال الشخص مثل الشجاعة وحسن الخلق والجود (والكبر بهما) اى بالنسب والحسب (ناش عن الجهل) بنفسه وبما ينبغى ان يكون فيه من الاخلاق وبربه وبما يجب له عز وجل وبامثاله من جميع المخلوقين وانهم مساوون له لان الخالق واحد (ايضا) كما نشأ السببان المتقدمان عن الجهل (لانه) اى المتكبر بالنسب والحسب (تعزز) فى نفسه على امثاله من الناس (بكمال غيره) من آبائه واجداده وبمآثرهم ومحامدهم لا بكمال نفسه ومآثرها ومحامدها (ولذا قيل) او قال الشاعر (لئن فخرت)

Marfat.com

يقال فخرت به فخرا من باب نفع وافتخرت مثله والاسم الفخار مثل كلام وهو المباهات بالكارم والمناقب من حسب ونسب وغيرذلك اما فى المتكلم اوفى آبائه كذا فى المصباح (بآباء) جمع آب (ذوى) جمع ذى بمعنى صاحب (شرف) بالتحريك وهو العلو وشرف فهو شريف وقوم شرفاء واشراف (لقد صدقت) فى ان لهم شرفا وهم شرفاء (ولكن بئس) هى كلمة ذم ونعم كلمة مدح يقال بئس الرجل بئس زيد وبئست المراة هند وهما فعلان ماضيان لايتصرفان لانهما ازيلا عن موضعهما فنعم منقول من قولك نعم فلان اذا اصاب نعمة وبئس منقول من بئس فلان اذا اصاب بؤسا فنقلا الى المدح والذم فشابها الحروف فلم يتصرفا كذا فى الصحاح (ما) اى الذى ولم يقل من لزيادة الذم بقلة العقل فقال مالما لايعقل ومن لمن يعقل (والدوا) اى الآباء المذكورون (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اخرجه) اى رواه عنه (م) اى مسلم فى صحيحه باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه من ابطأ) اى تأخر يقال ابطأ الرجل اى تأخر يقال ابطأ الرجل اى تأخر مجيئه وبطئ مجيئه بطأ من باب قرب وبطاءة بالفتح والمدفهو بطئ فعيل كذا فى المصباح (به عمله) بحيث لم يلحق باصحاب الهمم السابقين الى الهدى وتباع طريق الامم (لم يسرع به) الى ادراكهم (نسبه) الشريف من قبل آبائه (انظر) ياايها المفتخر بنسبه (الى ابن آدم قابيل) وكان ابنه لصلبه وهو الذى قتل اخاه هابيل (و) الى (ابن نوح عليهما) اى على آدم ونوح (السلام) من الله تعالى (كنعان) وهو اسم ابن نوح وقيل انه كان ابن زوجته وفى الاتقان للاسيوطى ان ابن نوح اسمه يام (هل نفعهما) عند الله تعالى (نسبهما) حيث هما من اولاد الانبياء (ثم انظر) ياايها المتكبر بالنسب (الى نسبك الحقيق) الذى هو سبب لوجودك فى الدنيا (فان اباك القريب) اليك باعتبار ولادته لك من امك وهو الباقى بالحياة ان كان حيا (نطفة) اى قطرة منى من ابيه الذى هو جدك (مذرة) باذال المعجمة اى فاسدة يقال مذرت البيضة والمعدة مذرا فهى مذر من باب تعب فسدت وامذرتها الدجاجة افسدتها كذا فى المصباح (وجدك) اى ابوابيك (البعيد) اى الذى بعد عنك وهو الجد الاعلى الذى قدمات اوآدم عليه السلام لانه تعالى * خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * (تراب) لفنائه وتفرق اجزائه فى قبره (ذليل) بعد ذهاب عزه الذى كان له وانت الآن تفتخر به (فكيف يليق بك) مع ذلك (التكبر) على امثالك (بالنسب) والكل بنوا آدم وحوى (و) السبب (الرابع) للكبر والتكبر (الجمال) يقال جمل الرجل بالضم والكسر جمالا فهو جميل وامرأة جميلة قال سيبويه الجمال رقة الحسن ولاصل جمالة بالهاء مثل صبح صباحة لكنهم حذفوا الهاء تخفيفا لكثرة الاستعمال كذا فى المصباح وفى المجمل الجمال ضد القبح ورجل جميل وجمال (وذلك) اى الجمال (اكثر

Marfat.com

ما يجرى) اى يوجد (فى النساء) وقد يكون فى الرجال ايضا و نجذاب القلوب اليه فى النساء هو الاصل لانه فيهن لحكمة التناسل واذا انجذبت القلوب الى الغلمان الحسان كان ذلك لشبهتهم بالنساء فيه وكان مذموما لخلوه عن حكمة التناسل (وهذا) التكبر بالجمال (ايضا) كالتكبر بالنسب (جهل) محض (اذهو) اى الجمال (فان) اى مضمحل كل يوم شيئا فشيئا (سريع الزوال) لانه عرض ذاهب (لاتنظر) ياايها المتكبر بالجمال (الى ظاهرك) المزخرف بزينة الحياة الدنيا ونضارة الشباب وترف العيش (نظر) اى مثل نظر (البهائم) اى لاتتأمل نفسها ولاغيرها وهى جمع بهيمة والبهيمة كل ذات اربع قوائم ولو فى الماء او كل حى لايميز كذا فى مختصر القاموس (وانظر) اى مع نظرك الى الظاهر (الى باطنك) ايضا الذى هو نفسك وما اشتملت عليه من الاخلاق الحسنة او السيئة (نظر العقلاء) اى مثل نظرهم فانهم يتأملون احوالهم ظاهرا او باطنا ويتفكرون فى امورهم التى هم عليها (اولك) اى مبدأ وجودك ياابن آدم (نطفة مذرة) اى فاسدة منتنة مستقذرة كما قال تعالى * الم نخلقكم من ماء مهين (خرجت) تلك النطفة (من مجرى البول) وهو ذكر ابيك الذى يجرى فيه بوله (ودخلت) تلك النطفة (فى مجرى) بول (آخر) وهو فرج امك (واختلطت) تلك النطفة بنطفة (اخرى) وهى نطفة امك (و) اختلطت ايضا بما فى امك من (دم الحيض ثم خرجت) تلك النطفة (منه) اى من مجرى البول الآخر وهو فرج الام (مرة اخرى) كما خرجت من مجرى بول ابيك وهو ذكره (وآخرك) ياابن آدم وهو منتهى حالك اذا مت وخرجت من الدنيا ودفنت فى قبرك (جيفة) وهى الميتة من الدواب والمواشى اذا انتنت والجمع جيف مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير مافى جوفها كذا فى المصباح (قذرة) من القذر بالذال المعجمة وهو الوسخ وقد يطلق القذر على النجس كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للخاتم نعليه اخبرنى جبريل ان بهما قذرا كما فى المصباح (وانت بينهما) اى بين اولك وآخرك وهو حال حياتك الدنيا (حامل العذرة) وزان كلمة وهى الخرء والغائط (فى امعائك) جمع معاء وهو المصران وقصره اشهر من المد وجمعه امعاء مثل عنب وجمع الممدود امعية مثل حمار واحمرة كذا فى المصباح (والبول فى مثانتك) وهى بالثاء المثلثة مستقر البول من الانسان والحيوان وموضعها من الرجل فوق المعاء المستقيم ومن المرأة فوق الرحم والرحم فوق المعاء المستقيم كما فى المصباح (والمخاط فى انفك) جامد وسائل (والبزاق) ويقال بالسين والصاد المهملتين ايضا (فى فيك) اى فمك (والوسخ) المنتن (فى اذنك والدم فى عروقك والصديد) وهو الدم المختلط بالقيح الذى كانه الماء فى رقته والدم فى شكله وزاد بعضهم فقال ذا خثورة وهو مدة واصد الجرح بالالف صار ذا صديد كذا فى المصباح (تحت بشرتك) اى ظاهر جلدك (والصنان) بالضم قال فى المصباح هو الزفر تحت

Marfat.com

الابط وغيره واصن الشئ بالالف صار له صنان (تحت ابطك) كلما عرقت تحركت رائحته المنتنة (وتغسل الغائط) والبول الخارج منك (كل يوم دفعة اودفعتين بيدك وتتردد الى الخلاء) وهو ممدود المتوضأ والخلاء ايضا المكان الذى لا شئ به كذا فى الصحاح (كل يوم) لاجل قضاء حاجتك (مرة اومرتين) اواكثر (وكل هذا) المذكور (سبب الضعة) بفتح الضاد المعجمة وكسرها اسم من وضع فى حسبه بالبناء للمفعول فهو وضيع اى ساقط لاقدرله كذا فى الصحاح (والذل والحياء فضلا عن) ان يكون من اسباب (الكبر والخيلاء) وفى الرعاية للمحاسبى قال لقمان لابنه يابنى مالاقذراء والكبر وصدق رحمه الله تعالى من كان اصله مما داس بالاقدام ومع ذلك انه خمر طينته حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واصله دنى وضع عند الخلق لانه اذا اراد الرجل ان يصغر بقدر غيره قال لانت اهون على من التراب الذى اطأه بقدمى ولانت انتن من الحماة فاصل ابن آدم من التراب الذى يوطأ بالاقدام حمأ مسنون قداسن اى انتن ثم صار بعد الاصل نطفة قذرة ومنها فصله واذا عير الرجل الرجل واراد ان يصغر قدره قال لااصل لك ولافصل والاصل عند العرب الجد والفصل الاب فمن كان اصله التراب وفصله النطفة لان جده من تراب واباه من نطفة وهو بعد ابيه من نطفة فالاصل يوطأ بالاقدام والنطفة تغسل منها الاجساد والثياب فخلق من دناءة وضعف واقذار الانسيع الى قول الله عز وجل * قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه * وقال * وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * وقال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ايعجزنى ابن آدم وانما خلقته من مثل هذه وبزق النبى صلى الله عليه وسلم فى كفه فخلق الانسان من اقذار وسكن فى اقذار وخرج من اقذار لانه خرج من صلب ثم من ذكر مجرى البول الى رحم خرج منه من مخرج القذر كما قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه قال انس بن مالك كان ابو بكر يخطبنا فيقول فى خطبته خرج احدكم من مخرج البول مرتين حتى يقذر الى احدنا نفسه فاول ابن آدم تراب ثم نطفة موات ثم علقة موات ثم مضغة موات ثم جسم موات لايسمع ولايبصر ولاينطق ولايعقل ولايتحرك لما به من الذلة والمهانة ثم نفخ فيه الروح ثم اخرج الى الدنيا بعد مانقله الله من هذه الاحوال فاخرجه حيا ضعيفا صغيرا فلبلائم وكل به الاقذار الرجيع فى بطنه والبول فى مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى اذنيه ثم النتن والاقذار تسرع اليه ان تهاون بنفسه ان يغسلها وينظفها صار انتن من الدواب ووكلت به الامراض والاسقام والطبايع المختلفة المتضادة لاتفارقه من المرة الصفراء والسوداء والبلغم والريح والدم وهو مع ذلك عبد ذليل امره الى غيره يجوع كرها مقهورا ويعطش كرها مقهورا ويغلبه النوم كرها مقهورا لايملك لنفسه فى ذلك ضرا ولانفعا يقلب فى المكروهات يريد من نفسه مالايقدر عليه يريد

Marfat.com

ان لا يجوع ولا يظمأ ولا يمرض ويبتلى به من ذلك خلاف مراده و يريد ان يذكر الشئ فينساه و يريد ان ينسى الشئ فيذكره ثم هو مع ذلك لا يأمن ان يكون تلفه فيما يريد و يحب ولعله ان يكون تلفه في شبعة اونومة فلا يقوم منها عبد مملوك ذليل يقلبه غيره لا يأمن في ليله ونهاره ان يسلب سمعه و بصره وجميع جوارحه او بعض ذلك حتى يرد الى بعض احواله في بدايته من العمى والصمم والبكم والجهل حتى يذهب عقله وقدر الله عز وجل فعل ذلك بكثير من خلقه ثم هو مع ذلك لا يضمر بقلبه ولا يحرك جارحة من جوارحه ولا يكتسب ولا ينفق ولا يأكل ولا يشرب الا وعليه من يحصى ذلك عليه كله حتى يحاسب به و ينظر فيه ثم هو مع ذلك لا يأمن ان يسلب ملكه فعايه في ملكه مالك وليس لنفسه بمالك ولا على ما اراد فيها بقادر وهو مع ذلك مخالف لملكه ومولاه غير شاكر و ناس له غير ذاكر فقد ركب كثيرا مما نهاه الله عز وجل عنه وضيع كثيرا مما امره به وقد استوجب بذلك من العذاب ما ان لم يعف عنه كانت الخنازير والكلاب خيرا منه وافضل وانظف واطهر واطيب وارفع لان الخنازير تصير ترابا وهو يصير معذبا ابدا لو وجد الخلائق نتن ريحه لماتوا من نتنه ولو رأوه اصعقوا من وحشة خلقته و لو قطرت قطرة من شرابه الذى يشربه و يفزع اليه ليسكن به عطشه على جبال الدنيا لاذابتها مخلد في غاية الذل والخضوع والمسكنة والهوان والعذاب فمن هو في الدنيا بهذا الوصف واعظم منه قد وجب في رقبته واستحقه وحكم عليه به كيف يكون ذله وتواضعه كيف ينبغي لمن كان هذا الوصف قد وجب عليه ان يتقلب بين العباد هل يمتنع هذا ان عقل ان يكون في نفسه ذليلا مهينا (و) السبب (الخامس) للكبر والتكبر (القوة) في البدن (وشدة البطش) وهو الاخذ بعنف و بطشت اليد اذا عملت فهي باطشة كذا في المصباح (والتكبر بهما) اى بالقوة والشدة (جهل ايضا) من الانسان كالتكبر بالاسباب المذكورة (اذ الحمار والبقر والجمل والفيل كل ذلك اقوى من الانسان) اى اشد قوة منه وصلابة في الاعضاء (واى افتخار) للانسان (في صفة تسبقك البهائم) المذكورة وغيرها (فيها ثم انها) اى تلك القوة (تزول بحمى يوم) والحمى فعلى غير منصرف فة لالف التأنيث والجمع حميات واحمه الله بالالف من الحمى فحم بالبناء للمفعول وهو محموم كذا في المصباح وفي حديث الجامع الصغير للاسيوطى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة قال المناوى في شرحه مجرمة بضم الميم وفتح الجيم وشد الراء يقال سنة مجرمة بالجيم اى تامة كذا في مسند الفردوس وذلك لانها تهد قوة سنة فقد قال بعض الاطباء من حم يوما لم تعاوده قوته الى سنة فجعلت مثوبته على قدر رزيته وقيل لان للانسان ثلاثمائة وستين مفصلا وهي تدخل في الكل فيكفر عنه بكل

Marfat.com

مفصل ذنوب يوم وقيل لانها تؤثر فى البدن تأثيرا لا يزول بالكلية الا الى سنة (ونحوها) اى الحمى كبقية الامراض (فلاتقدر) انت ياايها الانسان المتكبر بها (على حفظها) اى حفظ القوة الذاهبة عنك (ولا على تحصيلها) اذا كانت غير حاصلة لك (بل هى) اى القوة فيك (كظل زائل) اى منقض شيئا فشيئا او بالاضافة اى كظل شئ زائل من طير يطير فى الهوى فيظهر ظله زائل مثله ونحو ذلك (ونوم نائم) اى انسان او غيره نام ثم انقضى نومه وتسرى عنه فاستيقظ كأنه لم ينم (و) السبب (السادس) للكبر والتكبر (المال) وهو معروف ويذكر ويؤنث هو المال وهى المال ويقال مال الرجل يمال مالا اذا كثر ماله فهو مال وامرأة مالة وتمول اتخذ مالا ومواله غيره والمال عند أهل البادية النعم كذا فى المصباح (والتلذذ بمتاع الدنيا) والمتاع فى اللغة كل ماينتفع به كالطعام وغيره واثاث البيت واصل المتاع ماتبلغ به من الزاد وهو اسم من متعته بالتثقيل اذا اعطيته ذلك والجمع امتعة كما فى المصباح (و) السبب (السابع) للكبر والتكبر (الاتباع) جمع تبع بالتحريك قال فى المصباح تبع زيد عمرا تبعا من باب تعب مشى خلفه اومر به فمضى معه والمصلى تبع لامامه والناس تبع له يكون واحدا وجمعا ويجوز جمعه على اتباع مثل سبب واسباب (من البنين) بيان للاتباع وهو جمع ابن (والاقارب) جمع قريب يقال زيد قريبى وهند قريبتى وهم الاقرباء والاقارب والاقربون وهن القرائب كما فى المصباح (والغلمان) جمع غلام وهو الابن الصغير ويطلق على الرجل مجازا باسم ماكان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازا باسم مايؤل اليه ويراد به هنا الخادم (والجوارى) جمع جارية وهى الامة (والتلامذة) جمع تلميذ وهو الطالب للتعليم (والتقرب من السلطان و) من (ولاته) وهم الوزراء والامراء (وقضاته) جمع قاض ونحوهم (وهذان) اى المال والاتباع (اقبح انواع اسباب الكبر لانه) اى التكبر بسببهما (تكبر بما هو خارج عن ذات الانسان) غير جزء منه ولاصفة له كالاسباب المتقدمة (سريع الزوال) عن صاحبه ولهذا قالوا انما سمى المال مالا لانه يميل بسرعة عن صاحبه الى غيره بانصرف فيه (و) سريع (الانقلاب) عنه الى غيره فقد تنفر عنه الاتباع لفتنة اوفقرا وموت (يشترك فيه) اى فى ذلك الذى تكبر به (اليهود والنصارى) وهم كافرون فلا يوجب ذلك رفعتهم فى الناس فكم من كافر له مال كثير واتباع كثيرون (لوهلك ماله) اى مال ذلك المتكبر به (اواتباعه) الذين تكبر بهم (اوعزل) بالبناء للمفعول (اومات سنده) اى من يستند اليه من السلطان اوالوالى اوالقاضى (كان) ذلك المتكبر حينئذ (ذل الخلق) اى المخلوقات (واحقرهم) بين الناس (فاف) بالتشديد يقال افا له وافة له اى قذرا له والتنوين للتكبير وافة وتفة وقد افف تأفيفا اذا قال اف قال الله تعالى * فلاتقل لهما اف

Marfat.com

وفيه ست لغات حكاها الاخفش كذا في الصحاح وفي مختصر القاموس ولغاتها اربعون (الشرف) يتكبر به الانسان (يحدث) ياايها المسلم (به اليهود) فيكون عندهم اعظم مما يكون عندك وهو المال والاتباع (وان لشرف بأخذه السارق) من صاحبه (في الخلاء) وهو المال (ثم ان للتكبر فقط) من حيث هو تكبر في نفسه مع قطع النظر عما يوجد في الظاهر من الاسباب المذكورة (ثلاثة اسباب اخر) غير السبعة المذكورة خفية لاتكون الا في نفس المتكبر تدعوا الى التكبر بالاسباب السبعة المذكورة لايكاد يطلع عليها غير صاحبها الذي هي فيه السبب الاول (الحقد) بالكسر قال في الصحاح هو الانطواء على العداوة والبغضاء وحقد عليه من باب ضرب وفيه لغة من باب تعب والجمع احقاد (كالذي يتكبر على من يرى) في بصيرته (انه مثله) في العلم او الصلاح او الدنيا (او فوقه) اي اعلى منه في شيء من ذلك ونحوه (ولكن قد غضب عليه بسبب) من الاسباب (سبق منه) في حقه كالايذاء له بكلمة ونحوها (فاورثه) ذلك السبب (حقدا) عليه (ورسخ في قلبه بغضه) بذلك السبب ولا بد ان يكون دنيويا اذ لو كان دينيا كارها له بمعصية او نهيه عن طاعة كان محمودا في تكبره عليه بذلك وحقده عليه (فلا تطاوعه نفسه) مع ذلك (ان يتواضع له) اصلا (ويحمله) ذلك الحقد (على رد الحق) والصواب (اذا جاء من جهته) اي من جهة المحقود عليه (و) يحمله (على الانفة) اي على الامتناع والتباعد (من قبول نصحه) اي نصح المحقود عليه (و) يحمله (على ان يجتهد) اي يبذل قدرته (في) تحصيل (التقدم عليه) اي على المحقود عليه فيما علم انه مثله فيه او فوقه مما ذكر وغيره كالاخلاق والصنائع (و) السبب الثاني (الحسد) للغير وسيأتي بيانه (فانه) اي الحسد (يدعو) اي يوصل (الى جحد) اي انكار (الحق و) الى (التكبر على المحسود مع معرفته) اي معرفة الحاسد (بفضله) اي بفضل المحسود (عليه) اي على الحاسد (وعلاج) اي مداواة (التكبر) على الغير (بهذين) السببين (ازالتهما) اي الحقد والحسد (وسيجئ) بعد هذا بيان ذلك (ان شاء الله تعالى) مفصلا في بحث الحقد والحسد (و) السبب الثالث (الرياء) وسبق بيانه (حتى ان الرجل ليناظر) اي يباحث في العلم (من الناس من يعلم انه افضل منه) بعلامة لاتخفى على الفاضل (و) مع ذلك (ليس بينهما معرفة) سابقة ليكون عنده بسبب ذلك ما يقتضي تكبره عليه (ولا) بينهما (حقد ولا حسد) ايضا (ولكن يمتنع) ذلك الرجل (من قبول الحق) من غيره (ويتكبر عليه خفية ان يقول الناس) اذا رأوه يناظره ويعترف له بالحق (انه) اي ذلك الغير (افضل منه) اي من الرجل المناظر (ولو خلا) ذلك الرجل (معه) اي مع ذلك الغير (بنفسه) حيث لا احد مطلع عليهما (لكان لايتكبر عليه) بل يتواضع له

ويقبل منه الحق (وقد يكون الباعث على التكبر المراآة بأسباب الدنيا كرثاثة في بذته) اذا كان خاليا من الناس (مالا يلبس) من الثياب (عند الناس) تكبرا عليهم (و) قد (يستنكف) اى يمتنع انفة واستكبارا (من حمل حوائجه) من ملبس ومأكل ومشرب ونحو ذلك اذا كان (بين الناس ويحمل) جميع ذلك اذا كان وحده (في الليل وحيث لا يراه الناس) فيكون فعله ذلك تكبرا على غيره ﴿ المبحث الرابع ﴾ من المباحث الخمسة (في علامات التكبر والتكبر) التي يستدل بها على وجوده في الانسان بالنظر اليه ليعرف ذلك هو من نفسه او يعرفه غيره منه غالبا (اعلم ان الكبر قد يخفى على صاحبه) الذى هو موجود فيه (حتى يظن) صاحبه (انه برئ منه) اى من الكبر (فلابد من بيان اخلاق) اى عادات (المتكبرين) على غيرهم (حتى يعرض كل سالك) من الناس (نفسه عليها) اى على الاخلاق المذكورة (فيميز) السالك الامر (الخبيث من الامر) (الطيب فلا يغره) اى يخدعه ويضله (الغرور) من الشيطان او الهوى او الدنيا وهى اخلاق كثيرة ولهذا لم يعدها لامكان الزيادة على ما ذكر ولكنه قال (فمنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يحب قيام الناس له) ليظهر شانه بذلك عنه غيره في مجامع الناس وغيرها وقد يحب قيام الغير له لاعتياده من صغره حيث كان من اولاد الاكابر فيستوحش اذا ترك احد القيام له ولا يخطر التكبر في باله وقد يحب القيام له ليرغم انف من يخالفه في الدين اذا رأوا الناس يقومون له ويعظمونه وقد يحب القيام له ليظهر تعظيمه عند القاصرين فيمتثلون قوله في نصحهم في الدين وليس ذلك حينئذ من اخلاق المتكبرين والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى ولا يعلم ما في القلوب غير علام الغيوب (او يحب قيام الناس (بين يديه) وان لا يساووه في الجلوس (تعظيما) منهم (لنفسه) واظهارا لشرفه عليهم بين الناس واما لو احب ذلك تعظيما منهم لشرف العلم المشتمل عليه فليس ذلك بمذموم كما ذكر العيني رحمه الله تعالى في شرح البخارى عن اسحاق السعيدى انه قال كنت ارى يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند الى اصل منار مسجده فيقف بين يديه على بن المدينى والشاذكونى وعمرو بن على واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يسئلونه عن الحديث وهم قيام على ارجلهم الى ان يجئ صلاة المغرب ولا يقول لاحد منهم اجلس ولا يجلسون هيبة له ولد سنة عشرين ومائة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة (بلا وجدان كراهة من نفسه) لا تكلف له فيها (لهذا الحب) المذكور من حب قيام الغير له وقيامهم بين يديه (بل) كان ذلك الحب منه (قبول وركون اليه) في نفسه فهو من اخلاق المتكبرين حينئذ (فان وجد كراهة) لحب ذلك (وعدم اجابة) للحب المذكور (في نفسه فبل طبيعى) بسبب اعتياده على ذلك (او وسوسة) منه او جبتهما خفة عقله (لا يضران) اى الميل والوسوسة اذ لا تكبر فيهما حينئذ (كما ذكرنا في) الكلام السابق على (الرياء) حيث ان منه ما لا ضرر فيه (ومنها)

Marfat.com

اى من اخلاق المتكبرين (ان لا يمشى) الانسان (الا ومعه غيره) من عبده اوتلميذه اوصاحبه (يمشى خلفه) او محاذيا له لئلا يراه الناس وحده فيحتقرونه ولا يعظم فى اعينهم وقد يكون ذلك على سبيل العادة منه بحيث يجد الوحشة اذا مشى وحده لانطباعه على المشى مع الغير فلا يكون تكبرا وقد يكون خوفا على نفسه من عدو او داعر اوسفيه ينتهك حرمته ويؤذيه اذا وجده وحده فلا يكون تكبرا (ايضا ديلم حدج) يعنى روى الديلمى والامام احمد بن حنبل وابن ماجه باسانيدهم (عن ابى امامة انه) اى النبى (عليه الصلاة والسلام خرج) يوما من الايام (يمشى الى البقيع) وهو فى الاصل المكان المتسع ويقال الموضع الذى فيه شجر وبقيع الغرقد بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم كان ذا شجر وزال وبقى الاسم وهو الآن مقبرة وبالمدينة ايضا موضع يقال له بقيع التزبه كذا فى المصباح والمراد هنا المقبرة المعروفة (فتبعه اصحابه) اى بعضهم (فوقف) فى الطريق (وامرهم ان يتقدموا) عليه فى المشى (ومشى) هو (خلفهم فسئل) اى سأله سائل منهم اومن غيرهم (عن) سبب (ذلك) الوقوف وامره لهم بالتقدم عليه (فقال) عليه الصلاة والسلام (انى سمعت خفق نعالكم) يعنى خلفه ليلحقوا به فى مشيهم فيذهبوا معه حيث ذهب وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى خلفه ليراهم لاحقين به وانما استدل على ذلك بسماعه خفق نعالهم من خلفه لانه عليه الصلاة والسلام كان اذا التفت التفت جميعا كما نقل فى شمائله النبوية عليه السلام (فاشفقت) اى حذرت واحترزت قال فى المصباح اشفقت من كذا بالالف اى حذرت (ان يقع فى نفسى شئ من الكبر) حيث يجد نفسه متقدما عليهم وهم متأخرون عنه مع انه عليه السلام متقدم عليهم كلهم ظاهرا وباطنا على كل حال لانه معلم الخير والدال على سبيل الهدى ولكن اراد تعليم التواضع وكيفية الاحتراز من الكبر لامته صلى الله عليه وسلم ارشادا لهم وهداية كما كان فى دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور كما رواه الخطيب فى التاريخ عن ام معبد الخزاعية اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وكثير مثل هذا تعليما منه صلى الله عليه وسلم لامته كيف يدعون الى الله تعالى ويسترشدون الى سبيل الهدى وان كان هو عليه السلام معصوما من النفاق والرياء والكذب والخيانة بالاجماع (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان لا يزور غيره) من الناس لعظمه هو فى نفسه وحقارة الغير عنده (وان كان يحصل من زيارته) هو لذلك لغير (خير) كثير (له) بالتماس البركة من الغير او تحصيل الفوائد العلمية او الدنيوية منه (او) خير كثير (لغيره من تعليم التواضع) لذلك لغير ونحو هذا فانه تكبر على الغير واما اذا لم يزر غيره لاشتغاله هو فى نفسه بعلم اوعبادة اومخافة الوقوع فى غيبة اومداهنة اولئلا يثقل ذلك على الغير او نحو ذلك فليس بتكبر (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف)

Marfat.com

اى يمتنع ويتباعد فى نفسه (من جلوس غيره) من الناس (بالقرب منه) مخافة ان يساويه فى المجلس وهو عند نفسه اكبر منه ولا يرضى فى نفسه (الا ان يجلس) ذلك الغير (بين يديه) متأدبا معه كمال الادب فهو تكبر واما لو اراد ذلك من الغير لكمال امداد الغير من الله باحترام المشايخ وتأدبهم فى حضرتهم وكان هو من المشايخ النافعين للناس بتعليم العلم او التسليك فى طريق الهدى فلا يتكبر فى ذلك (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يتوقى) اى يحترز ويجتنب (مجالسة المرضى) جمع مريض (والمعلولين) اى من فيهم علة من العلل لنقصانهم عنده وارتفاعه عليهم بالعافية مما ابتلاهم الله تعالى به (ويتحاشى) اى يتباعد (عنهم) فلا يقربهم ولا يقبلهم ويعرض عنهم كلما رآهم استكبارا واستعظاما ومثل ذلك الاستنكاف عن مجالسة الفقراء والمساكين كما ذكره الشيخ عبد الرحمن بن رجب رحمه الله فى كتابه اختيار الاولى فى شرح حديث اختصام الملأ الاعلى قال فان المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين حتى ان بعض علماء السوء كان لا يشهد الصلاة فى جماعة خشية ان تزاحمه المساكين فى الصف ويمتنع بسبب هذا الكبر خير كثير جدا فان مجالس الذكر والعلم يقع فيها كثيرا مجالسة المساكين فانهم اكثر اهل هذه المجالس فيمتنع المستكبر من هذه المجالس بتكبره وربما كان المسموع منه الذكر والعلم من جملة المساكين فيأنف اهل الكبر من التردد الى مجلسه لذلك فيفوتهم خير كثير وقد اخبر الله تعالى عن المشركين انهم *قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم *يشيرون الى عظماء مكة والطائف كعتبة بن ربيعة واخيه شيبة ونحوهما من صناديد قريش وثقيف ذوى الاموال والشرف فيهم ممن كان اكثر مالا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واعظم رياسة عندهم ورد عليهم سبحانه بانه يقسم رحمته كما يشاء وانه كما رفع درجات بعضهم على بعض فى الدنيا فكذلك يرفعها فى الآخرة وان رحمته بالنبوة والعلم والايمان خير مما يجمعون من الاموال التى تفنى فهو سبحانه يخص بهذه الرحمة الدينية من يشاء ويرفعه على اهل النعم الدنيوية وقد خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما لم يشاركه فيه غيره من هذه النعم كما قال تعالى له *وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما* وقد كان على بن الحسين يجلس فى مجلس زيد بن اسلم فيعاتب على ذلك فيقول انما يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع او كما قال يشير الى انه ينتفع بسماع ما يسمعه من العلم والحكمة وزيد بن اسلم ابو مولى لعمر وعلى بن الحسين سيد بنى هاشم وشريفهم ولما اجتمع الزهرى وابو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بنى امية لما حج وسمع الزهرى كلام ابن حازم وحكمته اعجبه ذلك وقال هو جارى منذ كذا وكذا وما جالسته ولا عرفت ان هذا عنده فقال له ابو حازم اجل انى من المساكين ولو كنت من الاغنياء لعرفتنى فوبخه بذلك وفى رواية عنه انه قال له

Marfat.com

لواحببت الله احببتنى ولكنك نسيت الله فنسيتنى يشير الى ان من احب الله تعالى احب المساكين من اهل العلم والحكمة لاجل محبته لله تعالى ومن غفل عن الله تعالى غفل عن اوليائه من المساكين فلم يرفع بهم رأسا ولم ينتفع بما اختصهم الله عز وجل به من الحكمة والعلوم النافعة التى لاتوجد عند غيرهم من اهل الدنيا وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن اهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة فى الدنيا ويدعون اهل الرياسة والولايات فلا يأخذون عنهم ماعندهم من العلم بالكلية (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يتعاطى بيده شغلا) من اشغال الدنيا (فى بيته) اصلا استعظاما واستكبارا فى نفسه عن مقارفة ذلك ومساواة الناس فيه فيكل ذلك كله الى خدمه وغلمانه واما اوترك ذلك عجزا منه لمرضه اولكبر سنه اولاعتياده على عدم اتقان العمل بنفسه ونحو ذلك فليس بتكبر (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان لايحمل متاعه) من السوق (الى بيته) بنفسه بل يتخذله من يحمل ذلك (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل هذه المنفيات) اى التى امتنع منها المتكبر فلم يفعلها اخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير باسناده الى الحاكم عن عائشة انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل مايعمل الرجال فى بيوتهم وباسناده الى ابن عساكر عن ايوب كان صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف) اى يمتنع (عن لبس الدون) اى القليل القيمة (من الثياب) مخافة ان تنقص عظمته من قلوب الناس وتقل هيبته عندهم الا اذا كان يحافظ بذلك على مروءة امثاله حتى لايستخف به خصوصا من نفعه متعد الى غيره (وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خرجه) اى رواه (د) يعنى ابا داود باسناده (عن ابى امامة رضى الله عنه البذاذة) وهى التواضع فى اللباس والبذاذة القهل ورثاثة الهيئة يقال رجل باذ الهيئة وفى هيئته بذاذة وهى ترك مداومة الترلق والزينة كذا ذكره الهروى فى الغريبين (من الايمان بالله تعالى) اى محسوبة منه لان مقتضاها تعليم النفس التصدق بما قدره الله تعالى وقضاه من حسب الحال والرضاء عنه تعالى بما قسمه من الرزق مساواة للفقراء والمساكين لئلا يتميز عنهم وقد يصل الى حالتهم بعد حين فيكون متهيأ للفقر والمسكنة برثاثة الهيئة (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف) اى يمتنع ويتجنب (عن دعوة) اى ضيافة (الفقير) من الناس (لاعن دعوة) اى ضيافة (الغنى) منهم (والشريف) اى صاحب الشرف فان الفقراء افضل من الاغنياء وفى طعامهم البركة وجبر قلوبهم وفى اجابة دعوتهم كسر صولة النفس الامارة بالسوء من نفوس الاغنياء كما قال ابن رجب فى كتابه اختيارا لاولى ان مجالسة المساكين توجب رضاء من يجالسهم برزق الله عز وجل وتعظم عنده نعمة الله

Marfat.com

تعالى عليه بنظره فى الدنيا الى من هو دونه ومجالسة الاغنياء توجب التسخط بالرزق ومد العين الى زينتهم وما هم فيه من زخارف الدنيا وقد نهى الله عزوجل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تعالى * ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال ابوذر وصانى رسول الله صلى الله تعالى وسلم ان انظر الى من دونى ولا انظر الى من فوقى ووصانى ان احب المساكين وادنو منهم وكان عون بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود يجالس الاغنياء فلا يزال فى غم لانه لا يزال يرى من هو احسن منه لباسا ومركبا ومسكنا وطعاما فيتركهم ويجالس المساكين فيستراح من ذلك وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عائشة رضى الله عنها عن مخالطة الاغنياء وقال عمر رضى الله عنه اياكم والدخول على اهل السعة فانه مسخطة الرزق وذكر ابن رجب قبل ذلك فى فضيلة الفقراء قال وكذلك قال هرقل لابى سفيان لما سأله عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهل يتبعه اشراف الناس او ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم قال هرقل هم اتباع الرسل وهم افضل من الاغنياء عند كثير من العلماء او اكثرهم وقد دل على ذلك ادلة كثيرة منها قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين مر به الغنى والمسكين فى المسجد هذا يعنى المسكين خير من ملاء الارض من مثل هذا يعنى الغنى وقد خرجه البخارى (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف) اى يمتنع (عن قضاء حاجة الاقرباء) له (والرفقاء) اى الاصحاب (فى السوق) تعظما فى نفسه عن مثل ذلك (خصوصا شراء الاشياء الحسيسة) اى الدنية القليلة القيمة (كالصابون) للغسل به (والكبد والكرش) من الغنم والبقر والابل وغيرها لاكلها (والحناء) الاختضاب بها (والنورة والمصطكى والمشط) للانتفاع بذلك واما اذا كان لا يحسن شراء ذلك بنفسه بان كان من اهل البيوت نشأ على ان لا يباشر ذلك بنفسه فلو باشرها وجد فى نفسه مشقة عظيمة غير مخافة سقوط جاهه عند من يراه فذلك امر طبيعى وليس بتكبر (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يثقل عليه) فى نفسه (تقدم الاقران) اى المماثلين له فى العلم او الدين او الجاه او المنصب او الحرفة ونحوه عليه (فى المشى والجلوس) فلا يرضى ان يكون (بحيث اذا مشى او جلس) مقترنا (باحدهم) اى احد الاقران (يمشى) هو (خلفه) اى خلف ذلك المماثل له (ويجلس تحته متصلا به) اى لاصقا بجانبه لرؤيته فى ذلك كمال الحقارة له وكمال التعظيم لذلك القرين ولا تسمح نفسه بهذا الامر (فان اتفق) له (مثل ذلك) فى مشى او جلوس (فاما ان يذهب) وحده (او يفارق) ذلك المجلس (فلا يمشى) مع القرين المماثل له اصلا (ولا يجلس) معه (او يبعد

Marfat.com

عنه) اى عن قرينه (فى المشى و) فى ز الجلوس بحيث يكون بينهما اشخاص) كثيرون فاضلون (ممن) بيان للاشخاص (يعلم كل احد) من الناس (انهم) اى تلك الاشخاص (ادون منه) فى المرتبة والمزية (ليظهر) للناس (انه اختار التواضع على التكبر (اذا وكان متصلا) بقرينه الممثل له ومع ذلك (متأخرا عنه) فى المشى والجلوس (لظن) بالبناء للمفعول اى ظن الناس (انه ادون منه) فى الرتبة وهو عند نفسه انه اعلى منه (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (عدم قبول الحق عند مناظرة) اى مباحثة ومجادلة (الاقران) اى الامثال فى العلم (من صاحبه) وان علم ان قوله هو الحق وان الذى قاله هو بنفسه باطل (وعدم الاعتراف) لصاحبه (بخطأه) اذا ظهر له (و) عدم (الشكر) منه اى المدح والثناء (له) اى لصاحبه المناظر معه اذا ظهر له ان الحق مع صاحبه (اما لعدم الاصغاء) اى الاستماع (و) عدم (التأمل فى كلامه) اى كلام صاحبه (احتقارا) منه لصاحبه ان يستمع لكلامه ويتأمله (او استصغارا له) اى لصاحبه حيث هو يرى نفسه اعظم قدرا من صاحبه (اوعنادا) اى اصرارا على الباطل بلا رجوع عنه (ومكابرة) اى نصرة للباطل وتقوية له مع العلم به (فكل هذه) الاخلاق المذكورة (ان كان) شئ منها (فى الملأ) اى بين الناس (فقط فرياء) حيث يحب ان يظهر للناس الكمال ويغطى عنهم النقصان فيتحلى بما ليس فيه (وان) كان ذلك (فيه) اى فى الملأ (وفى الخلوة) ايضا اذا كان هو وصاحبه فقط (فكبر) اى استنكاف عن قبول الحق وللاعتراف وهو المذموم ﴿ المبحث الخامس ﴾ تمام مباحث الكبر والتكبر (فى) بيان (اسباب الضعة) بالفتح والكسر كما مر وهو سقوط المنزلة عند الناس (والتواضع) اى فيما يوصل الى ذلك حتى يذهب الكبر والتكبر (و) فى (فوائدهما) اى الضعة والتواضع (اما الاول) وهى الاسباب الموصلة الى ذلك (فهى) جملة امور منها (معرفة نفسه من اين) خلقت (الى اين) يكون مصيرها فان اول ابن آدم تراب ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جسم جماد ثم نفخ فيه الروح ووكلت به الامراض والطبايع الى ان كان آخره الموت والبلاء وتفرق الاجزاء والاعصاب واذا كان فى عمل غير صالح كان فى عذاب واهانة وقال المحاسبى فى الرعاية ارأيت من وجب عليه حكم الف سوط وهو فى سجن ينتظر المرض ان يخرج فيمضى فيه من الضرب ما قد حكم عليه به كيف ذلته فى السجن وتوقعه فى كل وقت ان يخرج الى العرض فيمضى فيه الحكم افليس هو فى الدنيا وهى السجن وقد وجب عليه العذاب لا يدرى متى يخرج من الدنيا الى العرض فيحكم عليه بالعذاب الا ان يعفو الكريم فهو مع ما قد وجب عليه يتوقع الموت فالموت خاتمة عيشه لانه قد علم ان آخر حياته الى الموت فيعاد كما كان بدؤ خلقه ميتا بعد ان كان حيا

Marfat.com

الم تسمع الى قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى كنا امواتا فى اصلاب آبائنا ثم احييتنا ثم امتنا بعد الحياة فيصير ميتا كما بدأ الله خلقه فيعمى بعد البصر و يصم بعد السمع ويبكم بعد النطق وتقطع اوصاله ويصير جيفة تقذره الدواب والخلائق ثم يبلى فيخز عظمه ويصير ترابا الاعجب ذنبه كما قال النبى صلى الله عليه يبلى من ابن آدم كل شئ الا عجب ذنبه فيصير معدوما بعد ان كان موجودا ثم يحييه الله تعالى بعد طول البلاء فيخرجه الى اهوال القيامة فتحدق به كلها من سماء ممزقة وارض مبدلة و جبال مسيرة ونجوم منتشرة وشمس وقمر مطموسين زفير جهنم فى سمعه وركوب الصراط لابد له ان يركبه بضعفه ثم يعرض على مولاه فيسأله عن كل اعماله فيصرفه الى عذاب لاينقطع فى غاية الهوان والذل والخضوع فاذا تذكر العبد و تفكر كيف كان بدؤه وما اصله وفصله وما يصير اليه من الموت والبلاء وما بعد الموت مما يعاين من الاهوال ومايخاف ان يصير اليه من العذاب زال عنه الكبر ولزمه الخضوع والذلة والتواضع للمولى والشكر للمنعم والانكسار للخوف من العذاب ومثال ذلك كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم اخبره بذلك والده وكذب فى خبره فكانت نخوة الهاشمية فى نفسه متعظم متكبر بحسبه يحقر من دونه ويفتخر عليه لانه لايشك ان الذى حدثه به والده عن اصله وحسبه قد صدقه فبينما هو فى نخوته وكبره وتعظمه اذاتاه رجلان اوعدة رجال ممن يثق بهم ولا يشك فى صدقهم اصدق عنده من ابيه وابرعن علم يخبرونه لكبر اسنانهم وقديم معرفتهم باصله فاخبروه بينهم و بينه انه من الخزر اوالنبط او السند فصدقهم ولم يشك فى قولهم وان اباه قد كذبه واخبره بالباطل هل كان يمتنع ان يذل فى نفسه وتنكسر تلك النخوة من قلبه وان اظهر غير ذلك اذا ايقن انه على خلاف ماكان يرى ويظن فكذلك ابن آدم يتكبر و يتعظم حتى كأنه ليس اصله من التراب والنطفة والضعف والمهانة والذلة والمسكنة واذا تفكر وصدق فى نفسه لم يمتنع ان يذل فى نفسه و ينكسر عن نخوته وكبره ومثل حياته وصحته وما يتقلب فيه من ملكه وغناه مثل رجل كان عند نفسه حرا لايشك فيه مات والداه واورثاه مالا كثيرا فكان يتعظم و يتكبر بشبابه وحسن حسبه وهيئته وغناه وملكه وهومع ذلك فى سعة من المنازل والنظافة والطيب والمنعة والحرز والامن فبينما هو كذلك متكبر متعظم فى نفسه اذ قدم عليه قادم من بعض البلدان فاخذه فاقام عليه البينة العادلة بان ابويه كانا مملوكين له وان ماكان فى ايديهما من مال فهو له فحكم عليه الحاكم بذلك وعلم هذا ايضا صدق ذلك واطمأن قلبه الى ماشهدت به الشهود هل كان يمتنع فى نفسه ان تزول عنه نخوته وكبره اذ قد علم انه مملوك ليس لنفسه بمالك ولا لما فى يديه من المال وان مولاه ان اراد ان يأخذه اخذه منه وانه لايقدر ان يفعل شيئا الا باذنه وارادته فكذلك ابن آدم

Marfat.com

اذا تكبر وتعظم وهو ناس لحالته التى وضع بها (و) منها (معرفة عيوبه) اى الانسان (و) معرفة (غوائل) اى مفاسد وآفات (الكبر و) معرفة (فوائد التواضع وفضائله) اى التواضع (من) بيان للفضائل (كونه) اى التواضع (من اخلاق) اى طبائع وعادات (الانبياء عليهم الصلاة والسلام و) من اخلاق (الاولياء والعلماء والصالحين) رضى الله عنهم اجمعين (و) كونه (محمودا عند الله تعالى) فان الله تعالى يحب التواضع من العبد و يكره التكبر من العبد (و) كونه (سببا لرفعة الدرجات) للعبد المتواضع (فى اعلى عليين) اسم منزلة من منازل الجنة كما اخرج الاسيوطى عن ابى نعيم فى الحلية باسناده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه (وكان القياس)الذى ينبغى فعله لكل انسان (ان ينزل العبد نفسه منزلته) التى هو فيها باقامة الله تعالى (لادونها) بان يحتقر نفسه (ولافوقها) بان يعظم نفسه و يحلها (كالشجاعة) من شجع بالضم قوى قلبه واستهان الحروب جراءة وافداما فهو شجيع وشجاع كذا فى المصباح فانها حالة متوسطة (بين التهور) من تهور الرجل فى الامر وقع بقلة مبالاة كما فى مختصر القاموس (والجبن) من جبن وزان قرب فهو جبان اى ضعيف القلب وامرأة جبان ايضا ور بما قيل جبانة كذا فى المصباح (و) كذلك (العفة) بالكسر من عف عن الشئ يعف من باب ضرب امتنع عنه فهو عفيف كذا فى المصباح فانها حالة متوسطة ايضا (بين الشره)بالهاء من شره على الطعام شرها فهو شره من باب تعب حرص اشد الحرص كما فى المصباح (والخمود) من خمدت النار ماتت فلم يبق شئ منها وقيل سكن لهبها وبقى جمرها كذا فى المصباح والمعنى موت الشهوة وسكون لهبها فى النفس بالكلية (و) كذلك (السخاء) بالمد الجود والكرم وفى فعله ثلاث لغات سخا وسخت نفسه فهو ساخ من باب علا والثانية سخى يسخى من باب تعب فهو سخ منقوص والثالثة سخو يسخو مثل قرب يقرب سخاوة فهو سخى كذا فى المصباح فانه حالة متوسطة ايضا (بين البخل) وهو فى الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده كما فى الاصباح (والاسراف) مصدر اسرف اذا جاوز القصد والسرف بفتحتين اسم منه (فان خير الامور اوساطها) فالطرف العالى مذموم والسافل مذموم والوسط محمود ولهذا كان القلب من كل شئ خيرا من الطرفين لانه فى الوسط وهو الاصل ومنه الصلاح والفساد فى الطرفين (لكن لما كانت النفس) من الانسان (مائلة بالطبع) من غير تكلف (الى العلو) اى الارتفاع على الغير والتكبر عليه (كان الاحوط)اى الاولى والاحق (والانسب) اى الاكثر مناسبة ولياقة (حطها) اى النفس (عن مرتبتها) التى اقامها الله تعالى فيها حطا (قليلا) بحيث اذا التفتت بنظرها الى احوالها وجدتها قاصرة ووجدت حظها من طاعة الله تعالى ناقصا (اذ ربما لايدرى) الانسان (مرتبتها) اى النفس لاشتغاله

Marfat.com

بقضاء شهواتها وتنفيذ مراداتها (فيزل نفسه فوقها) اى فوق مرتبتها (غفلة) منه عنها (وحبا) منه (للعلو) اى الارتفاع والشموخ على الاقران (اذ حب الشئ يعمى) عن ذلك الشئ ولا يدع البصر يرى عيوب ذلك الشئ (ويصم) الاذن فلا يدعها تسمع بعيوب ذلك الشئ من احد (هذا) الكلام كله (فى) اسباب (التواضع) قدمها لطول الكلام فى اسباب الضعة (واما) الكلام (فى) اسباب (الضعة فالاولى) اى الاحق والاحرى (ان يرى نفسه) فى كل وقت (ادنى من كل مخلوق) مخافة ان تشمخ عليه نفسه فلا يقدر ان يردها عن التكبر على احد من الخلق (وهذا) الصنيع (دأب) اى عادة السلف (الصالحين) من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والصوفية العارفين رضى الله عنهم اجمعين (حتى قال) الشيخ ابو بكر (الشبلى) رضى الله عنه (عطل ذلى) اى تحقيرى نفسى بنفسى (ذل اليهود) فلم يترك لليهود ذلا بالنسبة الى ذلى وهو عدم رؤية نفسه خيرا من احد مطلقا كما تقدم ذكره (وقال) الشيخ (ابو سليمان الدارانى) رضى الله عنه (لو اراد جميع الخلق ان يضعونى ادنى) اى اقل (مما فى نفسى من الضعة) اى الذل والهوان (ما قدروا عليه) اى على وضعى كذلك لوضعه نفسه ادنى من كل احد ورؤيته ذاته احقر من كل حقير (فان اختلج) اى اضطرب وتحرك (فى قلبك) يا ايها الانسان (انه كيف يتصور ان يرى الانسان نفسه) المؤمنة بالله تعالى (ادنى من فرعون وابليس) الكافرين به سبحانه (فقل ان الله تعالى خذلهما) بعدله اى اقدرهما على فعل الكفر والغى (واضلهما) اى حيرهما ولم يهدهما (فوقعا) اى فرعون وابليس (فيما وقعا فيه) من الكفر والضلال والاكفار للغير والاضلال له (ووفقنى) اى اقدرنى بفضله (وهدانى) اى دلنى وارشدنى (للايمان) به وبرسله وانبيائه وما جاؤا به الى الخلق (والطاعة) اى العمل الصالح (فلو) انه سبحانه وتعالى (عكس) الحال بان خذلنى واضلنى ووفق فرعون وابليس وهداهما (لعكس) بالبناء للمفعول اى لكان يمكن ذلك من غير امتناع على الله تعالى ولا نقصان فى ملكه (وليس اجتناب نفسى) اى تباعدها (عما فعلاه) اى فرعون وابليس (من) جهة (ذاتها) حتى تكون محمودة على ذلك يليق بها ان تتكبر به على غيرها (بل) ذلك الاجتناب (من) محض (عناية الله تعالى) بها وخالص فضله عليها واحسانه اليها كما قال تعالى * ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا * الآية (وانا اعلم من نفسى من الخبائث الكثيرة) فى الاحوال والاقوال والافعال (والعيوب العظيمة) فى الظاهر والباطن (ما لا اعلم منهما) اى من فرعون وابليس لغيبتهما عنى وبعدهما منى ومعرفتى بنفسى وحضورهما عندى اقرب الى من كل شئ لا تفارقنى اصلا (والمعلوم) خبائثه وعيوبه (ادنى) منزلة (من المشكوك) فى كثرة خبائثه وعظم عيوبه (و) من (المجهول) فى كل وقت حاله على اى امر هو من شدة الخبث وغزارة العيب

Marfat.com

(ولا اعلم كيف اموت) لان ذلك موكول الى الله تعالى (ويحتمل والعياذ بالله تعالى ان اموت الكفر) به سبحانه او بشئ مما وجب الايمان به (فاشاركهما) اى فرعون وابليس (فى العذاب المخلد) فى جهنم الى ابد الآبدين انتهى (ولنذكر) الآن (ماورد) من الاحاديث النبوية والاخبار (فى فضائل التواضع) ليكون ذلك من جملة الاسباب الموجبة له (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن ابن عباس) رضى الله عنهما (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الى) بواسطة الملك او بلا واسطة كما قال تعالى *فاوحى الى عبده ما اوحى* ولعل الاطلاق وعدم ذكر الملك لانه كان وحيا بلا واسطة (ان تواضعوا) يامعشر المكلفين اى لا يرى احدكم نفسه اكبر من غيره (حتى لا يبغى) اى يتعدى (احد) منكم (على احد ولا يفخر) اى يتعاظم ويتفاخم (احد) منكم (على احد) وفى حديث الجامع الصغير برواية البيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفخم فى الدنيا فهو يتفخم فى النار يعنى من تعظم على غيره فهو واقع فى نار الآخرة بتعظمه ذلك وهو لا يشعر به لغفلة نفسه عنه واشتغالها بحظها منه فاذا مات على تلك الحالة وجد نفسه فى النار (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ركب المصرى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طوبى) قيل من الطيب ومعنى طوبى لهم ان لهم العيش الطيب وقيل خير لهم واصلها طيب فقلبت الياء واوا لمجانسة الضمة كذا فى المصباح (لمن تواضع) اى خفض جناحه ولين جانبه لكل احد (فى غير منقصة) تكون منه تنقصه فى دينه ومروءته (وذل) اى خضع (فى نفسه) لكل من رآه (من غير مسئلة) اى طلب وتأمل شئ من احد (وانفق مالا جمعه) من وجوه الحل (فى غير معصية) الله تعالى واما من جمع المال من الحرام على حسب ما يعلم هو لمباشرته ذلك فانه لا يقدر ان ينفقه فى طاعة اصلا الا بحسب ما يظهر له انها طاعة فيترتب على انفاقه من المال الحرام فى طاعة الله تعالى اذا تصدق به انه يطلب بذلك الثواب منه سبحانه فيكفر على ما قاله ابن وهبان فى منظومته وغيره والاثم لا شبهة فيه ولعل السر فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اوحى الله الى داود ان قل للظلمة لا يذكرونى فانى اذكر من يذكرنى وان ذكرى اياهم ان العنهم اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير برواية ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما فان ذكر الله تعالى يكون بالقول وبالفعل كالصدقات والمبرات والظلمة مأمورون بارضاء خصومهم فى الدنيا فان دفع درهم حرام الى صاحبه الذى اخذه منه بلا حق شرعى فرض عين عليه فهو افضل من الصدقة بالف درهم او اكثر فاذا عدل عن ذلك الى الصدقة لم تقبل منه فان الله تعالى لا يقبل الصدقة من الحرام كما قال سبحانه* انما يتقبل الله من المتقين *وليس هذا الامر فى حق الظلمة مخصوصا بالحكام والقضاة فى زماننا فقط بل كذلك العلماء اذا اكلوا اوقاف المدارس ولم يدفعوها

Marfat.com

لمن عينها لهم الواقف والتجار واهل الاسواق اذا خانوا احدا ممن يشترى منهم بدرهم ولم يدفعوه اليه بان البسوا عليه سعلة ولم يذكروا له عيبها حتى اشتراها بازيد مما كان يشتريها لو ذكروا له العيب ونحو ذلك فهم ظلمة ايضا لو تصدقوا بما علموا انه حرام لعنوا لذكرهم الله تعالى بما هو معصية قال المناوى رحمه الله تعالى فى شرح هذا الحديث من الجامع الصغير قال حجة الاسلام رحمه الله هذا فى عامى غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ورحم اهل الذل والمسكنة) من الفقراء والمساكين فلم يتجبر عليهم ولم يتكبر ويبش فى وجوههم وقضى حوايجهم واحسن اليهم (حالط اهل الفقه) فى الدين (و) اهل (الحكمة) الالهية وهم العلماء بعلم الظاهر وعلم الباطن يعنى العارفين باحكام الشريعة واسرارها العاملين بعلمهم مع الاخلاص اهل الكشف الروحانى والقلب النورانى لا من علمهم فى السنتهم فقط من علماء الاحكام الشرعية بلا عمل بغالبها المنكبين على حطام الدنيا لا يفرقون بين حلالها وحرامها مع علمهم بالحلال والحرام فكان الحلال عندهم ما حل فى ايديهم والحرام ما حرموا منه فان مخالطة هؤلاء مفسدة فى الدين وجالبة للضلال فى جميع المسلمين (طوبى لمن طاب) اى حسن على الوجه الشرعى (كسبه) اى ماله الذى يكتسبه فى دنياه من حرفة ونحوها (وصلحت) اى لم تفسد (سريرته) وهى ما يكتمه فى باطنه ويقال سره ايضا كما قال الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره ما وصلت الى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (وكرمت) من كرم الشئ نفس وعز فهو كريم (علانيته) اى ظاهر حاله بان كانت الطاعة فى ظاهره كما هى فى باطنه ولم يتدنس ظاهره بشئ من الخصال الذميمة فكان ظاهره نفيسا عزيزا (وعزل) اى رفع واذهب (عن الناس) من المسلمين والمعاهدين من اهل الكفر (شره) فلم يؤذ احدا بلسانه ولا بيده مع قدرته على ذلك والا كان عاجزا لا كفا فلا ثواب له عليه كما قالوا فى العنين لا يثاب على ترك الزنا والاعمى لا يثاب على تركه النظر المحرم كذا بينه فى الاشباه والنظائر (طوبى لمن عمل بعلمه) الذى علمه الله تعالى اياه اما من حيث الاعتقاد فهو بصدق النفس فيما تعتقده ومجانبة الكذب كمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله مثلا او يعتقد ذلك بقلبه وحوله وقوته بنفسه لا يربه من كثرة غفلته عن ربه فهو غير عامل بعلمه من حيث الاعتقاد وكذلك اذا قال لا مؤثر الا الله تعالى او اعتقد ذلك وهو غافل عما قال واعتقد من غير ان يشهد ذلك فى نفسه فيبنى اموره على كثرة المؤثرين غير الله تعالى لاستيلاء الغفلة عليه فهو غير عامل بعلمه ايضا من حيث الاعتقاد واما من حيث الاعمال بالجوارح فعدم العمل بالعلم ظاهر فى ذلك لا يخفى على كل احد (وانفق) على الفقراء والمساكين (الفضل) اى ما زاد على حاجته (من ماله)

Marfat.com

الحلال اذا الحرام هو مشغول الذمة به فلا خير فى انفاقه بل الفرض عليه اعطاؤه لصاحبه (وامسك الفضل) اى ما زاد على قدر الحاجة (من قوله) اى كلامه فلم يتكلم بفضول الكلام كما ورد فى الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (حب) يعنى روى ابن حبان باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تواضع لله تعالى) بان امتثل امره واجتنب نهيه فى ظاهره وشهد قيومية الله تعالى عليه بما كسبت نفسه فى باطنه (درجة) بان كان فى مرتبة من مراتب الصالحين ومقام من مقاماتهم كمقام الزاهد او التوكل او الورع او الصبر او الشكر او الرضاء من حيث الباطن وفى طاعة من الطاعات القولية او الفعلية من حيث الظاهر (يرفعه الله تعالى) عنده فى حضرة القرب لديه (درجة) اى منزلة من منازل الصديقين وحالا من احوال اهل المعرفة واليقين شيئا فشيئا (حتى يجعله) سبحانه وتعالى (فى اعلى) اى ارفع (عليين ومن تكبر على الله تعالى) بمجانبة امره ومقاربة نهيه والغفلة فى الباطن عن شهود قيوميته سبحانه (درجة) بان اتى بابا من ابواب المعاصى والشرور واقتحم معرك الغفلات والضلالات (يضعه الله تعالى) اى يخفض قدره عنده سبحانه فلا يبالى باى شئ يقابله من السوء فى الدنيا والآخرة (درجة) اى حالة من احوال اهل الضلال والعقوبة (حتى يجعله الله سبحانه وتعالى فى آخر امره)فى اسفل سافلين منازل النار فى الآخرة والتكبر على الغير من ابناء جنسه والتواضع لهم من جملة نهى الله تعالى وامره فهو داخل فيما ذكرناه ولاجله سبق الكلام فى هذا المقام (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لاخيه المسلم) اى اخيه فى الاسلام وان لم يكن فى النسب يعنى خضع له وذل فى طرق مرضاته الشرعية (رفعه الله تعالى) اى جعله مرتفعا عنده تعالى وعند الناس واعزه فى الدارين واعلى قدره عند الثقلين (ومن ارتفع) اى تكبر (عليه) اى على اخيه المسلم والمراد تكبره عليه بالباطل واما لو كان ارتفاعه اى تكبره عليه بحق كما ورد ان التكبر على المتكبر صدقة فتكبره عليه لتكبره هو من قبل فليس هذا بمذموم (وضعه الله تعالى) اى جعله وضيعا فى الناس حقيرا ذليلا (وقد يكون سبب التواضع) للناس (السخرية)اى الاستهزاء به بان يكثر من المزح معهم حتى يسخروا منه فيصير له بذلك تواضع فى نفسه وهو مذموم لانه اذلال النفس بغير مقتض شرعى وهو حرام كما مر بيانه (والنفاق) اى اضمار المداوة للغير واظهار الصداقة بان يصير ذلك سببا لتواضعه له فى نفسه (والرياء) اى اظهار الخير والصلاح للناس مع اضمار الشر والفساد فان الانسان قد يتوصل بذلك الى حصول التواضع فى نفسه للغير وهو مذموم ايضا (والطامع) فى مال الغير فقد يوصل الى التواضع ايضا وهو مذموم كذلك

Marfat.com

(والخوف) من الغير فيدعو الى التواضع له (فيكون) اى التواضع الحاصل بسبب من هذه الاسباب (رذيله) اى منقصة ومهانة (بحسب العارض) وهو الامر المذكور من سخرية ونفاق ورياء وطمع وخوف (و) حسب (الكيف) اى الكيفية لا بحسب الذات فان التواضع فى ذاته صفة محمودة ولكن اذ اعرض له شئ من هذه العوارض وتكيف بواحدة من هذه الكيفيات فكان مسببا عن واحد من الاسباب المذكورة فهو ذل للنفس واهانة لها فى غير امر مشروع فهو من الخبائث المستكنة فى النفس الامارة بالسوء (فعليك) اى فخذ والزم نفسك يا ايها العبد المؤمن (بصيانة) اى صيانة التواضع (عنها) اى عن هذه الاسباب الخمسة الرذيلة* والخلق (الرابع عشر) من الاخلاق الستين المذمومة (العجب) بضم العين المهملة وسكون الجيم قال فى الصحاح قد اعجب فلان بنفسه يعنى بالبناء للمفعول فهو معجب برأيه و بنفسه والاسم العجب بالضم وقولهم ما عجبه برأيه شاذ لا يقاس عليه وفى المصباح واعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول اذا ترفع وتكبر (وهو) اى العجب (استعظام العمل الصالح) الذى عمله يعنى رؤيته عظيما (وذكر) باللسان او بالقلب بمعنى استحضار (حصول شرفه) اى شرف ذلك العمل الصالح على غيره من الاعمال شرفا حاصلا (بشئ) اى بسبب شئ (دون الله تعالى من النفس) العاملة له (او) من (المعينين لها فى عمله وقد يطلق) اى العجب (على مطلق استعظام النعمة) التى انعم الله تعالى بها على العبد من فعل طاعة وترك معصية وفق الله تعالى العبد اليها فاستعظمها ذلك العبد وكذلك نعمة العطية من الدنيا الحلال ونعمة العافية ونحو ذلك (والركون) اى الاعتماد بالقلب (اليها) اى الى تلك النعمة (مع نسيان) العبد (اضافتها) اى غفلته عن نسبة تلك النعمة (الى) حضرة (المنعم) الحقيقى وهو الله تعالى فان الاشتغال بالنعمة عن المنعم عجب مذموم وغفلة صاحبها ملوم (وضده) اى ضد العجب (ذكر) باللسان او بالقلب (المنة) اى النعمة من الله تعالى على العبد (وهو) اى ذكر المنة (ان يذكر) بلسانه او بقلبه (انه) اى ذلك العبد (قائم بتوفيق الله تعالى) فى فعل كل طاعة وترك كل معصية (وانه) اى الله تعالى هو (الذى شرفه) اى شرف ذلك العبد بخلق العمل الصالح له ومن عليه به (وعظم) سبحانه بمحض فضله عليه (ثوابه) فى الآخرة (وقدره) اى جاهه ومنزلته (وهذا الذكر) لمنة الله تعالى (فرض) عين عليه (عند) تحرك (دواعى) اى موجبات ومقتضيات (العجب) فى نفسه (وسبب العجب) اى الامر الداعى اليه (فى الحقيقة) لا فى ظاهر الحال (الجهل) برب وبنفسه (المحض) اى الخالص (او الغفلة) عن الله تعالى (والذهول) عن شهوده بايثار الحياة الدنيا (فعلاجه) اى دواؤه (المجملى) اى بطريق الاجمال دون التفصيل (معرفة ان كل شئ بخلق الله

Marfat.com

ى وارادته) سبحانه حتى افعال المكافين يخلقها الله تعالى عند جزئهم الاختيارى لابه ولافيه ولاتأثير لهم اصلا فى خير ولاشر (وان كل نعمة) انعمها الله تعالى على العبد (من عقل وعلم وعمل وجاه ومال وغيرها) كعافية وامن وحفظ ونصرة (من الله تعالى وحده) لامن غيره ولامنه تعالى بمعونة غيره اصلا قال المحاسبى فى كتاب الرعاية يروى عن ابن ابى الزناد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس انه قال ماأصاب داود عليه السلام الذنب الا باعجاب اعجبه من نفسه ان قال يارب ما يأتى من ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولايأتى من يوم الا وانسان من آل داود صائم وفى حديث حجاج ماتمر ساعة من ليل اونهار الا وعبد من آل داود يعبدك اما يصلى واما يصوم واما يذكرك فاضاف العمل بالليل والنهار الى آل داود وهو كان اولهم فى ذلك واقومهم به وداعيهم اليه ومقومهم عليه فاستعظم ذلك لان قوله ما تأتى ليلة مستعظم لذلك لان العرب لاتعرف فى لغتها مثل هذا الا لاستعظام الشئ من نفسه فاضاف العمل اليها وحمدها عليه وقول الله عز وجل له يدل على ذلك قال ابن عباس فاوحى الله عزوجل اليه ياداود ان ذلك لم يكن الا بى ولولا عونى اياك ماقويت على ذلك وسأكلك الى نفسك وفى حديث آخر وعزتى وجلالى لاكلنك الى نفسك فلو كان ذاكرا للنعمة التى كان لها ناسيا ووكله الى نفسه التى اضاف العمل اليها وحمدها عليه فكان بعملها معجبا وسماه ابن عباس عجبا من نفسه واخبر انه اصاب الذنب من اجل عجبه بطاعة الله عزوجل انتهى قول المحاسبى رحمه الله تعالى وعجب داود عليه السلام بالطاعة وهو انه فعلها بنفسه ولم يكن ذاكرا للنعمة انه فعلها بمعونة ربه وتقويته له عليها لم يكن مثل عجب غيره ممن ليس بنبى فانه عليه السلام اعجب بطاعته وطاعته فعلها بنفسه ونفسه فى شهوده انها نعمة ربه لانه برئ من الشرك الخفى لعصمته عليه السلام فكان هذا عجب المعصومين واما عجب غيرهم فهو فعلهم الطاعة بنفوسهم ونفوسهم مستقلة عندهم فى زعمهم حال فعلهم بها فهو من قبيل قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين وفى الرعاية ومن ذلك ماقال الله سبحانه فى يوم حنين لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم خير عصابة على الارض بل لاعصابة تعبد الله عزوجل غيرهم ومن تبعهم غضاب لله عزوجل ينصرون دين الله تعالى مستجمعون لقتال اعداء الله عزوجل فقال الله عزوجل *ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين* وذلك ان قائلا قال منهم لن نغلب اليوم من قلة فلما عجبوا بكثرتهم واتكلوا على قوتهم ونسوا الله تعالى فى ذلك رفع فى ذلك الوقت النصر عنهم ليعلمهم ان كثرتهم لن تغنى عنهم شيئا وان الله عزوجل هو الناصر الغالب لهم عدوهم ثم عطف الله عزوجل عليهم بالنصر اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ولهم ونصرا لدينه فانزل بذلك قرآنا يعرفهم به ماكان منهم

Marfat.com

وماقال من قال منهم وروى عن ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال آلهى انى ابتليتنى بهذا البلاء وماورد على امر الا آثرت هواك على هو اى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى ذلك اى من اين لك ذلك فأخذ رمادا فوضعه على رأسه وقال منك يارب افلا ترى رجوعه عما قال وعن نسيانه ان يضيف نعمة العمل الى ربه عز وجل ففزع الى الذكر بالذل والاستكانة والاقرار بالنعمة انها من الله عز وجل فقال منك يارب (و) علاجه الجملى ايضا (التنبه والتيقظ بذكره) اى بذكر الله تعالى (واحضاره) سبحانه وتعالى (بالبال) اى فى الخاطر من حيث انه تعالى هو الخالق لذلك العبد ولجميع اعماله ظاهرا وباطنا (و) اما سبب العجب (فى الظاهر) فهو (اسباب الكبر السبعة السابقة) ذكرا وتبيينا (والعلاج) للعجب (التفصيلى يعرف) بالبناء للمفعول اى يعرفه كل احد (مما سبق) من الكلام فى علاج الكبر (فعلى السالك) فى طريق الله تعالى اى الواجب عليه (الشكر) برؤية المنعم والاشتغال به دون رؤية النعمة والاشتغال بها (على كل ماوجد فيه من النعم) التى انعمها الله تعالى عليه (من علم وعمل وغيرهما) الشكر (على توفيق الله تعالى) له الى فعل تلك النعم واتمامها من غير وجود مفسد لها (وصونه) فيها (ونصره) على وسواسه لئلا يخالطها فيشككه فيها او ينقص ثوابها اوعلى القواطع لها من امور الدنيا ومقتضيات الهوى والنفس (وخلقه) اى ايجاده سبحانه لجميع ذلك الموجود فى العبد من الخير (واعطائه) تعالى (اياه) اى للعبد بمحض فضله واحسانه (ومن اقوى العلاج) فى نفى العجب (معرفة آفاته) اى آفات العجب (وهى كثيرة ويكفيك) ياايها السالك (انه) اى العجب (سبب الكبر) فى النفس على الغير قال المحاسبى فى الرعاية رأيت اكثر العلماء يسمى من تكبر معجبا ويصف العجب بصفة الكبر فان بدوء الكبر العجب فمن العجب يكون اكثر الكبر فمن ثم سمى بالكبر ولايكاد المعجب ان ينجو من الكبر فلما كان العجب هو الذى اخرج الى الكبر وعنه كان سمى به ودات اخلاق الكبر عليه لانه قد يستعظم ماأعطى من دين اودنيا ولا يستعظم به على احد فذلك العجب اذا نسى منة الله تعالى بذلك فاذا تعظم به على غيره وانف منه وحقره فقد تكبر لانه اذا اعجب بنفسه ثم نظر الى غيره فقال فى نفسه انا خير منه محتقرا له مزريا به سمى حينئذ الكبر عجبا من اجل انه هو اهاجه على الكبر وليس الكبر هو العجب (و) سبب (نسيان الذنوب) والمخالفات (و) نسيان (نعم الله تعالى) على ذلك العبد الحاصل له (بالتوفيق) لها من الله تعالى (والتمكين) له من الاتيان بها مع عجز امثاله عنها وعدم توفيقهم وتمكينهم من بعضها (و) سبب (الامن) اى عدم الخوف (من مكر الله تعالى) بالعبد من حيث لايشعر اومن حيث يشعر (و) من (عذابه) سبحانه (و) سبب (ان يرى) اى رؤية (ان له) اى لذلك العبد (عند الله تعالى منة) عليه تعالى (وحقا) مستوجبا لكمال الجزاء من الله تعالى (باعماله) اى باعمال العبد

Marfat.com

(التى هى نعمة) عليه (من نعمه) سبحانه وتعالى (وعطية) للعبد (من عطاياه) عزوجل (ويدعو) اى العجب (الى ان يزكى) اى العبد (نفسه) اى يمدحها ويثنى عليها وذلك معصية بقوله تعالى *فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى (ويمنعه) اى العجب يمنع العبد (من الاستفادة) من غيره (و) من (الاستشارة) المطلوبة شرعا فى كل امر مهم فيوجب ذلك بقاء جهله وفساد امره ولو لم يكن فى المشورة حكمة عظيمة وسر باهر ما قال الله تعالى *للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة *فقال الملائكة ما قالوا من بقية الآية حتى قال البيضاوى وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة انتهى وقد امر نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بها فى قوله سبحانه وتعالى *وشاورهم فى الامر *فالمشورة سنة الله ورسوله فمن تركها ندم ولم ينجح امره فى الغالب (زهق) يعنى روى البزار والبيهقى باسنادهما (عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث) اى من الخصال التى تعترى الانسان فيجاهد نفسه فيها ويتوقاها او يهمل نفسه فتوبقه ولهذا قال (مهلكات) اى موصلة الى الهلاك فى الآخرة الاولى (شح) اى بخل بالواجب عليه وهو الزكاة او الفطرة او الاضحية او نفقة الزوجة والقريب والرقيق وذى الحاجة المضطر (مطاع) اى ذلك الشح اطاعته النفس واطمأنت اليه وانقادت على مقتضاه ولم تخالفه فان خالفته فلا ضرر فى منازعته لها باطنا (و) الثانية (هوى) اى ميل نفسانى الى الحظوظ العاجلة من الغفلات والشهوات فى حل او حرمة (متبع) اى ذلك الهوى اتبعته النفس على حسب ما دعاها اليه واستسلمت له ولم تتعاص عليه فان اعرضت عنه لا يضرها منازعته لها فى الباطن (و) الثالثة (اعجاب المرء) اى الانسان رجلا كان او امرأة (بنفسه) اى من جهة علم او عمل او رأى او عقل او اتقان حرفة او جاه او شجاعة وقوة وعافية ونحو ذلك فمتى اعجب الانسان بشئ من ذلك هلك وكان ما اعجب به سبب دماره وخسارته (وعنه) اى عن انس رضى الله عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو لم تذنبوا) اى تفعلوا الذنوب باختياركم (لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك) اى من الذنوب كلها (العجب العجب) بتكرار اللفظ للتاكيد فان حكمة تقدير الذنوب على العبد المطيع لله تعالى حتى تنكسر بها نفسه من اعجابها باعمالها الصالحة وينتفى عنه التكبر بها على غيره (واقبح) انواع (العجب) الذى يصدر من العبد (العجب بالرأى) اى العقل والتدبير ورجل ذو رأى اى بصيرة وحذق فى الامور كذا فى المصباح (الخطاء) ضد الصواب (ففرح به ويصر) اى يداوم ويلازم (عليه) اى على ذلك الرأى الخطاء ولا يتركه مع ان له كمال الضرر فى الدنيا والدين ولا شعور له بذلك من حماقته وزيادة جهله (ولا يسمع) فى تركه (نصح ناصح) له من الناس (بل ينظر الى غيره) من الناصحين وغيرهم (بعين الاستجهال) اى النسبة الى الجهل وانهم كلهم جاهلون وما تنبه احد غيره لذلك الرأى

Marfat.com

اصلا (قال الله تعالى افمن زين) بالبناء للمفعول اى زين الله تعالى (له) حقيقة اوالشيطان مجازا (سوء عمله) من كل امر منكر شرعا وعرفا (فرآه حسنا) بان اراه الله تعالى ذلك السوء حسنا لانه لاعلك السمع والابصار والافئدة الا الله تعالى لاغيره كما قال تعالى *امن يملك السمع والابصار والافئدة* الآية وقال تعالى (وهم يحسبون) اى يظنون من انطماس بصائرهم وعمى قلوبهم (انهم يحسنون صنعا) اى ان مايصنعونه من الاعمال حسن وهو قبيح ولكنهم لايشعرون (وجميع اهل البدع والضلال) من المسلمين (انما اصروا عليها) اى على بدعهم (لعجبهم بآرائهم) التى رأوها حقا من مذاهبهم الفاسدة وفى كتاب الرعاية للمحاسبى والعجب بالرأى الخطأ بلاء وخذلان فما كان فى الضلال والبدع فبلية وخذلان وما كان فى الاحكام فقد يكون خذلانا واثما وقد يكون نقصا فى الدين دون الاثم فاذا كان الرأى على غير الكتاب والسنة والاجماع فمن العجب كان وهو الذى اهلك عامة العباد حتى ضلوا وكفروا وابتدعوا واخطأوا فى دين الله عز وجل وقد ذمه النبى صلى الله عليه وسلم واخبر انه يغلب على آخر هذه الامة وعنده يكونون قد عموا وصموا فلا ينتفعون بموعظة قال ابو ثعلبة الخشنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم قال يا ابا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك فاخبر ان معنى هذا اذا غلب على اهل الدنيا ائثار الدنيا والعجب برأيهم وذم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم العجب بالرأى والعلماء بعدهم واخبروا ان فيه الهلكة الا ترى الى ما وصف الله عز وجل من قال عليه بغير الحق وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا* وقال تعالى *افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا* فاخبر ان القوم معجبون بما يتدينون به من الضلال والكفر والكذب على الله عز وجل وكذلك جميع اهل البدع لولا انهم معجبون برأيهم ما اعتقدوا البدع ولا اقاموا عليها فبالاعجاب بالرأى الخطأ هلك عامة الكفار واهل البدع من اهل الاسلام واهل الخطأ فى الفتوى لانهم تأولوا فاعجبوا بتأويلهم وظنوا انه الحق اليقين وقاسوا على غير القياس فاعجبوا بقياسهم وظنوا انهم قد اصابوا الحق وقد تركوه ودانوا بغيره وخالفوا (وعلاج هذا) النوع من (العجب) وهو العجب بالرأى (اعسر) على الانسان (واصعب) عليه من علاج بقية الانواع (اذ صاحبه) اى صاحب هذا النوع (يظنه) اى يظن رأيه الخطأ (علما) صحيحا (لا جهلا) فجهله مركب لانه يجهل ويجهل انه يجهل لا جهله بسيط والجهل المركب لادواء له (و) يظنه (نعمة) عليه من الله تعالى يشكر الله تعالى عليها (لا) يظنه (نقمة) من الله تعالى حتى يرجع عنه (و) يظنه (صحة) فى بصيرته وكمالا فى حالته (لا مرضا) فى قلبه يتداوى منه (فلا يطلب العلاج) منه (ولا يصغى) اى يستمع (الى الاطباء) الروحانيين الذين يعلمون امراض القلوب ويداوونها ولا يقبل

Marfat.com

منهم اقوالهم فيه ولايصدقهم (وهم علماء اهل لسنة والجماعة) نصر الله تعالى كلمتهم الى قيام الساعة وفى كتاب الرعاية للمحاسبى وينفى العبد العجب بالرأى الخطأ بتهمته نفسه وتركه الاستحسان لشئ من رأيه الابدليل بين وحجة واضحة من الكتاب والسنة اوقياس عليهما فى تأويل واستنباط حكم فى نازلة وتهمتها بمعرفة ما بنيت عليه فى الخلقة ان من شانها السهو والغفلة ولما جرب منها من كثرة غلطها وكثرة ولعها وسوء تأويلها مالايحصى مرارا كثيرة فى كل ذلك يرى انه مصيب ثم تبين له انه قد غفل وغلط وكان استحسانه من قبل الهوى وتزيين الشيطان ولولم يبعثه على تهمتها الامايعرف من عامة الخلق من غلطهم وقولهم فى دين الله بغير الحق وكلهم يقصدون الحق وقد علم ان النفوس طبعها قريب من بعض والمزين لهم واحد وهو الشيطان فاذا ثبت فى قلبه هذه المعرفة بنفسه اتهمها فاذا اتهمها لم يعجل بمايستحسن دون النظر فى كتاب الله عزوجل والسنة ومسائلة اهل البصيرة ولم يزل ذلك شان الصالحين العارفين بانفسهم لم يزالوا متهمين لرأيهم خائفين من انفسهم منهم ابن مسعود اختلفوا شهرا اليه فى امرأة مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولم يسم لها صداقا فلم يجبهم مخافة الخطأ فى اجابتهم عما سألوه ثم لما لم يجد بدا من القول فيها قال اقول برأيى فان كان صوابا فمن الله عزوجل وان كان خطأ فمن نفسى وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مثل ذلك قال عمر رضى الله عنه ان الرأى كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم صوابا لان الله عزوجل كان يريه وهو منا الظن والتكلف وقال ابو سعيد قال الله عزوجل اله وهم اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فكيف بمن دونهم من الناس وقال قتادة فى قوله تعالى لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فانتم اطيش احلاما فانتهم رجل رأيه وانتصح كتاب ربه عزوجل وقال ابن مسعود ايها الناس انتهموا الرأى فلقد رأيتنى وانا اهم ان اضرب بسيفى فى معصية الله عزوجل ومعصية رسوله وقال سهل بن حنيف ايها الناس اتهموا رأيكم وقال عمر رضى الله عنه اتهم رجل رأيه فلقد رأيتنى يوم ابى جندل ولو اقدر لرددت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى يوم صلح النبى صلى الله عليه وسلم لقريش يوم الحديبية والاحاديث فى ذلك كثيرة

Marfat.com

هـــذا الكتاب " خـــلاصة التحقيـــق فـــي بيان حكم التقليـــد والتلفيـــق" يبيـــن وجوب التزام كل مسلم ومسلمة أحـــد المذاهب الأربعة : الحنفي ، الشافعي ، المالكي ، الحنبلي ، بعد قراءة فقهه جيّدا ويعمل به في جميع عباداته وأحواله وأن له كامل الحرية في اختيار أيّ مذهب من هذه المذاهب . والكتاب يرد بالأدلـــة على الذين لا يرغبون التزام مذهب واحد بل يرغبون خلط المذاهب بعضهن لبعض ويعرفهم خطأهم في هذا ، ألّف الكتاب العالم الأسلامي عبد الغني النابلســـي ١٠٨٦هـ ١٦٧٤م وتوفي رحمه الله عام ١١٤٣هـ ١٧٣١م و طبعت مكتبتنـــا الطبعة الأولى في عام ١٩٧٤ميلادى

This book, **Khulâsat-ut tahqîq fi bayân-i hukm-it taqlid wat-talfîq**, states that every Muslim has to read and learn the book of ilmihâl of one of the madhhabs, Hanafî, Shâfi'î, Mâlikî, and Hanbalî, and adapt his worships and all his daily life to it, that he has a choice of one of these four madhhabs, and proves by evidences that those who say that these four madhhabs are needless, or that it will be good to join a couple of them together, are wrong. This book was written in 1086 [1674] by the great Islamic savant Abdulghanî Nablusî, who passed away in 1143 [1731]. Its first edition by our bookstore was published in 1974.

WAQF IKHLAS

Marfat.com

İşbu (**Hulâsat-üt-tahkîk fi-beyân-i hükm-it-taklîd vet-telfîk**) kitâbı, her müslimânın, hanefî, şâfi'î, mâlikî ve hanbelî mezheblerinden birinin ilmihâl kitâbını okuyup, öğrenip, ibâdetlerini ve bütün yaşayışını buna uygun yapması lâzım geldiğini, bu dört mezhebden dilediğini seçmekte serbest olduğunu bildirmekte ve bu dört mezhebe lüzûm olmadığını veyâ bunların birkaçını birbirleri ile karıştırmak iyi olur diyenlerin yanıldıklarını vesîkalarla isbât etmektedir. Bu kitâbı, büyük islâm âlimi, Abdülganî Nablüsî 1086 [m. 1674] da yazmış, 1143 [m. 1731] de vefât etmiştir. Kitâbevimiz tarafından, 1974 de birinci baskısı yapılmıştır. Kitâb arabçadır. İçinde osmanlıca yazı hiç yoktur.

IŞIK KİTABEVİ

Price: 35 TL.

Marfat.com

Marfa.fat.com

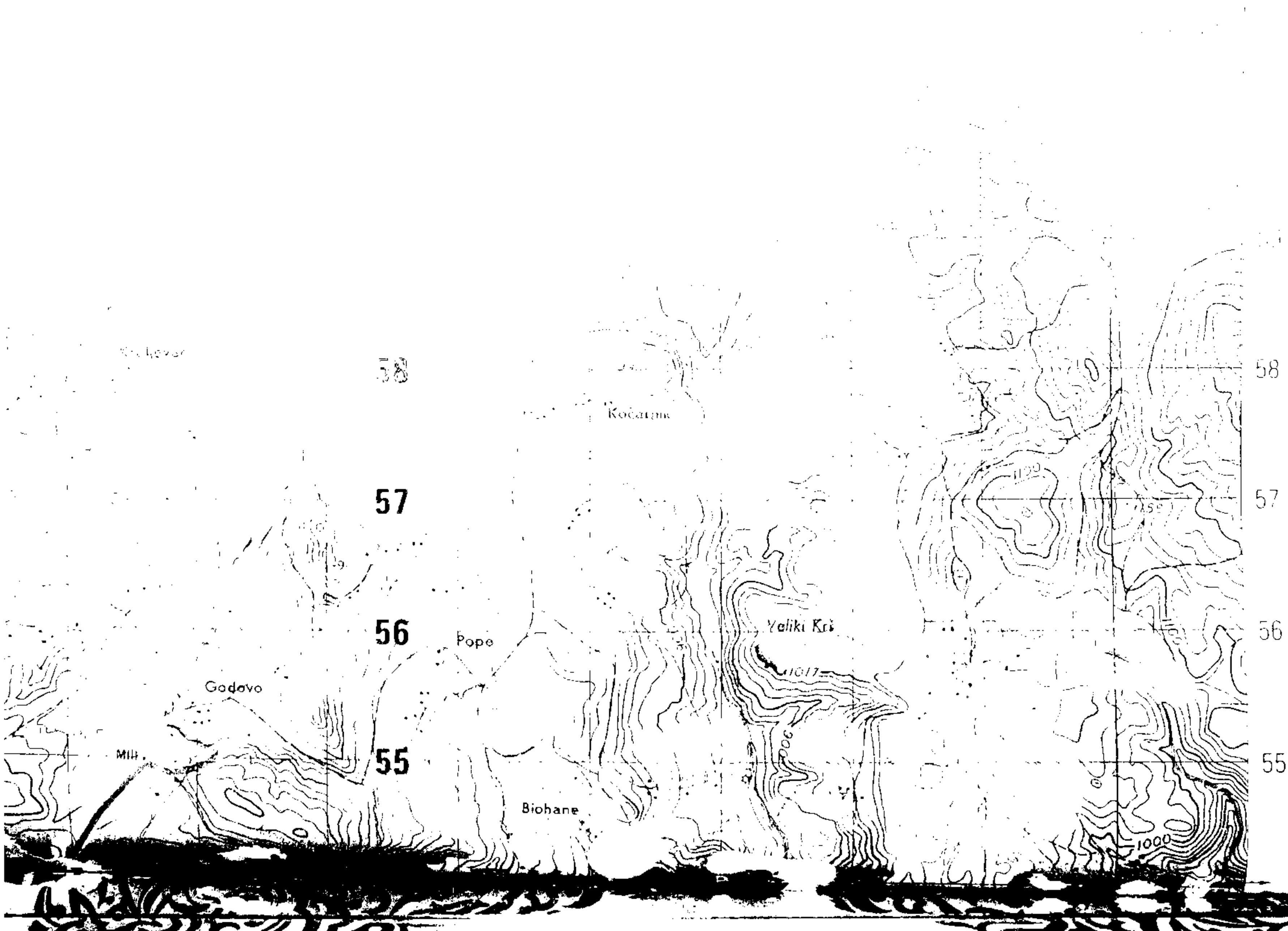

Marfat.com

Marfat.com

136

خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق

للعارف بالله تعالى والدال عليه سيدى وامامى
عبد الغنى النابلسى

ويليه

شرح الطريقة المحمدية لسيدى عبد الغنى النابلسى

IŞIK KİTABEVİ
Darüşşefaka Cad. No: 72
FATIH — ISTANBUL
TURKEY
1981

Marfat.com